



مركز دراسات الدكتوراه
الإنسان والمجال في العالم المتوسطي
تكوين الدكتوراه
التغيرات الاجتماعية والتنمية المحلية

عنوان الأطروحة

السياسات الاجتماعية الاستهدافية ودورها في تحقيق الرفاه
بدولة الإمارات العربية المتحدة
دراسة سوسيولوجية للسياسات الاجتماعية الاستهدافية
وأثارها على الأسرة - منطقة الشارقة

أطروحة للحصول على شهادة الدكتوراه

من إعداد

الطالب: فيصل عبد الله سعيد النقيب

تحت إشراف
أ. د. المختار الهراس

٢٠١٩/٢٠١٨

محتويات البحث

9.....	مقدمة
10.....	مشكلة البحث
11.....	فرضيات البحث
11.....	مفهوم السياسات الاجتماعية والتغير الاجتماعي
12.....	الرفاه الاجتماعي من منظور علم الاجتماع
14.....	مفهوم الرفاه الاقتصادي والاجتماعي
16.....	الرفاه الاجتماعي ودولة الرفاه من منظور العلوم الاقتصادية
17.....	الرفاه ودولة الرفاهية
28.....	الدراسات السابقة للرفاه الاقتصادي والاجتماعي
29.....	مقدمة
29.....	المحور الأول دراسة بدايات الانسان
31.....	المحور الثاني: الدراسات في العصور القديمة
32.....	دراسات سابقة لدولة الرفاه الاجتماعي بالدول العربية دراسة حالة دولة الامارات
36.....	الدراسات سابقة حول الرفاهية الاجتماعية بالدولة الإمارات:
39.....	الفكر السياسي والاجتماعي في فكر أفلاطون
43.....	الدولة في فكر أفلاطون
45.....	التعليم في فكر أفلاطون
47.....	الدراسات لدى المفكرين
52.....	النظرية الاقتصادية الاسلامية
54.....	المحور الثاني: مبدأ العدالة الاجتماعية في الاسلام
63.....	عدالة التوزيع في الاسلام
66.....	الدراسات السابقة عند الرواد الاقتصاديين
68.....	اقتصاديات الرفاهية
76.....	المحور الخامس: المدارس الفكرية في الرفاهية
76.....	1 - المدرسة الاولى
80.....	الفصل الأول
80.....	الرفاهية الاجتماعية:
80.....	التطور، السيرورات والاستمرارية.
81.....	مقدمة
84.....	النشاط الاقتصادي عبر التاريخ

90.....	ظاهرة المبادلة وظهور السوق.....
96.....	التطور الصناعي والتكنولوجي منذ الثورة الصناعية.....
100.....	دور الدولة في التطور الرأسمالي.....
110.....	الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية.....
113.....	البنية الفكرية لمفهوم دولة الرفاهية.....
127.....	خاتمة الفصل الأول.....
129.....	الفصل الثاني.....
129.....	الرفاه الاجتماعي بدولة الإمارات العربية المتحدة.....
130.....	تقديم.....
133.....	الأسس الفكرية للرفاه الاجتماعي.....
139.....	الرفاه الاجتماعي.....
139.....	دولة الرفاه الاجتماعي.....
142.....	الدولة واقتصاد السوق.....
144.....	العرض والطلب.....
145.....	أنماط دولة الرفاه الاجتماعي.....
145.....	دولة الرفاه الاجتماعي الليبرالية.....
145.....	دولة نظام رفاه الاجتماعي محافظ.....
146.....	الرفاه الاجتماعي في سياق العربي: المفهوم والاستراتيجيات.....
148.....	الدولة الرفاه الاجتماعي الإمارات نموذج.....
150.....	الخلفية التاريخية لدولة الرفاه الامارات 1971.....
155.....	دولة رفاهية بالإمارات: من بناء المفاهيم إلى أجرات الاهتمام بالمواطن.....
155.....	الرعاية الاجتماعية.....
155.....	التنمية الإنسانية:.....
155.....	السياسة الاجتماعية:.....
156.....	طور دولة الرفاه في الإمارات العربية المتحدة:.....
156.....	الرفاه الاجتماعي بالإمارات العربية ما بين 1971 / 1975:.....
159.....	دولة الرفاه في الإمارات ما بين 1979 إلى 1990.....
161.....	برامج الرفاهية الأساسية في الإمارات في الفترة 1985 / 2000.....
161.....	برنامج لإعانة الاجتماعية بدولة الإمارات:.....
168.....	النسبة المواطنون في أبوظبي ومقاربة النوع:.....
169.....	التطور الخدمات والبرامج الاجتماعية بدولة الإمارات.....
177.....	خاتمة.....
178.....	الفصل الثالث.....
178.....	مقارنة الرفاه الاجتماعي بين الإمارات العربية والدول الاسكندنافية.....
179.....	مقدمة.....

193.....	ثانيا: الرفاه الاجتماعي في الدول الاسكندنافية
222.....	خاتمة
225.....	الفصل الرابع
225.....	استراتيجيات الرفاه الاجتماعي
225.....	"نموذج الإمارات العربية المتحدة"
226.....	تقديم
227.....	المبحث الأول: سياق الموضوع وأهميته
241.....	السعادة والأجندة الوطنية
242.....	وزير دولة للسعادة وجودة الحياة
242.....	البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية
243.....	الميثاق الوطني للسعادة والإيجابية
249.....	مركز الإمارات لأبحاث السعادة
249.....	برنامج سعادة العمال
250.....	تقرير السعادة العالمية
252.....	السعادة في حكومة دبي
253.....	نماذج لدول عربية، مقارنة للرفاه الاجتماعي
253.....	العراق
260.....	أبعاد جودة الحياة حسب تصورات المواطنين المغرب نموذج
262.....	جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات إزاء السكن
263.....	جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات في مجال التعليم
264.....	جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات إزاء العمل
266.....	جودة الحياة والعيش الكريم الذاتي العام
271.....	خاتمة
273.....	الفصل الخامس السعادة والحكومة في الامارات العربية المتحدة
274.....	مقدمة
275.....	أولا : الحكومة الرشيدة في القرن الواحد والعشرين
275.....	الأزمة البيئية العالمية
276.....	المهارات والتطور التكنولوجي
278.....	عدم المساواة وإعادة التوزيع
278.....	السخية والخدمات العامة
279.....	القوى العالمية والسعادة الوطنية
281.....	ثانيا: صياغة السياسات العالمية للسعادة 2018
297.....	صياغة السياسات
297.....	العناصر المشتركة
299.....	العناصر المحتملة المفقودة

301.....	التطلع إلى المستقبل.....
321.....	خاتمة.....
322.....	الفصل الخامس.....
322.....	الشق التطبيقي.....
323.....	البحث الميداني.....
323.....	مجتمع البحث وعينتها:.....
324.....	الاستبيان الأسئلة المغلقة.....
325.....	إجراءات البحث.....
325.....	منهجية البحث:.....
325.....	اعتمد البحث المنهج الوصفي الميداني لمناسبته لأغراض البحث، والتحليل الكمي والنوعي للبيانات التي تم الحصول عليها من خلال أداة البحث.....
325.....	ظروف العيش.....
333.....	الأسئلة المفتوحة.....
333.....	أولاً: وصف وضعية المشاركين في البحث.....
333.....	وصف الحالة الصحية.....
334.....	ثانياً: وصف المستجيبين لحياتهم الأسرية.....
334.....	الجدول (12).....
334.....	الحياة مع أفراد الأسرة.....
334.....	الحياة الأسرية.....
334.....	ثالثاً: وصف المستجيبين لحياتهم الاجتماعية العامة.....
334.....	الجدول (13).....
334.....	الحياة الاجتماعية العامة.....
334.....	الحياة الاجتماعية العامة.....
335.....	رابعاً: عدد المرات التي وجدتم فيها صعوبات في تأدية مهامكم.....
335.....	جدول (14).....
335.....	عدد المرات واجه فيها المشاركون في البحث صعوبات.....
335.....	صعوبات في العمل.....
336.....	الحالة الصحية بشكل عام.....
336.....	جدول (15).....
336.....	الحالة الصحية.....
336.....	الحالة الصحية.....
336.....	هل تقارن مستوى عيش أسرتك بمستوى آخرين.....
336.....	جدول (16).....
336.....	بمن تقارن مستوى أسرتك.....
337.....	خاتمة البحث.....

339.....	البيبلوغرافيا.....
339.....	باللغة العربية العربية.....
348.....	باللغة الاجنبية.....
349.....	مصادر الكترونية.....
353.....	الروابط الألكترونية.....
1.....	محتويات البحث.....

الإهداء

اهدي هذا العمل إلى والدي يرحمه الله وإلى والدتي العزيزة وإلى اخوتي وأخواتي الذين ساندوني وشجعوني باستمرار حتى تمكنت من انجاز هذا العمل على هذا النحو.

كلمة شكر

لايسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الفاضل الدكتور المخار الهراس المشرف على رسالتي وعلى كل ما قدمه لي من توجيهات قيمة.

ملخص

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة، إلى البحث في قضايا الرفاه بدولة الإمارات العربية المتحدة، وذلك من خلال السياسات الاجتماعية، التي تنهجها الدول، مع إبراز أهمية الاقتصاد الإماراتي في تحقيق ذلك، كما يهدف الباحث إلى إبراز رؤية الدولة في الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية، والتي تستند على رؤية خاصة تنهجها قيادة البلاد.

ولأجل ذلك، فقد أجرى الباحث مسحا للعديد من التقارير والدراسات المرتبطة بالسياسات الاجتماعية والرفاه، سواء تعلق الأمر بالبلدان العربية أو الغربية، وذلك بهدف عقد مقارنات، حتى يتسنى للباحث فهم مسارات الرفاه الاجتماعي بدولة الإمارات العربية المتحدة

ومن أجل إكمال فهم مجريات السياسات الاجتماعية والرفاه بدولة الإمارات العربية المتحدة، أنجز الباحث دراسة ميدانية، ليتمكن من قياس مستوى الرفاه بالدولة ومواقف المواطنين والمقيمين من الرفاه ومستوى الرفاه.

Abstract

The research deals with the issues of welfare in the United Arab Emirates through the social policies adopted by State and to shed light on the importance of the economy in order to achieve this goal.

This will be done the vision of the state in the social and economic welfare, which is based on a special vision of the leadership of the country. The researcher aims to show the vision of the state in the welfare of social and economic. Significance of the research is to extract the ability of the “UAE” leadership vision to achieve this task. It aims to construct a theory in social welfare.

In order to understand the social policies and welfare of the “UAE” the researcher completed a field work that it helps to measure the level of welfare in the state and the attitudes of citizens and residents of welfare and well-being.

مقدمة

حينما قررت متابعة دراساتي العليا في سلك الدكتوراه، إستهوتني دراسة الرفاه الاجتماعي بدولة الإمارات العربية المتحدة. لست أول من يعالج هذا الموضوع، غير أنها دراسة جديرة، نظرا لوجود فجوة كبير بين العولمة والرفاه الاجتماعي بالتأكيد فإن الدارسين للموضوعين سيرون فارقا كبيرا من حيث مفهوم كل منهما، ولكن الامر يتمحور في تقنين المسيرة الاجتماعية والاستفادة من المسيرات الاقتصادية لكل منهما ورفد المجتمع بكل شئ يقوم عمله نحو الافضل والاحسن. فالعولمة تعني الاستفادة من المقاربات الفكرية والعلمية والتكنولوجية للعلوم العديدة، وتقريب المجتمع بها للوصول الى أفضل الايجابيات في عمله، أي تحسين عمله العلمي والعملية، فالعولمة ترفد الرفاهية العلمية والعملية للثروة الفكرية الناهضة، ولمقارباتها والاستفادة منها في نهوض المجتمع، أما الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية التي نالت الدراسات العديدة ولو أنها ليست بقدر العولمة ولكنها تبقى بذاتها هاجس الانسان الاول والاخير.

تكمن أهمية البحث في طرح الجوانب الفكرية والمنهجية الخاصة في تناول مسألة، السياسات الاجتماعية وتحقيق دولة الرفاه الاجتماعي، مع عقد مقارنة بين التجارب المختلفة أي مع الدولة التي توجد بها بعض أنماط الرفاهية الاجتماعية الثلاث المتمثلة بالنمط الليبرالي والنمط التعاوني والنمط الشامل، كذلك سوف نسعى من خلال هذه الأطروحة إلى محاولة رسم الآفاق المستقبلية لدولة الامارات العربية المتحدة، على إعتبار أن الاطلاع على مختلف التجارب في العالم التي توضح لنا كيف تم التعامل مع التحولات الحاصلة في إطار العولمة والتغيير في العلاقات الاقتصادية الدولية والبحث في كيفية مواعاة كل ذلك مع الاحتياجات والمطالب الوطنية.

ومن أهميتها نقل تجارب وأفكار دول الرفاه وخاصة منها الدول الاسكندنافية إلى بلدان العالم الثالث التي تسخر بكل مقومات الرفاهية لكنها لازالت تعاني من الفقر والجوع والأمراض.

التعرف على تجارب منظومات دول الرفاهية الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة صناعيا, الرأسمالية منها والاشتراكية, وكذلك التعرف على بعض تجارب الدول النامية في سعيها إلى تحقيق الرفاهية الاجتماعية لشعبها.

التمكن من استخلاص الدروس والعبر من تلك التجارب التي أدت إلى تحقيق النجاحات في هذا المجال أو التي أخفقت في ذلك والتعرف على العوامل الكامنة وراءها. التعرف على محاولات الدول العربية لتحقيق الرفاهية الاجتماعية لشعبها والتحولت التي طرأت عليها وتحديد الظروف الكامنة وراءها ومدى نجاحها أو فشلها في تحقيق أهدافها.

مشكلة البحث

تعني المجتمعات الإنسانية في العصر الراهن العديد من المشكلات، التي يمكن تلخيصها في الجوع والحرمان والمرض والكوارث البيئية والحروب الإقليمية والنزعات الاثنية والعقائدية والحروب الاقتصادية " وعلى شكل الاستعمار الجديد" والفوارق الاجتماعية بين غني جدا وفقير جدا وهذه البيانات السلبية في حياة المجتمعات أدت إلى الصراعات الاجتماعية المتعددة وشكلت صفة سلبية عامة في العالم ومن نتائجها: الجريمة المنظمة وغير المنظمة، زيادة تجارة المخدرات، زيادة الأمراض الوبائية وغيرها. وعليه فإن الرفاهية وتناقص معدلاتها كعامل حسم في هذه السلبيات في القرن الحادي والعشرين وهي مشكلة لا يمكن حلها. حاولت في بحثي هذا استبيان تلك المشكلات وعلاقتها بالرفاهية ضمن مجموعة من الأفكار المطروحة في متن البحث.

فرضيات البحث

دولة الرفاه هي مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي.

دولة الرفاه هي نتيجة لاختناقات السوق الرأسمالي وتكرار الأزمات المتكررة.

ساعد النفط دولة الإمارات العربية المتحدة في تبني قوانين الرعاية الاجتماعية كالتأمين

على البطالة والتقاعد والشيخوخة.

تراجع دولة الرفاه بعد مرتبط بأزمة سوق النفط العالمية

مفهوم السياسات الاجتماعية والتغير الاجتماعي

هناك علاقة وطيدة بين السياسات الاجتماعية والتغير الاجتماعي، ذلك لكون هذه

السياسات مرتبطة بالبناء الاجتماعي للأسرة، ويمكن التمييز بين اتجاهين أساسيين، في التعاطي

مع المشكلات الاجتماعية للأسرة والمجتمع وبالتالي التعاطي مع طبيعة السياسات الاجتماعية

من أجل التغلب على التفاوت الاجتماعي وتحقيق المساواة.

إن تقبل الوضع القائم بالنسبة لبناء المجتمع وما ينشأ عنه بالضرورة من مظاهر عدم

المساواة وغياب العدالة الاجتماعية ثم غياب حماية حقوق الأفراد، يأتي هذا القبول من خلال

الاعتقاد بأن البناء القائم مرغوب فيه. كما أن المشكلات الاجتماعية هي عيوب في الناس أنفسهم

غير الراغبين في التوافق مع معايير المجتمع، كما تنسب إلى بعض العيوب البسيطة في تنظيم

المجتمع. أما حل هذه المشكلات، فإنه يركز أساساً على كل ما من شأنه أن يجعل الناس أكثر

قدرة أو أكثر رغبة في الالتزام بالمعايير السائدة في المجتمع؛ فيما يشير الاتجاه الثاني، فإنه لا

يقبل بالوضع القائم لبناء المجتمع وبالتالي فالمشكلات الاجتماعية والأسرية، هي عيوب في

النظام السياسي وفي بناء المجتمع ثم يبقى الحل الوحيد هو تغيير هذا البناء وتغيير النظم

السياسية القائمة.

بمعنى أن السياسات الاجتماعية عليها أن تساهم في تغيير المجتمع، عبر ما تقدمه من خدمات للمجتمع ولأفراد الأسرة، وذلك عن طريق محاربة الفقر مثلا الذي غالبا ما يكون نتيجة لسوء التنظيم في مجتمعاتنا وعدم تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية، مثلما يكون نتيجة لثقافة الفقر، التي تهيمن وتسود في معظم المجتمعات العربية.

إن الفقر الأسري في الحقيقة يرتبط أساسا بعدم المساواة، في التعليم والصحة وحماية الحقوق الفردية وضمن معاشات التقاعد، ومن ثمة تبقى السياسات الاجتماعية من أهم الأدوات التي من خلالها يستفيد جزء من أفراد المجتمع من ضرائب الأغنياء. مما يحدث تغيرات في النظم الثقافية والاجتماعية للدولة.

الرفاه الاجتماعي من منظور علم الاجتماع

تعتبر الكتابات السوسيولوجية والاقتصادية، التي برزت في القرن الثامن عشر في أوروبا بمنزلة المنعطف الفكري الكبير لمفهوم الرفاه والتكافل الاقتصادي والاجتماعي في الغرب، فقد ظهرت مؤلفات " جون ستيوارت مل وكتابات بنتنام " المتعلقة بالمنفعة والمذهب القائل بأن هدف السلوك البشري هو تحقيق أعظم الخير لأكبر عدد من الناس، ثم تطور الجانب الاقتصادي فنيا فيما بعد على أيدي " إدجورث وباريتو ومارشال وبيجو ".

إن المضمون الاجتماعي للرفاه الاقتصادي القائم على التكافل هو من الظواهر القديمة التي لازمت الإنسان على نحو أو آخر منذ فجر التاريخ، فالإنسان اجتماعي بالفطرة، وتجدر الإشارة إلى أن حضارة الصحراء العربية والأعراف القبلية والقيم الاجتماعية لحياة البداوة قد زخرت بمفاهيم راسخة تتعلق بمسائل التكافل الاجتماعي والاقتصادي داخل القبيلة الواحدة بوجه خاص، وفي حياة البداوة بوجه عام، ثم أن الديانات السماوية التي بزغت في شرقنا العربي أو

الديانات الوضعية في الهند وجنوب شرق آسيا قد حملت معها مفاهيم وقيما سامية في أسس التكافل الاجتماعي وفي مفاهيم الرفاه والمساواة بين البشر.

فالديانة اليهودية أوصت بالتعاقد الاجتماعي ومد يد العون إلى الذين يحتاجون إليها، لكنها قصرت ذلك على إتباع الديانة اليهودية فقط. في الديانة المسيحية تعد محبة الآخرين وإكرام اليتيم والأرملة والمسكين والمريض والسخاء في الصدقات من صلب التعاليم الدينية، وهي توصي أيضا بأن يجري كل ذلك في الخفاء ومن غير منة أو فخر.

أما الإسلام فإنه زاد في هذا الصدد على ما جاء قبله، إذ هو يختلف ليس فقط في حضه على الصدقات، بل في كونه جعل الزكاة ركنا أساسيا من أركان الدين، وفي جعلها حق للمعوزين في أموال الميسورين. كما في قوله تعالى " طس، تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون"¹.

وبالعودة إلى النص الديني في الإسلام نجد على أن الزكاة لم تفرض بهدف محاربة للأغنياء، على اعتبار أن القرآن يؤكد على " أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده " وبهذا تكون فريضة الزكاة جاءت لمحاربة والفقر والخصاص، فقد كلف فيها القادرون على دفعها فقط، وهكذا فإن الإسلام قد سبق الاقتصاديين الغربيين بعدة قرون في طرح مبادئ التكافل الاقتصادي والاجتماعي².

¹ القرآن الكريم. سورة النمل، آية 1 و3.
² عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 5.

مفهوم الرفاه الاقتصادي والاجتماعي

إن الحديث عن تاريخ وتطور دولة الرفاه، يفرض علينا أن نتطرق إلى زمن نشوء دويلات المدن أو الإمبراطوريات قبل الميلاد، بمعنى طرح السؤال هل فكرت تلك الدول في تحقيق الرفاهية لشعوبها؟ لقد شهدت العصور قبل الميلاد تطاحنات وصراعات على الأرض والثروة، بين دويلات المدن والإمبراطوريات، بدءاً بأول إمبراطورية عرفتها الإنسانية³.

يتعلق الأمر بالإمبراطورية الأكيدة- (سرجون الاكدي) فهل كانت نظرة الحكام آنذاك أن تحقيق الرفاهية يتأتى من ضم الأراضي والاستحواذ على الثروات لإشباع الحاجات الفردية والمجتمع؟ إذا كانت الحروب هي جوهر وفحوى الرفاهية⁴.

إن الفوز في الحروب ولو لفترة قصيرة كان يعني جلب الرفاهية للمجتمع المتحكم آنذاك، لذا نرى بوضوح سيطرة الحروب بين المجتمعات وقبلها بين الأفراد. لم يكن للاقتصاد أي دور في تحقيق رفاهية الدولة. لأنه كان اقتصاداً بطيئاً، لكن هذا النوع من رفاهية الدولة هي أنانية وسلبية، لذا لم تحقق الرفاهية لشعوب تلك الفترة⁵.

وبحلول نهاية القرن التاسع عشر لم يعد مهندسو النظريات الاقتصادية من ذوي الاتجاه السائد ينظرون إلى حقلهم هذا في المعرفة على أنه متعلق بالثروة المادية، فهم بدلاً من ذلك قاموا بتركيز اهتمامهم على الحس الذاتي وغير الموضوعي بالرفاه حيث يأمل الإنسان أن يصله نصيبه من الثروات المحققة وكذا التوصل بنصيبه من الأنشطة الاقتصادية، وهو الأمر الذي أدى بهم خاصة في انكلترا إلى النظر إلى علم الاقتصاد وكأنه يتعلق بشكل أساسي بالرفاه⁶.

³ نفس المرجع السابق ذكره، ص 103.

⁴ جورج، نابمانز. ترجمة، صقر، حمد صقر، (1997)، تاريخ النظرية الاقتصادية، الإسهامات الكلاسيكية، المكتبة الأكاديمية، ص 57.

⁵ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: مرجع سبق ذكره، ص 104.

⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: مرجع سبق ذكره، ص 104.

قاموا في وقت قريب جدا بالحديث عن علم اقتصاد الرفاه (وهو العنوان الجديد لكتاب ايه سي بيجو الصادر في العام 1902 والذي كان هو نفس كتاب الطبعة الثانية الصادر في العام 1912 المعنون بالثروة والرفاه) وللنظر إلى علم الاقتصاد باعتباره علم قادر على ترويج الرخاء الاقتصادي قد بدا وكأنه مجرد خطوة صغيرة غير ضارة.

فقد تم في الغالب بالنسبة لكثير من سنوات النصف الأول من القرن العشرين التسليم بصحة القول على إن عالم الاقتصاد هو ذلك العالم الخبير الذي يقوم بصياغة سياسات يتم تنفيذها بغرض ترويج رفاه اقتصادي كلي غير فردي. لقد بدا بكل وضوح على إن لدى علماء الاقتصاد واجب مهني ألا وهو الدفاع عن السياسات التي تعمل حسب اعتقادهم على تعزيز الرفاهية من الناحية العلمية.⁸⁷

وتعتبر هذه الفترة هي الفترة التي شرع بها علماء الاقتصاد بالبدا في إيجاد فرص وفيرة للتوظيف في الحكومة. وبما أن المد الذي أصاب الرأي العام قد تحول بشكل حاسم (خلال الربع الثاني من القرن) إلى جانب التدخل الحكومي الشامل في اقتصاد السوق، نظر علماء الاقتصاد بشكل متزايد إلى حقلهم هذا في المعرفة وكأنه قادر على استحداث وخلق سياسات محددة جدا خاصة بحكومات يتم تنويرها بحيث تقوم باتباع هذه السياسات. كما قام علماء الاقتصاد بوضع علمهم (خصوصا بفرع علم اقتصاد الرفاه) في خدمة الأحزاب السياسية. وقد تبين، بأن أي برنامج سياسي أو أية فرضية خاصة بالتشريع الاقتصادي بإمكانهما أن يجد علماء اقتصاد لديهم الاستعداد بأن يعطوا حجة علمية تعمل على دعمهما⁹.

⁷ نفس المرجع السابق ذكره، ص 104.

⁸ جورج، نايمهانز. ترجمة، صقر، حمد صقر، (1997)، تاريخ النظرية الاقتصادية، الإسهامات الكلاسيكية، المكتبة الأكاديمية، ص 57.

⁹ نفس المرجع السابق ذكره، ص 57.

في التسعينيات من القرن الماضي، و مع مطلع الألفية الثالثة، شكلان عصر ازدهار الرأسمالية، حيث شهد الاقتصاد العالمي ما سمي بالاقتصاد الجديد أو اقتصاد المعلومات ثم وجود نظم متطورة في مجال الاتصالات صاحبها حركة غير عادية من الاستحواذ في شركات الإنتاج ومؤسسات الخدمات على السواء، تسبب ذلك في حركة نشطة غير مسبوقه في أسواق المال. لقد واكب هذه الطفرة من الازدهار للرأسمالية حدث تاريخي مهم، تمثل في سقوط الاتحاد السوفياتي، وانهيار الاشتراكية. لقد كان الجميع واثقا، بأن خط المسيرة الرأسمالية لن يكون غير المضي قدما وحث الخطى نحو مصاف أعلى، ومع أن هذا الاعتقاد ليس إلا ضلالا أثبتت الأيام زيفه، فإن بني البشر يستسلمون له تماما، كما استسلموا للاقتصاد الجديد. كما استشهد الكثير بالاعتقاد السائد بازدهار الرأسمالية بمقولة الرئيس الأميركي الأسبق "نحن قادة العالم بلا منازع".¹⁰

الرفاه الاجتماعي ودولة الرفاه من منظور العلوم الاقتصادية
يتم تناول مفهوم الرفاهية كفكر وبنيته ضمن أدبيات العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية والسوسيولوجية، لقد أخذ هذا المفهوم أبعادا عديدة حسب الحقول العلمية. مثلما تميل يختلف تناول هذا المفهوم من علم لآخر، فمثلا العلوم الاقتصادية تتناولها من منظور الإنتاج وزيادته مما يسهل زيادة العرض وبالتالي إلى انخفاض الأسعار وزيادة درجات الإشباع إيجابا عن طريق الاستهلاك. أما القانون فيتناوله بكونه حق من حقوق الإنسان في التمتع بالرفاهية وإشباع حاجات الإنسان المتعددة. فيما تذهب العلوم الاجتماعية إلى تناول هذا المفهوم من منطلق حق الفرد في الرفاهية وانه يعمل ويكد كي يحصل على كفايته من إشباع الرغبات، كل هذه

¹⁰ جورج، نايمهانز. ترجمة، صقر، حمد صقر، (1997)، تاريخ النظرية الاقتصادية، مرجع سبق ذكره، ص 57.

المفاهيم تصب في مفهوم موحد إلا وهو الرفاهية حق من حقوق الفرد الأساسية بالتمتع بإشباع حاجاته الإنسانية المتعددة. لتوضيح هذا التناول من مختلف الأوجه سوف نتبع المحاور التالية.

الرفاه ودولة الرفاهية

على الرغم من الاستخدام الشائع لمفهوم (دولة الرفاه) سواء في الخطاب السياسي أو الاجتماعي أو في أدبيات البحث، التي لا يمكن تمييزها عن الرفاهية بمفهومها العام، لان الآن وفي العصر الحديث، تعد الدولة هي المسؤولة عن تحقيق الرفاهية لمواطنيها لذا فإن الرفاهية الحالية هي نفسها دولة الرفاه. في الحقيقة لا يوجد أي إجماع حول الدلالة الدقيقة لهذا المفهوم. يمكن العثور في الأدبيات المختصة على تعريفات عديدة لمفهوم دولة الرفاه، التي تعكس الميول النظرية أو المبدئية للباحثين أو المميزات الخاصة للحالات التي يدرسونها. يذهب بعض الباحثين إلى انه وبمجرد وجود جهاز خدمات رفاه في دولة معينة يكفي لتعريفها كدولة رفاه. على النقيض من هذا التوجه الذي يكفي بحد أدنى من أجل تعريف دولة ما (كدولة رفاه). هناك باحثون آخرون يشددون تحديدا على الفروق الكبيرة بين دول غرب أوروبا وبين دول شمال أمريكا، التي تسمى عادة دول رفاه، يزعم هؤلاء فان عدم الوضوح في تعريف دولة الرفاه ينبع من عدم وجود نموذج عالمي ل (دولة الرفاه) بل هناك نماذج مختلفة في غاية الاختلاف لدولة الرفاه في دول عديدة، على سبيل المثال: نموذج دولة الرفاه الاسكندنافية يختلف بشكل كبير عن ذلك النموذج الذي يميز الأنظمة الليبرالية كالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وكلاهما يختلف كثيرا عن دولة الرفاه المحافظة التي تميز دول وسط أوروبا؛ كألمانيا على سبيل المثال.

على الرغم من الاختلاف بين الدول المسماة دول الرفاه اعتمادا على مبادئها الفكرية إلا انه يمكن العثور على عدد من المميزات المشتركة بين معظم دول الرفاه والتوصل الى تعريف

يميز بين دول الرفاه وبين دول أخرى تتضمن أجهزة رفاه معينة، تلبي الاحتياجات المختلفة لمواطنيها، إلا أنه لا يمكن تعريفها كدول رفاه نتيجة للتكاليف المتعلقة بتشغيل الأجهزة اللازمة في دولة الرفاه فأن جميع دول الرفاه هي دول صناعية، متطورة وغنية نسبياً، بالإضافة إلى هذا فإن معظم هذه الدول هي دول رأسمالية ذات اقتصاد سوق متطور. لكن لا يمكن اعتبار وجود دولة رفاه وفقاً لبنية اقتصادية واسعة فحسب، بل يتطلب أيضاً وجود نظام حكم ديمقراطي يعترف بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية لمواطنيه، في هذا السياق فإن الخدمات التي تقدمها دولة الرفاه لمواطنيها ليست بمثابة إحسان، بل هي جزء من الحقوق الأساسية، التي يستحقها كل مواطن، وبناء على ذلك يمكننا القول أن دولة الرفاه هي دولة تلبي الاحتياجات الإنسانية الأساسية لمواطنيها كجزء من إحقاق حقوقهم السياسية، وبشكل أكثر تحديداً إن دولة الرفاه تسعى إلى ضمان الأمن الاجتماعي لمواطنيها وتوفير دخل ثابت وتغذية ورعاية طبية وتعليم وسكن وعمل وخدمات رفاه خاصة لكل مواطنيها، وكذلك تقليص الفجوات الاجتماعية إلى حد معين، ويتم تحقيق هذه الأهداف بواسطة فعاليات تبادر إليها الدولة بعدد من الطرق، تشمل مدفوعات مباشرة لمخصصات التقاعد، تزويداً مباشراً للخدمات الاجتماعية، ضمان تقاعد غير مباشر بواسطة نظام الضرائب، وكذلك عمليات تدخل مختلفة في الاقتصاد وسوق العمل¹¹.

لهذا سوف نتطرق للمعنى اللغوي للاقتصاد، نقصد الاقتصاد لغة: من القصد وهو التوسط

وطلب الأمد. ويقال

هو على قصد: أي رشد وطريق قصد: أي سهل. وقصدت قصده، أي نحوه. ويفسر

الاقتصاد الرفاه كالاتي:

¹¹ - Clasen, J, (1999) Comparative Social Policy, Oxford: Blackwell, P, 53.

1.1. الرفاه في الاصطلاح

يقصد بالرفاهية الاقتصادية ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية العامة، الذي يمكن قياسه نقدياً بطريق مباشر أو غير مباشر. وعلى أساس هذا التعريف يمكن أن تؤدي زيادة الرفاهية الاقتصادية إلى زيادة الرفاهية العامة، وإن كان لا يبدو أن هناك ارتباط بينهما، ويعتقد بعض الاقتصاديين أن دراسة الرفاهية الاقتصادية يجب أن تقتصر على تحليل الأسباب والعوامل التي يمكن أن تؤدي إلى تحقيق أكبر قدر من الاستقرار النفسي والمادي والاجتماعي للفرد ضمن مجتمع معين، وهي بذلك تكون دراسة علمية إيجابية. ويعتقد البعض الآخر أن دراسة الرفاهية الاقتصادية يجب أن تشمل وضع السياسة التي يجب أن تتبع لتحقيق الرفاهية، وبذلك تصبح الدراسة غير علمية خالصة حيث لا بد أن تأخذ هذه الدراسة في الاعتبار الخلفيات السياسية، التي ترتبط بالموضوع وبذلك تخرج عن دراسة علم الاقتصاد والأمثلة الحدية على ذلك أصبحت كثيرة؛ مع طائرات معينة من التحليق فوق مناطق معينة بسبب ضجيجها، إزالة مناظر طبيعية جميلة لإقامة المصانع الضخمة، استهلاك أراضي زراعية لإقامة مطارات بجانب المدن، إقامة محطات توليد الطاقة النووي وما يترتب على ذلك من نقص في الرفاهية بالنسبة للبعض وزيادة في الرفاهية بالنسبة للبعض الآخر.

2.1. الرفاه في الاقتصاد

كما يربط الاقتصاد والرفاهية الاقتصادية بالدخل الاقتصادي فكلما زاد الدخل الاقتصادي كلما كان هناك رفاهية، ولم يمنع الإسلام مثل هذه الرفاهية، حتى ان الرسول (ص) قال (إن الله

يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)، فطالما كان هناك دخل وفير فليس هناك مانع أن يتمتع الفرد بذلك المال وأن يحيا حياة مرفهة سعيدة¹².

3.1. الرفاهية: مفاهيم ومصطلحات¹³

* الرفاهية لغويا : في معجم الصحاح المعني بالمصطلحات العربية ولمؤلفه العلامة إسماعيل بن حماد الجوهري والمولود في مدينة فراب, وهو ابن أخت العلامة الكبير إسحق الفارابي صاحب ديوان الادب " 1009م " وقد ذكر في الصحاح كلمة رفاه أي رفه الشخص عن نفسه وأسرته أو رفه الحاكم لرعيته, أو رعاية ورفاه الله لبني البشر، وهو أول تعريف لمفهوم الرفاهية في العربية. ويعرف بعض الكتاب الرفاهية، بأنها حالة تمس حياة الفرد والجماعة وتعمل على إشباع، الحاجات البيولوجية الأساسية للإنسان من مأكّل وملبس ومسكن والحاجات التي تتطلبها الحياة الاجتماعية مثل التعليم والثقافة والخدمات الطبية والأمن الاجتماعي وهناك من يوجز هذه المتطلبات كلها بالقول أن الرفاهية هي تحقيق مستوى لائق للمجتمع في جميع وجوه حياته.

* الرفاهية اقتصاديا : يعني اقتصاد الرفاهية بالنتائج الاجتماعية التي يمكن قياسها موضوعيا وتناولها في النظرية الاقتصادية، فالدخل القومي، أي تدفق السلع والخدمات يقترن اقترانا مباشرا بالرفاهية وكلما ازداد الدخل القومي وازدادت المساواة في توزيعه عظمت رفاهية المجتمع الاقتصادية, كما يعني اقتصاد الرفاهية بدراسة وتقييم الكفاءة الاقتصادية والنظم المتعلقة في توزيع الموارد بما يؤدي إلى تحقيق أكبر قدر من المنفعة الاجتماعية وتوفير الظروف التي يمكن عن طريقها تقوم السياسات الاقتصادية في تحقيق الرفاهية للمجتمع وتستدعي هذه

¹² محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويعي الإفريقي، لسان العرب، 1698/3 المصباح 609/2، فقه الاقتصاد العام، دار صادر - بيروت، ص 603.

¹³ - حسين عمر . الرفاهية الاقتصادية

السياسات التدخل لتشجيع المشروعات المنتجة وعدالة التوزيع عن طريق الضرائب ما يزيد من الإنتاج ومن إشباع الحاجات.

*حد الرفاهية : حد الرفاهية فكرة تمثل الحد الأقصى للرفاهية الذي يمكن أي شخص في المجتمع إن يتمتع به مع التسليم بمستويات الرفاهية لبقية أفراد، لن يكون هناك وضع داخل حد الرفاهية يمكن أن يعد كاشفا عن الرفاهية الاجتماعية القصوى وعلى العكس لن تكون هناك نقطة خارج حد الرفاهية يمكن أن يصل إليها المجتمع.

* دولة الرفاهية : دولة الرفاهية هي ما يفترضه المجتمع في الدولة التي تتحمل مسؤولية رسمية وواضحة نحو تحقيق الرفاهية الأساسية لمواطنيها، وتوفير الخدمات الاجتماعية المتنوعة حتى يتسنى زيادة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ويظهر مثل هذه الحالة إذا أصبح المجتمع أو الذين يتولون أمورهم مقتنعين بأن رفاهية الفرد بجانب حفظ النظام والأمن القومي من الأهمية بمكان، حتى أنه لا يمكن تركها للتقاليد أو التنظيمات غير الرسمية والمشروعات الخاصة، بل هي مسؤولية الحكومة. وينطلق التزام دولة الرفاهية بتحقيق الرفاهية الأساسية لأعضاء المجتمع من قناعة الدولة أو الشعب بالحقيقة التي تؤكد على الدور الهام لرفاهية الفرد في حفظ النظام والأمن القومي.

ويقابل دولة الرفاهية التي تقوم بأداء الخدمات، التي يتطلبها المجتمع الدولة الحارسة (Gendarme State) وهي التي تقتصر وظيفتها على وضع القواعد لصيانة النظام في المجتمع.¹⁴ هناك تعريف آخر يطلق على دولة الرفاهية اسم الدولة الرعوية وهي:

" إن الدولة الرعوية هي هيئة تسلطية تدعي الحق في إخضاع الفرد وحقوقه إخضاعا كاملا لمصلحتها، وتزعم بأنها المقاول أو رب العمل الرئيسي ومزود المجتمع بالخدمات التي يحتاجها في آن واحد وبكلمات أخرى، فإن الدولة الرعوية

¹⁴ احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص 446

تستحوذ على مهمات اقتصادية شاملة وتسهر على مصلحة المواطنين بتزويدهم بالخدمات الأساسية كالصحية منها والتربوية والإسكانية¹⁵.

ويعرف البعض دولة الرفاهية كالآتي: " مصطلح يشير إلى قيام الدولة بتقديم خدمات وتأمينات اجتماعية ومعونات إلى أفراد المجتمع بما يحقق ارتفاع مستوى المعيشة أو ضمان حد أدنى لها. وينطلق هذا المفهوم من: حق كل إنسان في الحياة الكريمة, ومن نظرة اجتماعية وإنسانية قوامها وجود رابطة قوية بين رفاهية (طيب العيش) الأفراد ورفاهية المجتمع, وتشمل الخدمات والتأمينات في دولة الرفاهية؛ التعليم، الصحة، ومستوى من الدخل وتوفير العمل والتأمين ضد العجز والشيخوخة على سبيل المثال لا الحصر ولا تعتبر دولة الرفاهية اشتراكية بالضرورة على الرغم من وجود سمات مشتركة¹⁶. فالتعريف المتقدم يصف دولة الرفاهية بالدولة التي تقدم إلى أفراد المجتمع خدمات وتأمينات ومعونات, وذلك إما لتحقيق ارتفاع مستوى المعيشة أو لضمان حد أدنى للمعيشة وينطلق التزام دولة الرفاهية بتقديم تلك الخدمات والتأمينات والمعونات من حق كل إنسان في الحياة الكريمة, ومن نظرة اجتماعية وإنسانية تقوم على أساس وجود علاقة قوية بين رفاهية الأفراد والمجتمع. كما يذكر التعريف بعض الأمثلة لتلك الخدمات والتأمينات والمعونات مما يؤكد على اختلاف كم ونوع ومجال الخدمات والتأمينات والمعونات من دولة رفاه معينة إلى دولة رفاه أخرى, وينبئ التعريف إلى أن دولة الرفاهية لا تعتبر اشتراكية بالضرورة على الرغم من وجود بعض السمات المشتركة بين الدولة الاشتراكية ودولة الرفاهية والتي تكاد تتلخص في أصل التزام الدولتين بتقديم الخدمات والتأمينات والمعونات المذكورة لكن من منطلقات وتفسيرات متباينة وتمويلات مختلفة لتلك الخدمات والمعونات ونظام اقتصادي

مختلف.¹⁷

¹⁵ عامر رشيد مبيض، موسوعة الثقافة السياسية والاجتماعية والاقتصادي والعسكرية، مصطلحات ومفاهيم، ص 720

¹⁶ عبد الوهاب الكيلاني. كتاب موسوعة السياسة- الجزء الثاني ص 713

¹⁷ عبد الوهاب الكيلاني. كتاب موسوعة السياسة، الجزء الثاني ص 713

هناك من يربط بين دولة الرفاه من جهة والاشتراكية أو الديمقراطية الاجتماعية أو اليسار أو اليسار الوسط أو اليسار الجديد أو الوسط أو الطريق الثالث أو الرأسمالية الخيرة أو الليبرالية أو النيوليبرالية اليسارية أو زيادة الضرائب أو حزب العمال في المملكة المتحدة أو الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية، ويقابله من يربط بين الدولة الحارسة من جهة والرأسمالية أو اليمين أو النيوليبرالية اليمينية أو المحافظين الجدد أو تخفيض الضرائب أو الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة الأمريكية أو حزب المحافظين في المملكة المتحدة من جهة ثانية. يبدو أن ذلك الربط على إطلاقه ليس بصحيح كما هو واضح من المصادر المذكورة إضافة إلى أنه لا توجد دولة رفاهية مطلقة كما لا توجد دولة حارسة بالشكل المطلق للدولة الحارسة¹⁸

إن من الضروري وضع مفهوم لمصطلح " دولة الرفاهية " فلا يمكن مطلقا مناقشة محور دولة الرفاهية في الواقع الاجتماعي من دون أن نعرف ماذا تعني بالتحديد كلمة " دولة الرفاهية " والتي تعني العديد من المفاهيم حتى في الفكر المعرفي الغربي. تحديد مفهوم المصطلح سيسمح بالإيغال في موضوع دولة الرفاهية التي تختلف صدقيتها من دولة إلى أخرى، فالتجربة السويدية غير التجربة الفرنسية وهذه الأخيرة في نمطيتها غير التجربة الدنماركية. كما أن هذه التجارب تختلف عن التجربة الخليجية.

دولة الرفاهية هي ليست تركيبة اجتماعية وتاريخية في كل من مضمونها المادي والتأويلي فحسب، لأن من شأن ذلك أن يلمح ضمنا إنها موجودة خارج أزمة رأس المال العالمية، وأنها حل مستدام للتناقضات الطبقيّة الداخلية وتقف فوق سماء التناقضات الطبقيّة الدولية الواضحة من خلال العلاقات الدولية، دولة الرفاهية هي نتاج التاريخ أولا وصانعه ثانيا، والسياق

¹⁸ فؤاد، عباس. الإسلام مع الدولة الحارسة أم مع دولة الرفاهية؟

والتمييز مهمان بقدر ما تعزز دولة الرفاهية التطور المتدرج لثقافة نزعة إنسانية من جهة، وبقدر ماهية جوهرها خاضعة على نحو أوضح لقاعدة حكم رأس المال كعلاقة اجتماعية، من جهة أخرى. من هنا فإنها باستثناء دول الرفاهية الحيادية الصغيرة الإسكندنافية، ديمقراطية اجتماعية ترشو طبقاتها العاملة لتخصصها أو لتذهب بها في نهاية الأمر الى الحرب كما فعلت كثيرا منذ الحرب العالمية الاولى¹⁹.

لكي تكون دولة رفاهية، لا بد أولا من دولة و لا أي دولة، كأن تكون بلدية أو إمبراطورية لا مركزية، بل ينبغي أن تكون دولة أمة. وكبحث في نموذج الدولة القديمة، فإن الدولة الأمة شكل خاص من التنظيم الاجتماعي متشابك مع نهوض مرحلة تاريخية محددة جدا من مراحل الرأسمالية. ولذلك ليست الدولة الأمة شيئا خارجيا بالنسبة إلى ارتباط رأس المال، إنها مظهر أساسي لوجود الطبقات في المجتمعات الصناعية الحديثة، إنها تركيبة حقوق وسلطة معتمدة على درجة الأزمة وميزان القوى بين الطبقات فيها. ولئن كان موضوع الرأسمالية حكم رأس المال، فلا يمكن للدولة الأمة أن تكون مستقلة عن رأس المال، إذ حتى تطيح الطبقة العاملة البورجوازيات الحاكمة، فإن رأس المال كارتباط اجتماعي يبقى ما دامت الدولة تصون الإكراه الناشئ من عملية العمل الرأسمالي ونظام الأجور. والدولة الأمة؛ وهي كذلك حقا عند هذا المستوى من التجريد؛ هي إما بورجوازية بالوكالة وإما بورجوازية مجسدة في جسد جديد²⁰.

في أوائل القرن التاسع عشر دفع المزيد من التعليقات المحابية للحقوق؛ أي ما زاد عن التعليقات المؤيدة لطبيعة سلطة الدولة، وكانت الدولة الامة على الاغلب "تحقيق الروح" أو "الوجود الفعلي للفكرة الأخلاقية"²¹. في ذروة زمن المقاربة القائمة على الحقوق أواسط القرن

¹⁹ القادري، علي. (2006) دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 35.

²⁰ القادري، علي. (2006) دولة الرفاهية الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 35.

²¹ - Georg Wilhelm Friedrich Hegel, The Philosophy of Right, Oxford University Press, 1952.

التاسع عشر، أصبحت " دولة مستقلة, دولة تكون سلطة قوانينها في إرادة الشعب في تلك الدولة" ²².

كان العصر العالمي زما كان فيه العمل المؤثر الذي كتبه " إيسبنغ – أندرسون " وهو العوالم الثلاثة (رأسمالية الرفاهية) يقسم عالم الرفاهية الى عناقيد في محاولة لربطها في الخلفية بالحقيقة الحاسمة في النهاية عن محاسبة كبرى وتوزيع الدخل²³.

يقدم غورنيك وجاكوبس وصفا لهذا العمل :²⁴ تتضمن طوبولوجيا إيسبنغ – أندرسون: دولة الرفاهية الاجتماعية الديمقراطية، التي تضم مبدئيا بلدان الشمال، دول الرفاهية المحافظة (أو ذات النزعة الاندماجية) التي تهيمن عليها بلدان القارة الأوروبية (تمثلها : بلجيكا وألمانيا وهولندا) ودول الرفاهية الليبرالية (أو الباقية) (وتمثلها : كندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة) وفي نظام الحكم الديمقراطي الاجتماعي، تقوم الاستحقاقات على مبدأ الحقوق الكلية للمواطنة الاجتماعية وفي نظام الحكم المحافظ تقوم الاستحقاقات على أداء العمل وفي البلدان الليبرالية تستمد الاستحقاقات بصفة أولية من تقديرات حاجة الفرد²⁵.

لقد حولت السياسات الليبرالية الجديدة الضرائب المتصلة بجانب الإنتاج الى ضرائب على الاستهلاك, وأصبحت متغلطة الكلمات مثل " استهداف الفوائد " و " التقدير المبني على الحاجات " تحت نواقص وانعدام توازن معلوماتي حول البيع والشراء, والاختيار العكسي والخطر الأخلاقي. وتعين على الدولة أن تعيد الرفاهية بأرخص تكلفة ممكنة، كما تعين عليها ان

²²- Henry E. Allison, Kants Theory of Freedom (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1990

²³ - Gosta Esping – Andersen, The Three Worlds of Welfare capitalism (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990).

²⁴- Janet C. Gornick and Jerry A. Jacobs, " Gender, the Welfare State, and Public Employment: A Comparative Study of Seven Industrialized Countries" American Sociological Review, vol. 63, no.5. 1998, p. 692.

²⁵ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: مرجع سبق ذكره، ص 113.

تتعامل مع مشكلة تواؤم في الحوافز يمكن أن تحل بطريقة بنيوية قائمة على طبيعة المعلومات، وفي وقت حدوث النقطة الدنيا من هزيمة دولة الرفاهية، لم يذكر إلا القليل عن حقيقة أن معدلات الربح كانت صاعدة الى مستويات تاريخية غير مسبوقه وأن تفاوت المداخيل عالميا كان قد يصبح اكثر حدة ويمكن تلخيص الحالة الذهنية السائدة بهذه التعريفات الجديدة لدولة الرفاهية²⁶ ضمن المفهوم الدارج لبعض المفكرين وكالاتي:

* يقترح سنور (Snower) فواتير للصحة والتربية من أجل تحقيق فوائد للسوق الحرة، ومع ذلك تناول انعدام التوازي المعلوماتي عن الائتمان في هذه القطاعات²⁷.

*- يرى فيلبس (Phelps) دولة الرفاهية باعتبار أنها نظام من الاستحقاقات والفوائد، يبرره وجود معلومات غير موازية ونواقص في السوق، إنما لا يرى مع ذلك لماذا ينبغي أن لا يكون تأميننا من القطاع الخاص وهو يشير علاوة على هذا الى أن هذا الأمر يفضي الى وضع من نوع محنة السجن الذي فيه يتم تقويض الحوافز والدوافع الى العمل، الامر الذي يؤدي الى ارتفاع معدلات البطالة²⁸.

*- يدمج ليندبيك وآخرون " عام 1999م " دراسة نفوذ الاعراف الاجتماعية التي يعنون بها أثر البرهنة الميكانيكية (أو بتعريف أدق- الوصمة أو الاستهلاك الغامض السلبي) الذي فيه تزيد حوافز من يحصل على منافع أكثر (أو مضار أقل) من عمل ذلك : من المرجح أن تؤدي زيادة في عدد الأشخاص الذين يتلقون منافع الرفاهية الى إضعاف الأعراف الاجتماعية التي تدفع

²⁶- Fine, (Whither the Welfare State: Public Versus Private Consumption?.

²⁷ - D. Snower, " What is the Domain of the welfare State" London: Macmillan. 1996.

²⁸ - E. phelps. " on the Damaging Side Effects of the Welfare System: How, Why and What to Do " in: Baldassarri, baganetto and Phelps, eds. Ibid.

الى أن يعيش المرء على عمله, بالإضافة الى هذا فإن الأفراد الذين يعيشون على التحويلات العامة يمكن بمضي الوقت أن يقيموا وقت فراغهم أكثر²⁹.

كانت سياسات الدولة تتقرر بواسطة الناخب المتوسط, على الرغم من أن هذا يمكن أن يستكمل بنظرية عن النشاط السياسي توضع تكاليف اكتساب النفوذ ضد التيار الذي يتمثل في عمل هذا, وكما يشرح آزار لينديك : إن المحنة الأساسية لدولة الرفاهية هي انه كلما زاد سخاء المنافع كبر حجم الانحرافات الضريبية ليس هذا فحسب, بل أيضا عدد المستفيدين من هذه المنافع وذلك بسبب الخطر الأخلاقي والغش للحصول على المنافع³⁰.

إن نزع الطابع الاجتماعي على نطاق واسع عن الإصلاحات الليبرالية الجديدة في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين والتسوية اللاحقة في الرفاهية, توفر دليلا إضافيا يدعم الرأي الذي يذهب إليه مياسو (Meillassoux) والقائل بأن أزمة رأسمالية في غياب بديل أيديولوجي في طبقة عاملة متماسكة يفضي إلى تسليع تام للحياة الإنسانية تسليع سيرد فيه (العامل الحر) إلى حالة اغتراب كامل³¹.

²⁹ - A. Lindbeck, " Welfare State Dynamics "in: European Commission, The welfare State in Europe, Luxembourg, 1997.

³⁰ - A. Lindbeck. (Hazardous Welfare-State Dynamics) American Economic Review, vol. 85. No 2: 1995. P 9

³¹ - Claude Meillassoux, Maidens, Meal, and Money: Capitalism and the Domestic Community, Cambridge University 1981.

الدراسات السابقة للرفاه الاقتصادي والاجتماعي

مقدمة

الدراسات السابقة في الرفاهية تتناول مجمل السرد التاريخي لمفهوم الرفاهية وكيفية تطبيقها وتناولها من مختلف الفترات التاريخية القديمة والحديثة؛ وهي سجل لأحداث فكرية ضمن سياقات الطروحات كما في فكر أفلاطون أو تطبيقه كما في الاقتصاد الإسلامي أو الاشتراكية كما في تطبيق اشتراكية الكتلة الاشتراكية السوفيتية أو هي تطبيق الفكر الرأسمالي الان لمفهوم الرفاهية. هذه الدراسات عديدة ولا يمكن للباحث ان يلم بكل تفاصيلها بل سوف أتطرق الى الأهم منها، لانها تمثل برأي الباحث الافكار المثلى والهامة في المسيرة الأنسانية لتحقيق الرفاهية. ويقع الباب ضمن ثلاث مفاصل رئيسية ولها محاورها وكالاتي:

الدراسات السابقة للرفاهية في العصور القديمة³²

الدراسات السابقة وأعني بها الأفكار، التي تناولت موضوع الرفاهية كمبغى إنساني منذ القدم، وهذه الدراسات تناولت مفهوما كيفية تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع، ونجد هذه الدراسات في أفكار معظم المنظرين من الاقتصاديين أو الاجتماعيين أو رجال السياسة، هذه الدراسات مهمة جدا للوصول الى آخر الافكار الحديثة وإسوة بالعلم والمعرفة وتطوير أفكارها في كل المجالات والوصول الى فكر حديث كما قام به نيوتن، أنشتاين مثلا في اكتشاف وتطوير علومهم وهكذا، فالتطور العلمي مستمر. وسأتناول هذه الدراسات على شكل التالي:

المحور الأول دراسة بدايات الانسان

منذ نشوء الانسان ومجتمعه وهو يفكر في تحقيق نظام سياسي وأقتصادي لمجتمعه يكفل السعادة والطمأنينة لجميع أفراد المجتمع، وما زال الفلاسفة يخرجون للناس ثمرة تفكيرهم وخالصة آرائهم من شتى النظريات السياسية والاقتصادية التي يرون فيها صلاح الفرد

³² عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: مرجع سبق ذكره، ص 21.

والمجموع والسعادة التي ينشدها الانسان لانتحقق الا في مجتمع صالح، فالانسان مدني بطبعه ورفاهيته وسعادته رهينة برفاهية المجتمع وسعادته³³.

لقد نشأ الفكر السياسي عندما تقدمت المدينة واصبح الانسان على درجة من الوعي والتحضر تكفي لكي يفسر ظاهرة السلطة السياسية وان يبحث في اصلها واساس خضوع الافراد لها وان يعمل على تنظيمها بما يحقق خير الجماعة على احسن وجه³⁴.

تعتبر الافكار السياسية نتاج تفاعل عقل المفكر او الفيلسوف مع مجتمعه ومن ثم فانها غالبا ماتعكس لنا صورة هذا المجتمع في فترات نموه وازدهاره او فترات خموله وركوده. فالفلاسفة شعروا منذ اقدم العصور بما يعانيه الفقراء " وهم جزء من الفقر " من بؤس وحرمان، فنادوا من اجل تحقيق العدالة والانصاف بين جميع افراد المجتمع، باقامة مجتمع يختلف كل الاختلاف عن المجتمع القائم تسود فيه الرفاهية والسعادة والعدل بين الجميع. وقد جسد هذا الاتجاه المفكرين التاليين³⁵:

أولا الاتجاه المثالي قد ظهر في الصين القديمة على لسان (كونفوشيوس)³⁶، في القرن الخامس قبل الميلاد. أما ثاني هؤلاء المفكرين، فنه افلاطون³⁷ الذي نادى من خلال كتابه (الجمهورية) وفي القرن السادس عشر تجددت المحاولة حيث أخرج (توماس مور)³⁸ كتابا اسماه (يوتوبيا) سنة 1516م أفرغ فيه مقترحاته بشأن نظام يماثل جمهورية افلاطون المثالية، تلغى فيه الملكية الفردية وتحل محلها الملكية الجماعية للاموال وفي ذات الوقت يبقي على نظام الاسرة والزواج. وتوماس مور بعد ان وصف المجتمع المثالي في مؤلفه يوتوبيا التي تعني

³³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: مرجع سبق ذكره، ص 165.

³⁴ نفس المرجع السابق ذكره، ص 165.

³⁵ نفس المرجع السابق ذكره، ص 165.

1- هواول فيلسوف صيني بفلح في اقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والاخلاقي فلسفته قائمة على القيم الاخلاقية وعلى ان تكون هناك حكومة تخدم الشعب (الباحث)

³⁷ - (427-348 ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي رياضياتي كاتب عدد من الحوارات الفلسفية وكان تلميذا لسقراط (الباحث)

³⁸ - كان قائدا سياسيا ومؤلفا وعالما انكليزي يتنكر عادة لمفهوم اليوتوبيا او المدينة الفاضلة في كتابه اليوتوبيا , (الباحث)

الجزيرة التي لا وجود لها في اي مكان لم يتعرض للوسائل العلمية الكفيلة بتحقيق هذا المجتمع في العالم الواقعي ولم يفصح حتى عن رغبته في تحقيقه.4- وفي القرن السابع عشر ظهر كتاب عنوانه مدينة الشمس للايطالي (كامبانيا) 39.5- ثم تعددت المحاولات الاشتراكية بعد ذلك وهي وان كانت بعيدة عن المثالية الا انها اطلق عليها ذات التسمية تمييزا لها عن الاشتراكية العلمية التي ترتبط باسم كارل ماركس.40

فالالاتجاه المثالي يصدر عن الشعور بعدم الاقتناع او بعدم الرضا بالاوضاع القائمة والرغبة في اقامة نظام مثالي يتلافى عيوب النظام الموجود ويخلق المزايا المنشودة، فالفكر المثالي يقوم على اساس البحث النظري او الخيالي او المجرد، اذ يبني المفكر نظاما مثاليا يؤسسه على بعض المبادئ الاساسية المستقاة من الواقع الموجود ومن ثم يركز اهتمامه على المبادئ العامة والافكار المجردة التي يقيم عليها النشاط الاجتماعي للأفراد في علاقتهم ببعضهم البعض وفي علاقتهم بالسلطة الحاكمة.41

المحور الثاني: الدراسات في العصور القديمة
وقد عرجت على مجمل الدراسات التي تتناول رفاهية الفرد والمجتمع في العصور القديمة ووجدت هذه الدراسات في المجالات الفكرية الآتية:

راجعت جميع النصوص التاريخية القديمة من العصور المشاعية والحجرية مستفيدا من النصوص المستقاة في الكهوف على شكل رسوم وبيانات كلها تعني بالدرجة الاولى حاجة الانسان وكيفية الحصول عليها وخبزنها تحقيقا لاشباع رغباته مستقبلا.. اذاً فالفكر الانساني كان

- (1568-1639 م) فيلسوف وشاعر ايطالي، كتابه مدينة الشمس، تخطيط لمجتمع مثالي على زعمه تسوده الاشتراكية الطوباوية. (الباحث)

40 -مصطفى قلوش - الحريات العامة , الجز الاول الحريات العامة في المذاهب المعاصرة, طبعة 1999-2000 القاهرة
41 -مصطفى سيد احمد صقر- نظرية الدولة عند الفارابي- مكتبة الجلاء الجديدة المنصورة- طبعة 1989

عبارة عن دراسة يومية في تحقيق الذات للرفاهية وتعتبر هذه اول دراسة في الفكر الانساني
ويليه قانون حفظ الذات الذي يعتبر اول قانون انساني وضعي مستمد من الغريزة الالهية.
الحضارات التي تلت بعد العصر المشاعي والحجري هي حضارة وادي النيل وحضارة
وادي الرافدين وحضارة وادي السند في الهند وكذلك الصين، كل الدراسات التي تناولت الرفاهية
كانت مرتبطة بالاله حتى القوانين الوضعية التي كانت تتناول حاجات الانسان واشباع رغباته
تحقيقا للرفاهية كانت مستمدة من الذات الالهية .. وقد تجلا ذلك في القرآن الكريم لاحقا ورزقكم
في السماء وما توعدون⁴².

دراسات سابقة لدولة الرفاه الاجتماعي بالدول العربية دراسة حالة دولة الامارات
تركز معظم الدراسات التي تناولت الموضوع رفاه الاجتماعية خصوص تلك الدراسات
التطبيقية التي اجريت في البلدان المتقدمة بيد انه اجريت عدة دراسات لتوسيع الاهتمام بأشكاله
الرفاهية الاجتماعية لدى الدول النامية سواء في أمريكا اللاتينية وأروبا الشرقية الوسط الى ان
الاهتمام بدولة الرفاهية الاجتماعية في المجتمعات العربية.

نجد بدايته في سياق سبعينات في محاولة للاهتمام دولة بمواطنيها في سياق فلسفة
السوق، إلا ان دراسات حول الطبع الدول الرفاه في المجتمعات العربية ظل محط جدل وتساؤل،
بين الدولة الرفاه الاجتماعي ودولة الرعاية الاجتماعية الى ان هناك مساهمة جدة من الباحثين
المهتمين بقضية الرفاه الاجتماعي من خلال عقد ندوات فكرية في محاولة فعليا لتقعيد لدولة
الرفاه الاجتماعي فيالمجتمعات العربية على المستوى نظري والتطبيقي.

في هذا سياق عقد مركز الدراسات الوحدة العربية ندوة فكرية بتعاون مع المعهد
السويدي بالإسكندرية ندوة بعنوان دولة الرفاه الاجتماعية بالإسكندرية وذلك يوم 27 تشرين

42 - القرآن الكريم. سورة الذاريات، الآية 22

2006 والتي تما اصدها من طرف مركز الدراسات الوحده العربيه بعنوان دولة الرفاهيه الاجتماعيه والتي سعى من خلالها استفادت الدول العربيه من التجربه السويديه والى منظومات دولة الرفاه الاجتماعيه في الدول المتقدمه صناعيا سواء الرأسماليه منها أو الاشتراكيه وكذلك التعرف على بعض تجارب الدول الناميه النفطيه وغير النفطيه⁴³

وذلك لاستخلاص درس والعبر حول إشكاليه الدوله الرفاه الاجتماعيه بالدول العربيه في افق الوصول الى المستوى المنشود لمواطنيهها في مجال الرفاه الاجتماعيه هذه الندوه التي واكبتها الدراسات لباحثين من مختلف الدوله العربيه أبرزها الدراسه أحمد عزالدين محمد بعنوان دولة الرفاه في مصر 1990/ 2005 دراسه مقارنة هذه الدراسه التي خلص فيها الباحث الى تشابه على المستوى النظري بين النظام المصري والنمط الأمريكي اللاتيني والتركي والصيني⁴⁴ الى ان دراسه كشفت خلال على مستوى التطبيق او تنزيل فلسفه دولة الرفاهيه الاجتماعيه على مستوى الواقع وهذا اتضح في نتائج التي خلاصه لها الدراسه وتوصيتها⁴⁵

• الفجوة بين الأهداف المعلنة للحكومة وتحقيقها على مستوى الواقع وذلك يتجلى في سواء الإدارة والرصد الضعيف والتخصيص غير الفعال للموارد والفساد وغياب تقييم الخدمات على مستوى دول الناميه خاصه في قطاع التعليم.

• التفاوتات على مستوى الجنسين على نطاق واسع، تم التفاوتات على مستوى الريف والمدينه من خلال توجيه معط البرامج الى المدن مع اهمال المجال القروي⁴⁶

تقرير عن الندوه دولة الرفاهيه الاجتماعيه الإسكندريه 28 30 تشرين الثاني نوفمبر 2005 المستقبل العربي لبنان ياسين⁴³ صياح 2006 نشر

44 أحمد عزالدين محمد دولة الرفاه في مصر 1990 2005 الدوله الرفاه في مصر ص 14

45 احمد عزالدين محمد المرجع سابق ص 14

46 احمد عزالدين محمد المرجع سابق ص 14

• ينبغي تحليل حجم القطاع غير المنظم وأليات عمله بهدف تقييم أثره في ضمان الرفاهية.

• ادراج مؤسسات الأمان الاجتماعي التقليدية كالعائلة والمؤسسات الدينية في تحليل أنظمة الرفاه بطريقة أكثر منهجية نظرا لانتشارها في البلدان النامية وأثرها الكبير في نزع صفة التسليح وفي التقسيم الطبقي الاجتماعي⁴⁷

• القضاء على نظام المحسوبية والعمل بنظام اندرسون لتأسيس فلسفة دولة الرفاهية الاجتماعية

الى جانب هذه الدراسة دراسة رشيد بن بيه بعنوان تصنيف نمط الرفاه الاجتماعي المغربي باعتماد منظور النوع الاجتماعي والتي رأى فيها ان المغرب ينتمي لنظام رفاه هجين غير مكتمل تزايد هشاشته في طور التحول الى النمط الليبرالي بالنظر الى دينامية تراجع دور الدولة التي تعتبر عنها إجراءات الخصخصة وصعود دور القطاع الخاص وسوق خدمات عناية اجتماعية مسلعه يقصي الفئات الأكثر حاجة الى الرفاه الاجتماعي من الخدمات التي توفرها⁴⁸ هذه الدراسة التي خلصت الى ان نمط الرفاه الاجتماعية بالمغرب نمط تقليدي غير مؤسستي وذلك راجع للاعتبارات التالية الى اشر اليها الباحث :

_بقاء المرأة في المنزل للتكفل بالعائلة أو عملها وتكفلها في الوقت نفسه بتقديم خدمات العناية الاجتماعية .

_ غياب دور المؤسسات العمومية في التكفل لخدمات العناية الاجتماعية من شأنها ان تخلص المرأة من أعباء تربية الأولاد.

⁴⁷ احمد عز الدين محمد المرجع سابق ص 14

⁴⁸ رشيد بن بيه، تصنيف نمط الرفاه الاجتماعي المغربي باعتماد منظور النوع الاجتماعي إضافات ص 2

_ غياب التقسيم للمسؤولية بين الاسرة والمؤسسات العمومية والرجل والمرأة في تحمل

الأعباء

الى ان هذه الدراسات تدخل في إطار الدول الغير النفطية كحالة المغرب المصنفة ضمن نظام الرفاه الاجتماعي تقليدي وبين نظام الرفاه اجتماعي بمصر قائم على التناقض بين التصور النظري والتطبيقي ، اما التصور الثاني هو التصور لدول النفطية التي ساعدت الى تأسيس الرفاه الاجتماعية على أساس عائدات النفط ، في ذات سياق نستحضر مداخلة حافظ زياد بعنوان الأوضاع الأقطار النفطية وغير النفطية في إطار الندوة التي نظمها مركز الدراسات الوحدة العربية بمصر (2005) بعنوان دولة الرفاه الاجتماعية حيث دعا في مداخلته الى التميز بين دولة الرفاه الاجتماعي ودولة الرعاية الاجتماعية مبرر ذلك بكون دولة الرفاه الاجتماعية مأسسة على العقد الاجتماعي بين الدولة والقائمين عليها والتي تسعى الى توفير الحد الأدنى من الخدمات الصحية والتربوية وشبكة الحماية الاجتماعية ومنها الضمان الاجتماعي بالإضافة الى طبع الالتزام الذي يميزها في تنزيل سياسية الاجتماعية بينما الدولة الرعاية الاجتماعية تستمد جميع او معظم مداخلها من الأنشطة الريعية⁴⁹ مما يجعل الرفاه الاجتماعي كإحسان او خير تقدمه الطبقة الحاكمة كمبادرة لتوزيع ريع على رعاياها مما يعفي النخب الحاكمة التي تعمل على توزيع الريع دون مسؤولية او محاسبة لان دولة الرفاه الاجتماعية تأسست على تعاقد اجتماعي وليس على توزيع الريع على رعايا القائم على معطى القرابة.

غيران التميز بين الدولة النفطية وغير النفطية التميز مهم وأساسي رغم ان جميع الدول العربية تعمل على توزيع الريع، الى ان هناك اختلاف في ما بينها ويتجلى ذلك في حجم ريع الذي

حافظ، زياد، أوضاع الأقطار النفطية وغير النفطية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية دولة الرفاهية الاجتماعية مركز دراسات الوحدة العربية مص الإسكندرية نوفمبر 2005 ص 4 .6

توزعه هذا الاختلاف أشر اليه برنامج التنمية للأمم المتحدة ان مجمع الاقتصاديات العربية هي اقتصادات ريع ويتأثر بتقلبات أسعار النفط وليست اقتصادات انتاج، فحتى النفط التي تنتجه مثلا دول مجلس التعاون الخليجي يد عاملة اجنبية هي التي تنتج النفط وتحرك الأسواق الداخلية اما الدول الغير النفطية والتي سبق ان اشرنا اليها فانها لا تختلف عن دول مجلس التعاون من حيث تبني مفهوم الرعاية الاجتماعية بدل مفهوم الرفاهية الاجتماعي والتي تعتمد في غالب الأحيان على مواقع الاستراتيجي والسياحة والمساعدات المالية التي يقدمها الصندوق النقد الدولي ، والعائدات المالية للجالية الى ان كما قلنا ان الاختلاف في دراجة الانفاق حسب التوجه الذي اخذه حافظ زياد .

الى ان المداخلة عزالدين محب في سياق ندوة التي اعتماد فيها مقاربة اسبينغ اندرسون في ادراج مصر مثلا في صنف من أصناف الرفاهية الاجتماعية معتمد على تحليل العلاقة بين الدولة والسوق والمجتمع، والتي ميز فيها بين القطاع المنظم والقطاع الغير المنظم ما يجعل القطاع الغير المنظم عرضة للمحسوبية وزبونية في تقديم الخدمات الاجتماعية وهذا ما يكسب أطروحة حافظ زيد في اجراتها بكون رعاية الاجتماعية في المجتمعات العربية قائمة على ريع وزبونية.

الدراسات سابقة حول الرفاهية الاجتماعية بالدولة الإمارات:
الدراسات السابقة التي اعتمدت عليها الدراسة في أدبيتها هي تلك الدراسات التي تناولت مجالات الرعاية الاجتماعية المختلفة والدراسات التي تدور أدبيتها حول الدور التنموي للرعاية الاجتماعية في المجتمع الإماراتي والدراسة التي تناولت معنى الرفاهية والاسس التي تقوم بها.
أولا: الدراسة (حمدي، 2005) اهتمت الدراسة بتحسين نوعية الحياة المسنين من خلال تحديد العلاقة بين خدمات الرعاية الاجتماعية وتحسين نوعية الحياة للمسنين المقيمين في دور

الرعاية الاجتماعية واكد الباحث العلاقة بين المتغيرات الديمغرافية الخاصة بالمسن ونوعية تحسين حياته.

تم الدراسة (النجار وآخرون 2006) تناول في مداخلته المفاهيم التي تستدعي التفسير الدقيق لمسألة دولة الرفاهية الاجتماعية في ظرفية التي تمر منها المجتمعات العربية وما أصاب الفكر الاقتصادي من تحولات⁵⁰

(العموش 2012) تناول واقع المسنين من خلال في دولة الامارات العربية المتحدة والمشكلات التي يعانونها واهم ما يميز هذه الدراسة انها دراسة مست الواقع الفعلي لمسنين من خلال البحث الميداني واستطاعت ان توضح نقطة مهمة هي ان معظم المشكلات التي يعانيها المسنون في دولة الامارات تتعلق بالجوانب النفسية والاجتماعية.

خامسا (حمزاوي وعبدربه 2012) اهتمام الدراسة اتجه نحو المنظمات الاجتماعية كأحد مكونات نسق الرعاية الاجتماعية في اشباع الاحتياجات الأساسية في كل دولة الامارات وسلطنة عمان والمعوقات والصعوبات التي تواجه المنظمات الاجتماعية العاملة في مجال الخدمات الإنسانية في كلتا الدولتين تأتي هذه الدراسة كونها شكلت إضافة في مجال الدراسات التي تهتم بمنظمات الرعاية الاجتماعية.

يمكن القول ان دراسة سابقة تبنت الرؤية تحليل ماذا نجعت الخدمات الاجتماعية التي تقدمها دولة الامارات لمواطنيها لكن ما هي غائب هو تحليل علاقات الدول بسوق وبتغيير رفاهية المواطنين،

⁵⁰ عثمان سراج الدين فتح الرحمن، المرجع سابق نفسه ص المرجع سابق نفسه 4.5

الدراسات الفكرية المكتوبة؛ كل ما ذكر في اعلاه من الدراسات هي من وضع خيال الكتاب في موضوع الرفاهية، والان سوف اعرج على مجمل الدراسات المتحققة من قبل المفكرين منذ اواخر العصر القديم التي تتناول العدالة والرفاهية.

الفكر الاقتصادي والسياسي والاجتماعي عند أفلاطون

الفكر الاقتصادي عند أفلاطون

عرف الفكر الاقتصادي في اليونان القديم تطورا ملحوظا في القرن الخامس الميلادي، نتيجة للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في اثينا، ونتيجة للتوسع الكبير الذي حدث في اثينا والبنية السياسية الديمقراطية التي سادت تلك المرحلة (ديمقراطية السكان الاحرار). وهذا ماكان مسيطرا على حركة الافكار سواء ماجاء به أبناء اثينا او ماجاء به الاجانب الذين استضافتهم. ولكي نعيد بناء الايديولوجية والنظام الاقتصادي لدولة اثينا، نجد انفسنا ملزمين ان نستقي ذلك من اعمال أفلاطون وأرسطو والفلاسفة والمفكرين العظماء في الحضارة اليونانية، بل واحيانا لابد من العودة الى الفلسفة والشعر والادب اليوناني، وتنظيم هذه الافكار حول اهم الظواهر والمشكلات الاقتصادية والفعالية والنشاط الاقتصادي لدى المجتمع اليوناني. وسنحاول فيما يلي مناقشة الافكار الاقتصادية لدى الفيلسوف اليوناني أفلاطون.

ولد الفيلسوف اليوناني أفلاطون Plato نحو عام 427ق.م وكان والده من اشراف اليونان في ذلك العصر. كان أفلاطون تلميذا للفيلسوف سقراط لمدة تزيد على خمس سنوات وتعلم منه (ان الفضيلة هي المعرفة) لذلك وبعد وفاة سقراط رحل افلاطون متوجها الى مصر بحثا عن المزيد من العلم والمعرفة، ثم انتقل بعدها الى صقلية.وعندما عاد الى اثينا رغب اليه اهلها في استلام حكمها الا انه رفض ذلك متأثرا بمعلمه سقراط في مجال الزهد، وتأكده من ان قناعاته تخالف قناعات الأثينيين.

كانت الحياة السياسية والاقتصادية لدى اليونان القديم مرتبطة تماما بوجود المدينة التي كانت تقوم بالدور ذاته الذي تقوم به دولنا المعاصرة، ومع اختلافها عنها اختلافا جذريا، والمدينة لدى اليونانيين وحدة سياسية اقتصادية لا تقتصر على مراكز المدن بل تمتد لتشمل الريف ايضا، والمدينة هي (التنظيم السياسي والاجتماعي الموحد لارض محدودة يمكن ان تضم مدينة واحدة او عدة مدن كما تضم رقعة الريف الذي يرتبط بها)⁵¹

لقد كانت اثينا على سبيل المثال مجرد مركز اقليم زراعي وعندما ازدهرت الحرفة وانتشرت تحولت الى مركز حرفي، ثم في وقت ازدهار التجارة اصبحت سوقا ومستودعا تجاريا ولكنها ظلت المدينة التي تجملها الاعمال الفنية وتحسنها التأملات الفلسفية وساحاتها مركزا للمهرجانات المسرحية؛ فالمدينة هي الاولى دائما وفي كل مكان، اما الانسان فهو ما يعنيه عليه دوره المدني.

لقد وضع افلاطون توجهات وارشادات تتبع في كثير من جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ومن خلال المؤلفات التي انجزها نستطيع ان نستخلص بعض الافكار الاقتصادية التي سادت الحضارة اليونانية القديمة.

الفكر السياسي والاجتماعي في فكر افلاطون
لقد تاثر افلاطون في مبادئه وعقيدته السياسية بالتاريخ العريق لبلاده وبخاصة الانظمة السياسية التي سادت فيها. لقد تطلع افلاطون الى ماضي الدولة اليونانية المجيدة واقتبس منه آراءه فأخذ ليكر غوس الاسبرطي نموذجا له في كتاباته الاولى ويظهر في كتابه (الجمهورية) ولكنه عندما رأى ان النظم الاسبرطية تنقصها الثقافة العلمية اراد ان يدعم فضائلها العسكرية والطبيعية بالتعاليم الفلسفية والخلقية وبحكومة من المثقفين. ولما رأى اخفاق

⁵¹- جان توشار، تاريخ الافكار السياسية، ترجمة د. ناجي الدرواشة، وزارة الثقافة، دمشق 1984، ج 1، ص 19

اسبارطة في قيادة الولايات الاغريقية بعد انتصارها في حروب البيلويونيز، حول نظره الى اثينا وترك اسبارطة فتعدلت آراؤه الاولى ويظهر ذلك في كتابه (القوانين) اذ اقتبس كثيرا من تشريعات (سونون) الاثيني واصلاحاته⁵².

ومع ان معظم آراء أفلاطون ونظرياته تبقى خيالية ولاتفيدنا في حياتنا المعاصرة؛ الا

انها اشتملت على كثير من الحقائق أهمها:

العدل اساس الملك.

الفضيلة قوام الدولة.

اساس الفضيلة هو التربية والتعليم.

وضع مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد.

الاعتزاز بالوظيفة.

الحكم فن يحتاج الى خبراء مدربين.

هذه هي بعض الافكار في الاقتصاد والسياسة والفلسفة والاجتماع، والتي استطعنا ان

نصل اليها في نتاج أفلاطون الفكري العظيم.

اما الانسان في نظر أفلاطون فيتكون من : العقل، الميول الخيرة او الشريرة. لكن بنسب

متفاوتة ومتحولة وفي كل مجتمع من المجتمعات تسيطر احدى الفئتين، فئة الميول الخيرة أو

فئة الميول الشريرة، واحيانا تسيطر كلتاهما في ظل رقابة العقل وسيادته. وللحصول على انسان

عادل من الهام ان تقوم مدينة فاضلة عادلة، يوضح هذا العلاقة بين الانسان والمجتمع وبين

الانسان والنظام الاقتصادي الاجتماعي القائم ويرى افلاطون ان مجموعة سكان المدينة الاحرار

⁵²- نعيصة, يوسف جميل. د. تاريخ الفكر السياسي, جامعة دمشق, مطبعة رياض, دمشق 1982, ص113

لن تتكون من مجموعة من الافراد متجانسة، بل تتكون من ثلاث طبقات متميزة بوضوح يحقق تعايشها واجتماعها معا نوعا من التكامل. والطبقات الثلاث هي :

طبقة الحكام الرؤساء وخير ما يجب ان يتميزوا به هو الحكمة.

طبقة المساعدين او المحاربين(الجنود) المتصفين بالشجاعة, ومهمة الجنود المتصفين

بالشجاعة هي الدفاع عن المدينة وحمائتها.

طبقة المنتجين وتضم كل من يعمل بالنشاط الاقتصادي, الحرفيين والفلاحين واصحاب

العمل والعمال ومهمتها خلق السلع والخدمات لاشباع الحاجات المادية للمدينة. ويطلب من هذه

الطبقة الصناعة والاعتدال ومقاومة شهواتها.

جدير بالذكر ان افلاطون لايفرق بين الرجال والنساء، بل يرى ان يعامل الجميع رجالا

ونساء معاملة واحدة، اما بالنسبة للعبيد فإن افلاطون لم يصنفهم في اي من الطبقات الثلاث؛ فقد

تركهم خارج هذه الطبقات و عدهم (أدوات ناطقة من أدوات الانتاج)⁵³

ليس من السهل تحديد العناصر التي تقوم عليها النظرية المثالية وخاصة نظرية المثل

عند افلاطون. هذا الأخير عمل على البحث عن الحقيقة اكثر مما عمل على عرضها والبرهان

عليها، بالاضافة الى ذلك فان فكر افلاطون فكر دينامي وتشكل نظرية المثل نقطة انطلاق ومرتكزا

اساسا لفلسفة افلاطون بجملتها وهي ناتجة عن استخدام الاستقراء السقراطي والجدل

الافلاطوني.⁵⁴

عمل افلاطون على احلال نظام سياسي يقوم على العدالة ويسير وفقا للمبادئ الفلسفية

فقد وضع نظام جمهوريته في عهد ازدهار (اسبرطة) وتغلبها على اثينا وقد راقه النظام

الاسبراطي بما فيه من انضباط هو ثمرة التربية البعيدة عن كل ميوعة والتمرس البعيد عن كل

⁵³- مصطفى العبد الله الكفري, أفلاطون والافكار الاقتصادية, الحوار المتمدن, العدد 969, 2004
⁵⁴- بدوي, عبد الرحمن- خريف الفكر اليوناني- مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, الطبعة الثالثة, 1959- ص121

ضعف، فافلاطون في محاور الجمهورية يقصد تجديد صورة الدولة المثالية، التي تتحقق فيها العدالة الاجتماعية، من حيث هي فضيلة النفس الفردية. ونظام يتعلق بالدولة، فأوجب عليه هذا المقصد ان يفسر طبيعة الانسان وبيان تكوين الدولة على حد سواء ليتمكن من تحديد الظروف الواجب توافرها كي تتحقق العدالة في كل منها. سيطر التيار الافلاطوني على الفكر المسيحي، بدءا بالقدّيس أوغسطين بعد ان قرأ مؤلفات افلاطون واستمر هذا التيار الافلاطوني. كما اثرت فكرة (المدينة الفاضلة) في الفكر العربي الاسلامي، واول من كتب في هذا الموضوع (أبو نصر الفارابي) الا انه وظف المفهوم الافلاطوني في سياق اسلامي. بحث في كتابه (آراء اهل المدينة الفاضلة).⁵⁵

لقد تصادف ميلاد افلاطون سنة 427ق.م مع بداية حرب البوبونير التي دامت ثمانا وعشرين سنة بين اثينا وأسبرطة وسواء خلال هذه الحرب او بعدها عرفت اثينا تأججا للصراعات السياسية وتعاقبا لاشكال مختلفة من الحكم ساهمت جميعها في زعزعت الاستقرار الداخلي وتقويض دعائم الحياة القبلية، التي كانت سائدة في مرحلة سابقة، فبعد فترات من الحكم الطغياني تشهد اثينا عودة الى النظام الديمقراطي، الذي كان قد بلغ أوج ازدهاره في عهد بركليس، لم يضع حدا نهائيا لمظاهر التقهقر والفساد التي كانت تسود الحياة السياسية حسب افلاطون فهذا النظام ضد (طبيعة الامور) يستحيل معه وجود نشاط سياسي نزيه لانه يمثل انقلابا نحو الاسوء وتجدر فيه المفاهيم والقيم من معانيها الحقيقية.⁵⁶

⁵⁵ -مصدر سابق (عبد الرحمن بدوي)

⁵⁶ -حسين حرب، د - الفكر اليوناني - افلاطون، دار الفارابي، بيروت- 1985. ص15

لكي نفهم تركيبة الفكر السياسي عند افلاطون علينا ان نفهم ايضا بنية تفكيره الاخلاقي لانها متضمنة ومتداخلة فيها، فالسياسة ليست اكثر من امتداد طبيعي للاخلاق، وهذا النهج الذي اتبعه افلاطون قد سار عليه كذلك تلميذه ارسطوطاليس 322-384 ق.م ومعظم فلاسفة اليونان.

الدولة في فكر أفلاطون

اذا كانت نظرية افلاطون حول الدولة تجد اساسها في البناء الميتافيزيقي الذي صاغه هذا الفيلسوف فانها جاءت كرد فعل على الاوضاع المتأزمة التي عرفتها مدينته اثينا والتي جعلت الكيان السياسي مهددا بالتفتت والانهيال ولعل هذا مايفسر كون افلاطون عند عرضه حول منشأ الدولة يميز بين مرحلتين متعاقبتين، مرحلة الدولة البسيطة والسليمة؛ حيث لا توجد سوى المهن الضرورية والاساسية التي تحقق الحاجات الحيوية للانسان ثم مرحلة الدولة المترفة والمعتلة التي تتعقد فيها المهن والوظائف وتطمح للكماليات وفي هذه الدولة وحدها تنشأ بالذات الاطماع، التي تؤدي الى اثاره المنازعات ونشوب الحروب.

إن المسار التدريجي للدولة حسب افلاطون يتجه من الفضيلة الى الرذيلة بسبب الطمع في الملذات والشهوات وهذا الانحراف عن الاصل السليم تجده حاضرا من خلال وصف افلاطون للاشكال الاربعة للحكم وهي: التيمقراطية، والاولبغارشية، والديمقراطية، والطغيان.⁵⁷

فدولة الحق التي شيدها افلاطون يعمقها العدل أساسا، فهي صورة مكبرة للفرد، لان غاية الاخلاق هي الدولة لاالفرد، بمعنى آخر ان الفرد عبارة عن صورة مصغرة للدولة والدولة هي الهيكل الضخم لهذا الفرد، وبما ان (القوة الناطقة) في الفرد تعتبر اعظم القوى جميعا، اذن يجب ان تكون الفلسفة هي القوة الحقيقية في توجيه الدولة. كما ويجب ان يكون رئيسها فيلسوفا، لان العدالة في الفرد وفي الدولة لايمكن ان تتم مالم يبسط العقل نفوذه ويحكم. لقد قسم افلاطون

57 - الترجمة العربية للكتاب الثاني من مؤلف الجمهورية (الباحث)

الدول التي تضاد دولة العدل الى اربعة اقسام هي: 58 الدولة الدينية: وهي حكومة الطبقة الوسطى التي تسمح بالملكية الخاصة وما يصيب النظام من اختلال بسبب ذلك, فتجعل العسكر في هذه الطبقة هم الافضل مما يؤدي الى العنف والحروب. فالدولة الاقطاعية: وهي ناتجة عن الدولة الدينية, حيث يعتاد الافراد على جمع المال بأي وسيلة كانت, وبسبب ذلك تضحل وتنتهي الفضيلة ولا يبقى غير الاثرياء لقيادة الدولة كونهم الافضل. ثم دولة الشعب: وهو الحكم الديمقراطي الفوضوي, حيث يثور الفقراء على الاغنياء بسبب الحرمان والتعسف ويصبح الحكم شائعا للجميع, لانظام ولا قائد مسيطر بل الشعب يحكم نفسه بنفسه. بعدها تأتي دولة الاستبداد: وهو حكم الطغيان والمصالح الشخصية, اذ بعد ان تعم الفوضى لحكم الشعب تفرز هذه الحالة فردا من المجتمع يوهم الجميع على انه سوف يبني دولة الرفاه بلا ضرائب ولا ظلم.

يفسر افلاطون ايضا شرائح المجتمع الى طبقات مثلما قسم النفس الانسانية, فالاولى هي طبقة الحكام والفلاسفة, الذين يختصون بمزايا العدل بالدرجة الاساس, وتقابلها النفس الناطقة. والثانية طبقة الكتلة العسكرية وتقابلها النفس الغاضبة. واخيرا طبقة العمال وهي تقابل النفس الشهوانية.

ينص افلاطون على ان الحاكم لا يصلح ولا يكون الا فيلسوفا, ويسميه المثل الاعلى والسبب الرئيسي في ذلك هو ان الفيلسوف او الفلاسفة الحكام هم وحدهم, الذين يدركون المثل لا الاستبداد, خصوصا وانهم لا يبغيون السلطة من اجل المال او الجاه او التسلط, بل غايتهم تنصب نحو المصلحة العامة فقط. ويذهب افلاطون في تصوره الى حد ان يجعل من طبقة الفلاسفة ان لا يقترن احدهم بأمرأة معينة, لكيلا تأخذ منهم الاسرة مهام ومسؤولية الدولة, لهذا فقد أكد على (مشاعية النساء والاولاد) حيث تكون النساء مشاعا للطبقة الحاكمة دونما ان يعرف الاب ابنه

58 -مصدر سابق (د. حسين حرب)

ولا المولود ابوه, حتى لا تتكون العواطف والميول تؤثر على عقلية الحكام والنظام الصارم. ولكن هذا التشدد الذي يبديه افلاطون تجاه نظام الفلاسفة القادة يقابله فتور تجاه العامة من الناس, فلا يحفل بهم ولا يضع لهم نظاما ولو بسيط سوى انه يطالبهم بان يتبعوا الاخلاق الشعبية المتبعة, والالتزام بالعادات والتقاليد الموروثة.

انطلق افلاطون من تاويل صارم لمبدأ توزيع العمل بين الطبقات المكونة لمدينته الفاضلة عند صياغته لنظرية العدالة في محاوره (الجمهورية) فقد أكد سقراط بأن النظام العادل هو الذي يقوم فيه الشخص بمهمته أحسن قيام.

التعليم في فكر أفلاطون

احتل التعليم الحيز الاكبر عند افلاطون الامر الذي دفع بعض المفكرين اللاحقين من أمثال جان جاك روسو الى القول بأن (الجمهورية) احتواء على أعظم ما كتب عن التعليم.⁵⁹ يقسم افلاطون التعليم الى مرحلتين هما: المرحلة الاولى... ويتم خلالها التدريس حتى سن العشرين اي تنتهي عند بداية الخدمة العسكرية. ثم المرحلة الثانية... فتقتصر على فئة منتقاة من كلا الجنسين من ابناء الطبقتين الحاكمتين الجنود والحكام, وتبدأ من سن 20 الى سن 35. اما المواد المدرسة في هذه المرحلة فتتضمن الرياضيات والفلك والمنطق.

يظهر البرنامج التعليمي الطويل المدة لافلاطون ان هذا الاخير معارض تماما لمبادئ الديمقراطية الاثيني القائم على حق الفرد في الحصول على التعليم الذي يرغب فيه بعيدا عن تدخل السلطة السياسية التي يتم اختيار حكامها بالقرعة او الانتخاب. وهذا النظام التربوي ينتهي بالافراد في سن الخمسين, اذ ذاك تصل القلة القليلة لبلوغ طبقة الفلاسفة الحكام حيث هذبهم

-عامر حسن فياض, علي عباس مراد- مدخل الى الفكر السياسي القديم والوسيط, منشورات جامعة دار يونس, بنغازي
ص26⁵⁹

السن والخبرة وأمتأت نفوسهم بالعلم والمعرفة حتى صاروا جديرين بنيل المثل العليا في رئاسة الدولة والحفاظ على نظامها التربوي والتعليمي.

وإذا كانت الفضيلة هي المعرفة كما يقول افلاطون كان أفضل من يتولى مهمة ادارة الشأن السياسي في الدولة، اكثر افرادها معرفة وأعلمهم بمثال الخير الاسمي، وهؤلاء هم الفلاسفة.⁶⁰ وخلاصة القول فان افلاطون يذهب في السياسة مذهباً ارسطراطياً يخالف فيه ديمقراطية (أثينا) حيث يرى ان تدخل الاكثرية في السياسة والحكم يثير الفوضى ويخالف مفهومه للعدالة الذي يقوم اساساً على تخصص طبقة ارسطراطية في الحكم لان لها فوق سواها مواهب الحكمة والشجاعة والعدالة والمساواة يجب ان يقترنا معاً في طبقة الحكام لذلك نادى بالشيوعية وبمساواة النساء والرجال في هذه الطبقة، فتشارك المرأة الرجل في جميع الاعمال الخاصة بالطبقة، ونادى كذلك بألغاء الزواج والاسرة في طبقة الحراس فلا يختص أحد في هذه الطبقة بزواج أو زوجة أو ولد، انما ستكون النساء والاولاد جميع مشاعاً بينهم فيربي الاطفال في دور الحضانة، ترضعهم أمهات صحيحات البدن، وترعى شؤونهم مربيات متخصصات، فتتفرغ الامهات لاعمالهن.

في اول مؤلفاته (الجمهورية) تحدث افلاطون عن المدينة الفاضلة؛ اي الدولة الفاضلة، والدولة الفاضلة هي الدولة المنظمة بطريقة موضوعية مستقرة، ففي هذا الكتاب الذي الفه في مطلع شبابه كان افلاطون يرى ان من ينبغي ان يحكم المدينة الفاضلة هم الفلاسفة، وكان يرى ان من حماقة والخطأ ان تغل يد الحاكم الفيلسوف بأحكام القانون. لكن منذ كتابه قبل الاخير (السياسي) ثم في آخر مؤلفاته والذي أسماه (كتاب القوانين) راجع افلاطون أفكاره الخيالية القديمة، وبمراجعة تجاربه أدرك ان المثل الاعلى شيئاً والحقيقة شيئاً آخر، فعندما تقدمت به

⁶⁰ - مصدر سابق (عامر حسن فياض، علي عباس مراد)

السن وصقلته التجارب تراجع عن فكرة حكومة الفيلسوف حيث يقرر في كتابه السياسي (لابد ان نقرر ولا شك فيه، وهو ان القانون أفضل من الهوى وأن صلاح الحاكم الخاضع للقانون أفضل من تلك القرارات التحكيمية التي تصدر عن طاغية مستبد او عن حكومة بلوتقراطية او عن حكم الغوغاء. لاريب كذلك في ان القانون بوجه عام قوة باعثة على الحضارة, يصبح الانسان بدونها.. مهما كانت قبضته أخطر من الحيوانات المتوحشة.. ثم يواصل افلاطون اعلانه عن ايمانه العميق بالقانون في كتابه الاخير (القوانين).⁶¹

الدراسات لدى المفكرين

تناولت في هذا المحور بعض المفاهيم التي تناولها رجال الدين المسيحيين أو العرب وكالاتي: القديس أوغسطين ينحدر من أصول أمازيغية, ولد في تغاست عام 354م. عندما بلغ الحادية عشر من عمره ارسلته أسرته للتعلم ثم ذهب الى قرطاج لتعلم البيان، بدأت حياة أوغسطين بالتحول من خلال بحثه عن معنى الحياة, بدأ يبتعد من المانوية منذ ان كان في قرطاج الا انه لم يعتنق المسيحية فورا بل جرب عدة مذاهب واصبح متحمسا للافلاطونية المحدثه.⁶² في صيف 386م بعد قراءته سيرة القديس انطونيوس الكبير وتأثره بها قرر اعتناق المسيحية, ترك البيان ومنصبه في جامعة ميلانو ودخل في سلك الكهنوت.

يقول أوغسطين بأن كل السیادات وكل السیطرات الانسانية ستندم فيما بعد, اي في مملكة الله, وبانتظار ذلك يجب على العبد ان يطيع سيده بطيب خاطر، هذه العبودية توجد في النظام, انما شرعية, لان الخطيئة التي احدثت اضطرابا في النظام الطبيعي يجب ان تعاقب كذلك, الحكم القمعي يعتبر ايضا فدية للخطيئة ويوجد في النظام وهو شرعي مثلما هو ضروري،

⁶¹ -حسن الظاهر , دراسات في تطور الفكر السياسي, مطبعة أنجلو المصرية, 1992, ص205
⁶² -الافلاطونية المحدثه مدرسة فلسفية تشكلت في القرن الثالث للميلاد بناء على تعاليم افلاطون. الباحث

فالمحكومين يجب ان يطيعو السلطة في حدود غايتها، الخاصة، فكل سلطة قائمة في هذا العالم يجب ان تمجد وان على المؤمن باختصار واجب الانحاء امام المخطط الألهي.

اما بالنسبة لمعرفة من يكون القيصر، فأوغسطين يتكلم بصوت عال في مدينة الله ان شكل الحكم او الدستور هو أمر دنيوي بحت وجائز كليا، انه يتعلق بطبيعة الشعب الذي سيحكم وكذلك بالظروف والعدالة في نظر اوغسطين الفضيلة التي تعطي لكل واحد ما يعود له. ان الدولة المسيحية التي اقامت الله وسط مؤسساتها تجد في هذا القوة والاستقرار، انها تعمل على تحضير المدينة السماوية، وعلى الاقتراب منها بقدر الامكان في هذه الدنيا. فأوغسطين يعبر بعبارات ماثورة عن ضرورة العدالة، فبدونها كما يقول لن يكون الممالك الا مجتمعات واسعة لقطاع الطرق، بالنسبة لاوغسطين فالدولة التي تريد ان تستمر هي التي تلبي حدا ادنى من متطلبات العدالة، بالمعنى الشائع للكلمة، ان لم يكتب المستطاع تحقيق العدالة الحقيقية والكاملة لمدينة الله.

وبالنسبة للعلاقة بين الكنيسة والدولة فلم يقل شيئا مختلفا سواء في مدينة الله أم في العديد من الكتابات الاخرى، فكل سلطة ميدانها بكل استقلال، للدولة المصالح المادية والحياة الخارجية والجزاءات الجسدية (السيف). وللكنيسة المصالح الروحية والحياة الداخلية والجزاءات الروحية البحتة الا ان هذا لا يمنع من ان الكنيسة تضع نفسها في مستوى أعلى، فالدولة ليست الا حقيقة متغيرة ومؤقتة، ومهيأة للاختفاء عندما ستاتي مملكة الله.

ابو نصر الفارابي

أبو نصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان، فيلسوف ورياضي وموسيقي ولد في وسيج وهي مدينة فاراب القديمة في منطقة خراسان، قضى جزءا كبيرا من حياته في بغداد

وهناك درس الفلسفة اليونانية، وعاش في سوريا ببلاط سيف الدولة الحمداني حيث وجد هناك المكان الصالح للتفكير والتأمل، ويقال ان قطاع الطرق قتلوه.

وهو اول فيلسوف سياسي، حاول التوفيق بين التراث السياسي الافلاطوني والاديان السماوية، في مجال الفلسفة ترك الفارابي عدة مؤلفات اهمها كتاب (السياسة المدنية) و(آراء اهل المدينة الفاضلة) وجوامع كتاب النوامس لافلاطون ورسالة في التنبيه على سبيل السعادة ثم رسالة في السياسة.⁶³

الانسان في نظر الفارابي كائن مدني بالطبع، وان اجتماعه مع اقرانه ضرورة لازمة لحياته وكل ذلك بتدبير الهي، لان الله تعالى خلق الانسان وفطره على محدودية القدرات وتعدد الحاجات لذلك كان في حاجة الى من يكمل له تلك الحاجات وكل ذلك في اطار حياة مجتمعية، وقد اعطى الفارابي مثالا على ذلك حيث شبه المدينة الفاضلة بالجسم الصحيح الذي تتعاون اعضائه وتتكامل.⁶⁴

يقسم الفارابي الجماعات الانسانية الى نوعين: الجماعات الكاملة؛ عظمى، وسطى، صغرى ثم غير كاملة؛ اجتماع اهل المدينة، اجتماع اهل المحلة، واهل المنزل.

ان المدينة الفاضلة في نظر الفارابي هي تلك المدينة التي تعرف وجه الحقيقة ومعنى الفضيلة، وجوهر السعادة الانسانية ووسائل بلوغها، وتكون غاية اهلها في اجتماعهم وتعاونهم. بخلاف المدينة غير الفاضلة التي قد تعرف ذلك ولكنها لاتعمل من اجله، او قد تتوهم انها تعرفه

⁶³ -جميل صليبا- تاريخ الفلسفة العربية- الشركة العالمية للكتاب- بيروت 1989، ص140-142
⁶⁴ -يوسف ابيش - الفلسفة الاسلامية السياسية، دار الحمراء للطباعة، بيروت، 1990، ص28

وتتمثل هذه المدن عند الفارابي في: المدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة ثم المدينة المبدلة فالمدينة

الضالة⁶⁵

لا يضع الفارابي رئاسة المدينة في يد شخص، بل في يد شخص معين حدد له صفات وشروط، حيث قال في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة ان الرئيس الحقيقي هو رئيس الامة الفاضلة، ورئيس المعمورة كلها ولا يجوز ان يكون فوqe رئيس اصلا، بل هو فوق الجميع، وليس في وسع كل انسان ان يكون رئيسا، لان الرئاسة لوجود لها في كل شخص، ويجب ان يتوافر في رئيس المدينة الفاضلة اثني عشر خصلة. عندما لا يوجد مثل هذا الشخص فان حكم المدينة الفاضلة يؤل الى من يسميه الفارابي الرئيس الثاني الذي يحكم المدينة بشرايع الرئيس الاول ويطلق الفارابي على الرئيس الثاني اسم الخليفة/القائم.⁶⁶

لقد حاول الفارابي جاهدا في مدينته الفاضلة التوفيق بين الفكر السياسي وبين الرسالة الاسلامية وهي بذلك صورة صادقة لجهود فيلسوف عمل على التوفيق بين العقل والنقل؛ اي بين الفلسفة والدين فقد نهج كل من الفارابي والقديس اوغسطين وغيرهما من المفكرين نهج افلاطون في تصوير العدالة في المجتمعات من خلال تصوير الدولة الفاضلة.

الدراسات السابقة للرفاهية في الاديان: الاسلام نموذجا

تعد العدالة محور المعتقدات الاخلاقية في أي دين، فهي الحل الشرعي والنفسي الذي يقترحه ذلك الدين لمعضلة البشر الازلية؛ صراع الخير مع الشر، وبالتالي فان جوهر وفكر أي دين يمكن مقارنته الى أسلوب العدالة.

⁶⁵ -حسن الظاهر - دراسات في تطور الفكر السياسي- ص472

⁶⁶ -مصطفى سيد احمد صقر - نظرية الدولة عند الفارابي، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، 1959

عبر الفكر البوذي Buddhism بأفكاره عن إحتجاج عامة الشعب على الديانة
البراهماتية بسبب فوارقها القبلية المقدسة⁶⁷. إذ يخاطب بوذا (562-483) ق.م الظالمين قائلًا:
(فيا من تقترفون المظالم, إنتبهوا الى أنفسكم, وإنظروا الأشياء بأعيانها لا بظواهرها, ولا
تستسلموا الى عبودية الذات, فتقعوا في شر أعمالكم, وأعلموا أنكم لا تجنون من العلقم عنياً)⁶⁸.
أما الكونفوشيوسية Confucianism التي تنسب الى كونفوشيوس (551-479)
ق.م, فتري أن القاعدة الأخلاقية موجودة فينا ولا يمكن ان تافصل عن أنفسنا. فالإنسان لا يفعل
الشر عن علم بل عن جهل، ولكنه لو عرف الخير لأتجه اليه بشكل طبيعي. فالشر جهل والخير
علم. أما سبب المصائب التي حلت بالإنسانية فهي الملكية الخاصة، التي تؤدي الى التواضع
والصراع.⁶⁹

وأمنت الديانة اليهودية في الربع الاول من الالف الثاني قبل الميلاد، بأن الله يحب العدالة
وقد شيد عرشه عليها وأن الانسان لكي يحيا حياة الحق، عاياه أن يتعامل بعدالة على الدوام مع
الآخرين⁷⁰. إذ جاء في التوراة " العهد القديم " كلام الرب مستقيم, وكل أفعاله حق، العدل
والانصاف ومن رحمته تمتلئ الارض.

أما كتاب " التلمود " الذي بدأ حاخامات اليهود بتأليفه للمرة الأولى بين العامين (190-
200) م، مغيرين من خلاله أحكام التوراة، فقد أباح الربا، وتقديم الاطفال قربانا للإله " مولوخ

67 - م. روزنتال, و ب. يودين الموسوعة الفلسفية, ترجمة سمير كرم, بيروت- دار الطليعة – 1985 ص91

68 - إنجيل بوذا , ترجمة عيسى سابا, بيروت, مكتبة صادرو 1953, ص76-77

69 - سغفان, حسن شحاتة, كونفوشيوس, مكتبة نهضة مصر, القاهرة, ص 39

70 - S:E Frost, the sacred writings of the worlds origins. The new home library, New yourk, pp153-403

" Moloch ، وكراهية الاجانب غير اليهود⁷¹، لقد قدم معيارا مزدوجا للعدالة، إذ ما يباح من حقوق لليهود لا يباح لغيرهم من الأقوام والأديان.⁷²

وشددت المسيحية على أن كل الأحكام ينبغي أن تتخذ بعدالة، وعلى الإنسان أن يكون متيقظا لكي لا يسقط في أحكام الشر، فالله عادل، وسيقاضي كل الناس بالعدل طبقا لأفعالهم، ف جاء في الانجيل " العهد الجديد " (أيها السادة عاملوا عبيدكم بالعدل والمساواة عالمين أن لكم أنتم أيضا سيداً في السماء)⁷³. أما في الاقتصاد الاسلامي فان المسلمات تقع في: المسلمة الاولى: هي ان النظام الاقتصادي الاسلامي يعمل في ظل هيمنة الشريعة الاسلامية لتحقيق هدفين أساسيين هما الاعمار والعدل. المسلمة الثانية: هي ان النظام الاقتصادي الاسلامي يتحول الى فعاليات الحياة وانشطتها سلوكا وممارسة بفضل قدرة العقل المسلم على تحويل المفاهيم والاحكام الاسلامية الى واقع عملي يعمل على ضوء هدي الشريعة، الامر الذي يؤدي الى تحقيق المقدره على التحليل الاقتصادي في الاحكام الاسلامية، وما تفرزه في الصياغات النظرية⁷⁴. لكي نفهم ماهية الاقتصاد الاسلامي لابد لي من تناول المحاور التالية:

النظرية الاقتصادية الاسلامية

تعالج النظرية الاقتصادية الاسلامية المشكلة الاقتصادية ليس بالاتكال على الفرضية التقليدية في النظرية الاقتصادية القائمة على عاملي الندرة والاختيار⁷⁵، على الرغم من الحضور النسبي لهذين العاملين في معالجة المشكلة الاقتصادية، وانما تعالج كل ذلك انطلاقا من سوء

71 - ظفر الاسلام خان- التلمود . تاريخه وتعاليمه، بيروت دار النفائس، ص90-11

72 - سليمان مظهر. بين السماء والارض، قصة العقائد، دار النهضة، العربية، القاهرة ص337

S.E Frost - ⁷³ مصدر سابق

- نجاح عبد العليم ابو الفتوح - اثر استبعاد الفائدة على كفاءة تخصيص الموارد في التحول الى اقتصاد اسلامي، اطروحة

⁷⁴دكتوراه، جامعة الزقازيق-كلية التجارة - قسم الاقتصاد - القاهرة 1994، ص234

75 - المشكلة الاقتصادية التقليدية تتكون من عنصرين اساسيين هما.. أ- الحاجات المتعددة ب- الموارد المحدودة، الباحث

توزيع الموارد وما يرافق ذلك من تغيرات جذرية مصاحبة للنشاط الاقتصادي، وكذلك سوء الاستخدام والاختيار.

يعد تحقيق العدالة واجبا من خلال العلاقة بين فعالية الانتاج وفعالية التوزيع فاذا كان النمو الاقتصادي وتنميته في الاقتصاد الاسلامي يستند اصلا الى الجانب الكمي والجانب التقني من فعاليات الانتاج، فان حضور التوزيع العادل يعد شرطا ضروريا لنمو الانتاج وتنميته، ولاحصل تناقض بين الاستهلاك والانتاج، في حين شخّصت هذه المسألة في النظرية الاقتصادية الغربية بوضوح عند جون مينارد كينز، اذ ان انخفاض الاجور يؤدي الى انخفاض الطلب الفعلي.⁷⁶

كما ان التشغيل لايعتمد على الاجور بقدر مايعتمد على الطلب الكلي الفعال، ونشتق من ذلك ان الطلب على العمال يرتفع بارتفاع الطلب الفعلي لابانخفاض الاجور. فاذا كان أحد الاركان الاساسية للطلب الفعلي، هو أهتمام المبالغ وانفاقها على السلع الاستثمارية في القطاعين الخاص والعام، فالصورة ستوضح ان الطلب الفعلي متغير مستقل وان الدخل والتشغيل متغيرات تابعة. وهذا لايمكن توفره الا في ظل التوزيع العادل للدخل، والتوزيع العادل للدخل ياتي بصيغ انفاق يؤدي الى مضاعف في الاستثمار والدخل والاستهلاك والتشغيل (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثّل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.⁷⁷ هذه المضاعفة المترتبة على الانفاق في سبيل الله ليست قاصرة على الثواب في الآخرة وانما تتحقق بصورة مادية في الحياة الدنيا.⁷⁸

⁷⁶ نفس المصدر

⁷⁷ القرآن الكريم (سورة البقرة) الآية 261-

⁷⁸ مصدر سابق (نجاح عبد العليم ابو الفتوح)

إن هذا الترابط بين العدالة والتوزيع والكفاءة الاقتصادية والنمو الاقتصادي إنما ينم عن حالة انسجام تتجسد في مقاصد الشريعة لتكون ضابطاً للسلوك الإنساني، وهي بذلك تعبر عن وحدة عضوية للفعل الاقتصادي.

المحور الثاني: مبدأ العدالة الاجتماعية في الإسلام
يتشكل مفهوم العدل الاجتماعي طبقاً للوقائع الاقتصادية والاجتماعية التي تسود في مجتمع ما، فهو تصور يقدم تفسيراً للظواهر وعلانقها.

ففي الغرب ومع بزوغ نجم الدولة القومية كان الدستور الأساس للنظام السياسي يقوم على افتراض أن الطبيعة البشرية أنانية في جوهرها وأن الدوافع الفعالة التي يجب أن يعتمد عليها أي رجل دولة قوامها الاستئثار بالذات.⁷⁹

هذه الحملة رافقتها حملة الإصلاح الديني التي تعرضت لها الكنيسة الكاثوليكية، وتبدل الولاء من موالات الكنيسة إلى موالات الدولة القومية، لأن مفاهيم العدل كانت سائدة في ظل الهيمنة المطلقة للكنيسة الكاثوليكية لم تعد تلائم الواقع الجديد المجسد في الدولة القومية والمذاهب البروتستانتية الأكثر تسامحاً في مسألة الإيمان، والأكثر موالاتاً للدول القومية، فليس من الصواب بأي حال من الأحوال أن يقف أي مسيحي ضد حكومته سواء أكانت أفعالها عادلة أم جائرة.⁸⁰

إن هذه التطورات كانت تأسيساً لمفاهيم هي مغايرة من حيث التصور والتفسير للكون والحياة، وهي علمانية بحيث بدأت بفك عرى الارتباط ما بين المجتمع ونواميس الإيمان، حتى غدت فعاليات الحياة تسيرها قوانين طبيعية كقيلة بضمان توافق المصالح بين ما هو فردي وما هو جماعي، إن تدخل سلطات دينية أو سياسية لتعديل هذه القوانين أو اعتراض سيرتها إنما هو

⁷⁹ - جورج ه. ساباين، تطور الفكر السياسي، ترجمة راشد البراوي، ج3 - القاهرة، دار المعارف، 1971، ص 479.
⁸⁰ - نفس المصدر ص 502

افساد لمسيرة الحياة وقوانينها بغض النظر عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي سواء كان العدل حاضرا ام مغيبا او ان العدل هو نفاذ فعل القوانين الطبيعية في فعاليات الحياة لذلك كانت مفاهيم التحررية والفردية والعلمانية وعدم التدخل, والنفعية, الانانية, مفاهيم لها حضورها وتمايزها من كل الموروثات التي كانت تشكل احكاما قيمية واخلاقية مستندة الى مرجعية ممثلة بالكنيسة, وهذا الاندفاع ادى الى ان تكون مسيرة الفعالية الاقتصادية في ادائها تحقق انجازين مهمين في النظام الاقتصادي الرأسمالي:

*- على المستوى الاقتصادي تحققت انجازات هائلة على مستوى القوى المادية في الانتاج والتراكم والاستثمار, وهي نتيجة لمفاهيم عصر التنوير وقيمها المادية, التي لا يمكن تجنب الاثر الفعال الذي يراه ماكس فيبر (1864-1920) للقيم البرتستاننتية في اذكاء روح التقدم والمبادرة الخلاقة للرأسمالية.

*- على المستوى الاجتماعي تحقق تقسيم واضح للمجتمع الى طبقتين متناقضتي المصالح تفصل بينهما هوة واسعة في مجال توزيع الدخل والثروة, طبقة العمال, وطبقة الرأسماليين.⁸¹

كان منظروا الاقتصاد الرأسمالي ينظرون بأعجاب الى الاداء الرائع لنظام السوق والاقتصاد الحر على مستوى النمو والتراكم, ومن طرف آخر كان هناك احساس بالمأساة لنتائج هذا الاداء, على الرغم من ان هذا الاحساس كان متفاوتا, لكنه ينذر بكارثة, ريكاردو ونظريته في قيمة العمل ومستقبل الصراع الخبيث⁸². مالتوس ونظريته في السكان والمستقبل المجهول للبشرية اذا ما استمرت الزيادة في السكان اكبر من الزيادة في الغذاء, ماركس ومأساة الطبقة

- منصور, احمد ابراهيم.د. عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية- رؤية اسلامية مقارنة- مركز دراسات الوحدة العربية- سلسلة اطروحات الدكتوراه, ص136
82- روبرت هيلبرونر, قادة الفكر الاقتصادي, ترجمة راشد البرواري (القاهرة: دار النهضة المصرية, 1963, ص91

العاملة من خلال فائض القيمة الذي هو حق العمال الذي يذهب الى جيوب الرأسماليين, لكن لا احد يستطيع ان يجزم بان ريكاردو كان رجلا احس بالآام المأساة الاجتماعية للنظام الرأسمالي, كذلك مالتوس, الا ان الامر يختلف بالنسبة لكارل ماركس, فقد كان رجل الآلم⁸³. وبالنسبة اليه فأن احساسه بلآلام هو قضية التزام وايمان بالمعرفة, والمسألة المثيرة للجدل هي ان تقديم ماركس لمأساة البشرية وآامها من جراء الفعاليات الاقتصادية للنظام الرأسمالي هي سر نجاح نظريته, على حد تعبير جون كينث.

وإذا كانت المنطلقات الاساسية للنظرية الاقتصادية في تثبيت الاجور عند حد الكفاف- لما لذلك من اثر على تكاليف الانتاج والارباح والاسعار, هي منطق لتعميم الفقر والكفاف, فأنها في الاقتصاد الاسلامي تهدف الى تعميم حد الكفاية, ويأتي هذا منسجما مع مقاصد الشريعة في تحقيق المصلحة العليا للبشر, فالشريعة انما وضعت لمصالح العباد في الدارين⁸⁴. ولطالما أمر الانسان بالعدل والاحسان ومنه العدل الاجتماعي والذي يعتبر هو الركن الثالث في الاقتصاد الاسلامي والتي جسدها الاسلام فيما زود به من نظام توزيع الثروة في المجتمع الاسلامي من عناصر وضمانات تكفل للتوزيع قدرته على تحقيق العدالة الاسلامية, وانسجامه مع القيم التي يركز عليها, فان الاسلام حين ادرج العدالة الاجتماعية ضمن المبادئ الاساسية التي يتكون منها مذهبه الاقتصادي.

لم يتبن العدالة الاجتماعية بمفهومها التدريجي العام, ولم ينادي بها بشكل مفتوح لكل تفسير, ولا اوكله الى المجتمعات الانسانية التي تختلف في نظرتها للعدالة الاجتماعية, باختلاف افكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة, وانما حدد الاسلام هذا المفهوم وبلوره في مخطط اجتماعي معين واستطاع بعد ذلك ان يجسد هذا التصميم في واقع اجتماعي حي تنبض جميع

⁸³- john Kenneth Galbraith, The Affluent Society (London, Hamish Hamilton, 1965, p. 50

⁸⁴- الشاطبي, الموافقات في اصول الاحكام, ج2. ص5

شرايينه واوردته بالمفهوم الاسلامي للعدالة⁸⁵. والعدل الاجتماعي ليس ادراكا عقليا شاملا في تمييزه عدالة الشيء او ظلمه, وانما هو احكام عملية تهدف الى اصلاح الامة بأفرادها ومؤسساتها, (وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين)⁸⁶.

إذا تكافؤ الفرص في الرؤية الاسلامية يرجع الى :

1- التمكين، (ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معاش قليلا ما تشكرون)⁸⁷. أي

ان التمكين للجميع في المعاش في ما هو جاهز او ما هو محصل بنشاط أو عمل.

2- القسمة، (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا

بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)^{88 89}. فهي مرهونة بمقدرة البشر وسعيهم في الحياة الدنيا.

ولما كانت الخاصية الأساسية للاقتصاد الاسلامي هي تحقيق العدل وعماراة الارض, فان هذه الخاصية ستنبثق في تفاوت القدرات من خلال وضع الانسان بشكل متكافئ امام الفرص, فالحرية الفردية مضمونة طالما هي في اطار ما حدده الشارع, والشيئ المؤكد ان تفاوت القدرات يؤدي الى تفاوت مشروع في الدخول والثروات وفي السعي والمنافسة بين الجماعة. والمنافسة هنا كونها مفهوما اسلاميا لها دلالتها الاخلاقية وفق سياق القيم الشرعية, فهي على عكس من المفهوم الغربي لها إذ هي السعي دونما رادع لتعظيم الارباح والمنافع, في حين هي اسلاميا

- المصدر, محمد باقر, أقتصادنا, الجزء الاول, مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الاسلامية, النجف الاشرف, العراق, ص201, 202⁸⁵

⁸⁶- القرآن الكريم, سورة القصص, الآية 77

⁸⁷- المصدر نفسه, سورة الاعراف, الآية 10

⁸⁸المصدر نفسه, سورة الزخرف, الآية 32

مجاهدة النفس للتشبهه بأفاضل والالحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره⁹⁰. والمنافسة في هذا السياق هي لحياسة حق تدعمه الشريعة او تثميره او تكثيره طالما هو نتاج جهد وعمل مقرر شرعا وهو كسب حلال, الا ان النفس البشرية تواقة للشهوات, ومن ادري بالنفس البشرية اكثر من خالقها: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)⁹¹, وزين تاتي بمعنى فطر اي موافقة لفطرة الانسان وعدم التراجع عن محبة هذه الشهوات⁹², وبناء على ذلك ولضبط النفس البشرية لابد من بيئة يهيمن على سلوك افرادها الشارع حيث تتحول الملكية من الاستئثار الى وظيفة اجتماعية.

ان مبدأ الاستخلاف يوفر بيئة عقيدية تعمل على اتساق المصالح عبر التوازن الاجتماعي الذي يقر التفاوت المشروع في الدخول والثروات, على ان يحصل كل فرد من افراد الامة على جانب من منافع الثروات التي خلقها الله للناس كافة⁹³.

والنظام الاقتصادي الاسلامي باقراره بنزوع النفس البشرية الى الاستئثار عبر الخلل الذي قد يحصل على مبدأ تكافؤ الفرص, بظهور تفاوت كثير او قليل في توزيع الدخول والثروات وما لهذا التفاوت من آثار سلبية في النشاط الاقتصادي – الاجتماعي, فقد اعطى للمسؤولية الاجتماعية من خلال قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر, المكانة التي تضمن استمرار التوازن الاجتماعي⁹⁴.

⁹⁰ ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القرآن, تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني (بيروت, دار المعرفة, ص51.

- القرآن الكريم, سورة آل عمران, الآية 14 ⁹¹
محمد رشيد رضا, تفسير القآن الكريم (تفسير المنار) للامام الشيخ محمد عبده (القاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1972, ج3, ص196 ⁹²

نجاح عبد العليم ابو الفتوح, مدخل الى الاقتصاد الاسلامي (القاهرة, جامعة الازهر, 2003, ص28 ⁹³
⁹⁴ صبحي الصالح, النظم الاسلامية نشأتها وتطورها (بيروت, دار العلم للملايين, 1965), ص438

ومبدأ التكافل الإسلامي الذي يعني التوازن الاجتماعي⁹⁵ هو التضامن والاعالة والرعاية على النحو الذي يجبر القصور الحادث في طرف من الاطراف علاقة التكافل, فهو تفاعل بين طرفين او اكثر, والتكافل الاجتماعي هو نظام يقيم علاقة التفاعل والتضامن والاعالة والرعاية بين اعضاء للاجتماع الانساني في مجتمع من المجتمعات, والتكافل الإسلامي في الفلسفة الاجتماعية الإسلامية مؤسس على القاعدة الإسلامية الكلية, قاعدة ارادة الله سبحانه وتعالى, قيام التوازن والموازنة والميزان بين الافراد والطبقات والجماعات والاطراف في مختلف امم وانواع المخلوقات, لقد تفر الخالق سبحانه بالوحدانية, لايشاركة فيها مخلوق من المخلوقات, فجميع من عداه وما عداه في كل عوالم الخلق قائم على التعدد والتزاوج ولذلك كانت فلسفة الاسلام لاقامة العدل والعلاقة الصحية بين الازواج والمتعددين في الميول والمصالح والطاقات والامكانيات والاحتياجات والمقاصد هي التوازن والموازنة. اي التكافل الذي يقيم ويحافظ على نسيج الاجتماع, وذلك حتى لايسير التناقض والتنافر بالاطراف المختلفة الى الصراع والدمار. (وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)⁹⁶.

والتكافل الاجتماعي الإسلامي في شؤون المعاش – المادية والاجتماعية لايغني المساواة الحسابية بين افراد المجتمع, انما يعني التوازن الذي يحقق حد الكفاية للمجتمع وضبط التفاوت بضوابط الحلال الديني والكفاية في العطاء, مع وضع سقف للتفاوت بمنع الاحتكار والأثرة والطغيان, انه المحقق لغنى الكفاية للجميع مع فتح ابواب الثرا امام الكفاءات والامكانيات بعيدا عن (الكنز) المعطل لدوران عجلة التنمية والاستثمار, وبعيدا عن (الاستفراد) الذي هو المقدمة المفضية الى الطغيان⁹⁷

⁹⁵- محمد عمارة, التكافل الإسلامي يعني التوازن الاجتماعي, جريدة الشرق الاوسط, العدد 9096. 24- اكتوبر - 2003

⁹⁶- القرآن الكريم, سورة الحديد, آية 25

⁹⁷- مصدر سابق (محمد عمارة)

اما الاساس الثاني من اسس العدالة الاجتماعية في الاسلام هو الضمان الاجتماعي, لقد اوضح العلماء انه يوجد فرق في المعنى بين كلمتي التكافل الاجتماعي والضمان الاجتماعي رغم تشابههما, فالضمان الاجتماعي هو التزام الحاكم نحو رعيته او باللغة المعاصرة التزام الحكومة نحو شعبها, فالسلطة يجب ان تحرص على ابقاء الحد الادنى من المعيشة اللائقة للشعب وتوفير المساعدة لكل من يحتاج اليها⁹⁸

فلا تستمد الدولة مبررات الضمان الاجتماعي الذي تمارسه من مبدأ التكافل العام فحسب, بل قد يمكن ابراز اساس آخر للضمان الاجتماعي وهو حق الجماعة من مصادر الثروة, وعلى اساس هذا الحق تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين, بقطع النظر عن الكفالة الواجبة على افراد المسلمين انفسهم. اما عن المسؤولية المباشرة للضمان فان حدود هذه المسؤولية تختلف عن حدود الضمان, الذي تمارسه الدولة على اساس مبدأ التكافل العام, فان هذه المسؤولية لاتفرض على الدولة ضمان الفرد في حدود حاجاته الحياتية فحسب, بل تفرض عليها ان تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يحياه افراد المجتمع الاسلامي, لان ضمان الدولة هنا ضمان اعالة واعالة الفرد هي القيام بمعيشته وامداده بكفايته⁹⁹.

وأما الاساس النظري الذي تركز فكرة الضمان في هذا المبدأ عليه, فمن الممكن ان يكون ايمان الاسلام بحق الجماعة كلها في موارد الثروة, لان هذه الموارد الطبيعية قد خلقت للجماعة كافة, لالفئة دون فئة, وهذا الحق يعني ان كل فرد من الجماعة له الحق في الانتفاع بثروات الطبيعة والعيش الكريم منها, فمن كان من الجماعة قادرا على العمل في أحد القطاعات العامة

98- www.brg8.com- منتديات برق

99- مصدر سابق (محمد باقر الصدر) ج2, ص208

والخاصة، كان من وظيفة الدولة ان تهئ له فرصة العمل في حدود صلاحياتها، ومن لم تتح له فرصة العمل، أو كان عاجزا عنه فعلى الدولة ان تضمن حقه في الاستفادة من ثروات الطبيعة، بتوفير مستوى الكفاية من العيش الكريم¹⁰⁰

التعريف الذي قرر الإسلام مضمونه وحقيقته هو، إلزام الدولة بإعالة أو سد عوز من لا يقوى على العمل، ومن لم يعمل لعذر مشروع وليس له معيل. يتراءى لكثير من الناس أن فكرة الضمان الاجتماعي من بنات هذا القرن ومن صنع الغرب نظرا إلى أن أول قانون للضمان الاجتماعي قد صدر في الولايات المتحدة الأمريكية العام 1935 . وهذا خطأ محض، فإن هذه الفكرة وهذا النظام قد قرره الإسلام قبل 14 قرنا وطبقه على واقع الحياة.

وبالمقارنة بين التحديد الذي ذكرناه للضمان الاجتماعي في الإسلام والذي قرر الإسلام مضمونه لا نصه، بالمقارنة بينه وبين تعريفات الضمان الاجتماعي في التشريعات والدساتير الحديثة نرى أن ذلك التحديد أكمل واشمل، لأن تلك التعريفات يكثر فيها الخلط بين مفهوم الضمان الاجتماعي ومفهوم التكامل الاجتماعي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن بعض تلك التعريفات لا تفي بالغرض إذ تأتي أضيق دائرة من المعرف، حيث يقصره بعضهم على ضمان العامل فقط كالتعريف الذي يقول: الضمان الاجتماعي الذي يقصد منه ضمان العامل ضد الأخطار التي تصيبه فتفقدته عمله... فهو يشمل هنا العامل فقط، وبذلك لا يتماشى مع طبيعة العدالة الاجتماعية. وعرفه بعض رجال الاقتصاد والقانون بأنه: تحرير الإنسان من الحاجة والعوز والحرمان، وفي هذا التعريف غموض من ناحية وضيق عن واجبات الضمان الاجتماعي من ناحية أخرى، وعبر عنه في تقرير لمنظمة الأمم المتحدة الموضوع بالتعاون مع منظمة العمل الدولية وغيرها في العام 1955 بأنه: فكرة تشمل التأمين الاجتماعي والمساعدة الاجتماعية والخدمات العامة... وفي هذا

¹⁰⁰ - نفس المصدر، ج2، ص210

التحديد عدم وضوح من ناحية، وعدم استيعاب من ناحية أخرى وخط بين مفهومه ومفهوم التكافل الاجتماعي من ناحية ثالثة.

وعرفه أحد خبراء الضمان الاجتماعي في فرنسا بأنه: ضمان العمل وضمان الكسب وضمان القدرة على العمل وهذا أيضا تضيق دائرته عن مهمات الضمان الاجتماعي، إذ ليس هو مقصورا على العامل فقط¹⁰¹

جاءت المادة 22 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر العام 1948 تنص على أن: لكل إنسان بصفته عضوا في الجماعة الحق في الضمان الاجتماعي... وأوضح الإعلان معنى هذا الضمان في المادة (25) حيث نصت على أن: لكل إنسان الحق بالضمان في حالة البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وفي الحالات الأخرى التي يفقد فيها المرء وسائل معيشته... الخ. ويعتبر هذا التعريف والتوضيح من أكمل التعاريف، حيث جاء بعد تبلور فكرة الضمان الاجتماعي وتطور معناه في القانون والاقتصاد، وعلى الصعيد الدولي، مع أن فيه ما فيه من الخلل، حيث يجعل الضمان للبطالة بصورة مطلقة، من أن المفهوم من الضمان أنه يشمل البطالة غير المتعمدة فقط، إذا فجميع هذه التعاريف غير كاملة منطقيا إذ بعضها غير جامع حيث يضيق عن بعض مهمات وواجبات الضمان، وبعضها غير مانع حيث يدخل فيه غير واجباته ومهماته، والشرط في التعريف أن يكون جامعا مانعا، لجميع أفراد الموضوع المعرف، مانعا من الاعتبار، لذلك نوقشت هذه التعاريف بكثرة علميا.

إذا: فالتعريف الإسلامي هو أكمل التعاريف. مثلا في تحديد الضمان في إعلان حقوق الإنسان جعل الضمان مسئولاً عن البطالة مطلقاً، بينما في التحديد الذي أقر الإسلام مضمونه لا

¹⁰¹ - محاضرة الضمان الاجتماعي في الإسلام، للشيخ عبد الأمير الجمري في جامع جدحفص عام 1974

يكون الضمان شاملا الا للبطالة المشروعة، وهي غير المتعمدة، يعنى الحاصلة نتيجة عجز أو فقدان عمل، أما من لم يعمل حبا للبطالة وهو قادر على العمل، وكانت فرص العمل مهياة له فليست الدولة مسؤولة عنه، لأن إعالته حينئذ والحال هذه تشجيع له على البطالة، وهو يتنافى مع مواقع الإسلام الذي يحث على العمل ويحارب البطالة، ولأن مثل هذا يعتبره الإسلام غنيا فيحرمه من الضمان، إذ الغني في العرف الإسلامي من يملك قوت أو مؤونة سنته بالقوة أو الفعل، ومثل هذا يملكها بالقوة لقدرتة على العمل وتوفر العمل لديه.

إذا فكما كان الإسلام أسبق التشريعات وأعمقها في تقرير مبدأ الضمان الاجتماعي فهو أكملها وأوضحها في تحديد مهماته وواجباته.¹⁰²

عدالة التوزيع في الاسلام

يجعل كُتاب النظرية الاقتصادية نظرية عدم التناسق أساساً لتحليلهم الاقتصادي، إذ ان العناصر المكونة للجسم الاقتصادي، أياً كانت، تظل غير منسجمة ومختلفة، وهذا مايشكل سرّ تطور الجسم الاقتصادي وتحوله الدائم¹⁰³.

فالمستهلك يسعى الى تعظيم المنفعة والمنتج يسعى الى تعظيم الربح، وهكذا تسود العلاقات فلسفة نفعية تقدم تفسيراً مسوغاً للسلوك الانساني باستثناء كل الدوافع الانسانية الاخرى، وهذا لايمكن تحقيقه الا في ظل الحرية الفردية التي تهتمش دور الدولة الاقتصادي وتدخلها فيه، وبذلك تنظم العلاقة بين الفرد والمجتمع، ودور الدولة طبقاً للمصالح العامة الظاهرة في المجتمع، والتي لها تأثير كبير في توجيه المشاعر الأخلاقية¹⁰⁴.

¹⁰²- نفس المصدر . الشيخ عبد الامير الجمري

¹⁰³- فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي (بيروت: دار الحدائث، 1981) ص173

¹⁰⁴- جون ستيوارت مل، عن الحرية، (القاهرة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، 2000، ص16

وبناءً على ذلك فإن صياغة قوانين وتشريعات العدل الاقتصادي تكون في ضوء المصالح، وفي هذا السياق لا يمكن تأييد فكرة الحق المجرد بوصفه شيئاً مستقلاً تماماً عن المنفعة، فالمنفعة هي الهدف النهائي من وراء جميع المسائل الأخلاقية¹⁰⁵.

في الاقتصاد الإسلامي، العدل لفظ يقتضي معنى المساواة، كما يستعمل في ما يدرك بالبصيرة كالأحلام¹⁰⁶. والعدل الاقتصادي ليس من مسائل الإصلاح الاجتماعي يتغير بتغير الظروف الاجتماعي، إنما هو من ثوابت العقيدة في نصوص واضحة في ما يتعلق بأنشطة المعاش والاموال، وأتساقاً، فإن كل الفعاليات الاقتصادية سوف تتصف بلاعتدال، أي الحالة التي تتوسط بين الإسراف والتقتير، واللذان هما تخصيص غير كفو للموارد، وتوزيع اقتصادي غير عادل للدخول والثروات، وهنا يبرز مفهوم العدل والإحسان والذي من المهم تحري صفات وخصائص ومعاني ما يشتمل عليه كل مفهوم من الموضوعات الاقتصادية، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)¹⁰⁷.

العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط¹⁰⁸. أما الإحسان فإنه فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير¹⁰⁹. والإحسان فوق العدل وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل ما له، فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب وتحري الإحسان ندب وتطوع¹¹⁰. فكيف الأمر الرباني في الاثنين معاً. والعدل الاقتصادي في هذا السياق يتجاوز ذات العدل إلى الإحسان الاقتصادي، في توزيع الثروة والدخل، ويبرز في هذا الموضوع مفهوم العفو ومصارفه في المجتمع كتدبير شرعي لتوزيع الدخل أيضاً،

¹⁰⁵ - نفس المصدر، ص 24

¹⁰⁶ - الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 325

¹⁰⁷ - القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 90

¹⁰⁸ - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بغداد، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986، ص 85

¹⁰⁹ - نفس المصدر، ص 15

¹¹⁰ - الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 119

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)¹¹¹.

والانفاق هنا هو شكل من اشكال التوزيع, والدخول المتحصلة إذا ما وصلت حدّ النصاب أدّى المكلف زكاتها, ثم كانت مصارفها في :

1- الانفاق الاستهلاكي

2- الانفاق الاستثماري

والانفاق الاستهلاكي يكون في حدود دخل الكفاية, كما ان للانفاق الاستهلاكي دورا في تنشيط الطلب الكلي الفعال الذي يبعد الاقتصاد الاسلامي عن الركود الاقتصادي والدورات الاقتصادية, لذلك فان للاستهلاك نصيبا كبيرا في توزيع الدخل, ويواجه المستهلك المسلم عند الانفاق على الاستهلاك دالة منفعة مع قيودها, فالقيود هي اضافة الى الدخل والسعر هو ما يستهلكه نفسه ومن يعيل, وذي القربى واليتامى والجيران والمساكين وأبن السبيل, وأن لايسرف في الاستهلاك مع تجنب المحرمات والاقتصار على الطيبات من دون الخبائث¹¹².

أما في النظام الوضعي فإن تخصيص الموارد يأتي اتساقا مع الانماط الاستهلاكية السائدة, وهي بذلك تعد مؤشرات حقيقية لها نتائج يمكن ان تتخذ قاعدة لاتجاهات الإنتاج والاستثمار وأنواع السلع والخدمات المطلوبة, والتي تحقق منفعة قد تمتاز بالخصوصية او الشمول, إلا ان اللذة التي تحققها هذه المنفعة هي المحرك الاساسي للطلب.

¹¹¹- القرآن الكريم, سورة البقرة, الآية 219
- منصور, احمد ابراهيم. د. عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية, رؤية اسلامية مقارنة, مركز دراسات الوحدة العربية, سلسلة
¹¹²اطروحات دكتوراه, ص146

في الاقتصاد الإسلامي تأتي المنفعة وسيطا بين استقامة البدن وتأدية الهدف الاسمي لوجود الانسان على وجه الخليقة, وسلوك المستهلك المسلم كاحدى آليات إعادة توزيع الدخل, يقول تعالى (ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا).¹¹³

ومن المنظومة القيمية السابقة استطاع العلماء المسلمين أن يستخرجوا دالة لمفهوم الرفاه الاجتماعي أشمل من دالة الرفاه الاجتماعي التي تقوم عليها دولة الرفاه المعاصرة, فالدالة الاجتماعية المعاصرة إختزلت الرفاه في دائرة مادية وديوية ووطنية, أدت الى كثير من الأمراض، وذلك لأن رؤيتها الكونية المتعلقة بالإنسان وواقه وبقية المخلوقات كانت قاصرة أو أحادية, مما جعل هذا الانسان ينطلق ويتميز في جوانب ويتراجع بل ويهدم كثيرا مما بناه في جوانب أخرى.

في المقابل يتضح من كتابات رواد علماء المسلمين كالشاطبي, والغزالي، وابن خلدون وغيرهم، إلى أن دالة الرفاه الاجتماعي في ظل المجتمع المسلم لها ثلاث مكونات هي: الضروريات والحاجيات والتحسينات. أي أن رفاه المجتمع المسلم وأستقراره وسعادة أفراده يتطلب توجيه موارده للحفاظ على هذه المكونات الثلاثة وبالترتيب؛ حيث إن الأولوية تعطى للحفاظ على الضروريات ثم بعد ذلك الحاجيات ثم أخيرا التحسينات. فالمكون الاول من مكونات دالة الرفاه الاجتماعي في الإسلام يطلق عليها علماء الامة " مقاصد الشريعة " والتي تتكون من خمس ضروريات أساسية هي: الدين والنفس والنسل والعقل والمال.

الدراسات السابقة عند الرواد الاقتصاديين كانت الدعوة الى التوازن هي نتيجة للحالة المقلقة التي مر بها النظام الرأسمالي منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين والمتمثلة باطروحات هنري جورج عن

¹¹³- القرآن الكريم, سورة الإسراء, الآية 27

التقدم الاقتصادي المرافق للفقر، والانتشار الواسع لأطروحات ماركس الاشتراكية، وقلق جون هوبسنمن التطور الرأسمالي الى عصر الامبريالية، وماتحملة من تجرد عن القيم الاخلاقية وعلى المستوى الدولي، ثم الحرب العالمية الاولى وما تركته من آثار اقتصادية سيئة على المستوى الاجتماعي ومستوى أداء الاقتصادات الرأسمالية، الامر الذي وضع النظام الرأسمالي أمام تحدٍ حقيقي، أما نمو القوى الداعية الى التغيير بالقوة، أو الاصلاح عبر الاهتمام بجانب الطلب الذي كان مهماً في النظرية الاقتصادية الكلاسيكية ممثلاً بقانون ساي للأسواق وفروضه القائلة؛ بأن العرض يخلق الطلب عليه وليس هناك خشية من الافراط في الانتاج. إذ لا بد من التوازن بين العرض والطلب الذي سيفضي الى ايجاد دور تدخل الدولة بعد ان كانت كل الاطروحات ومنذ آدم سميث وريكاردو تؤكد ان نظام اقتصاد السوق هو من الدقة بمكان، حتى انه يستطيع ان يوازن نفسه بدقة وكفاءة عالية دونما تدخل من الدولة¹¹⁴.

الا ان الصيحة التي اطلقها جان جارس ليوناردي سيموندي (1773 – 1842) في وجه الحرية الاقتصادية وإعادة النظر في الافراط في الانتاج وإعطاء دور للدولة في النشاط الاقتصادي، والذي اصبح بموجبها الاغنياء هم أعداء الفقراء، كما أصبح الرأسماليون هم اعداء العمال، كذلك اصبحت وظيفة الدولة هي حماية الضعفاء من الاقوياء¹¹⁵.

ان هذه الصيحة اصبحت علامة استفهام منذ ذلك الوقت وحتى انبثاق الكلاسيكية الجديدة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر والتي افضت الى مفهوم الرفاهية ودولة الرفاهية، (welfare welfare state) وقد تجسدت هذه المفاهيم بعد الكساد الاقتصادي الكبير (1929)

¹¹⁴- مصدر سابق (د. أحمد ابراهيم منصور) ص108
- جون كينيث جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،
¹¹⁵2000، ص112

– 1932)، حيث أصبحت هناك قناعة تميل الى الاعتقاد بأن رفاهية الفرد أهم من ان تترك لمجرد عمليات قوى السوق¹¹⁶.

وكان للكثير من المفكرين الاقتصاديين دراسات مستفيضة في تحليل دولة الرفاهية الاقتصادية وسبب نشوئها، وسنتطرق الى بعض الدراسات التي تناولت موضوع الرفاهية واختلاف التحليلات حول مواضيعها.

اقتصاديات الرفاهية

الرفاهية كلمة ترتبط بالسعادة ورغد العيش، ولقد حاول بيجو ان يحلل مجال دراسة اقتصاديات الرفاهي، فعرفها بأنها ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية الذي يتناوله المقياس النقدي بطريق مباشر أو غير مباشر.

وقد نتساءل هنا: هل تختلف اقتصاديات الرفاهية عن الدراسة الاقتصادية العادية؟. ويقرر بيجو في هذا الشأن أن اقتصاديات الرفاهية هي فرع من دراسة علم الاقتصاد، ذلك ان النظرية العامة تحاول ان تكشف قوانين السلوك الاقتصادي، وهي لذلك تتيح التحكم في البيئة المحيطة، فإذا لم يكن ثمة أمل في التحكم في البيئة الاقتصادية، فإن دراسة علم الاقتصاد لايمكن الدفاع عنها على انها دراسة مجدية، فالرفاهية الاقتصادية إذن وثيقة الارتباط بدراسة علم الاقتصاد. ويختتم بيجو بحثه بافتراض ان الزيادة في الرفاهية الاقتصادية تؤدي الى زيادة في الرفاهية العامة، غير ان هذا النوع من الجدل لا يستند الى التحليل العلمي بقدر ما يستند الى الحكم الشخصي value Judgment ولا يبدو في الواقع ان هناك ارتباطا بين الرفاهية الاقتصادية والرفاهية العامة والسعادة لانتوقف على ما يستهلكه الفرد فحسب، بل على ما يستهلكه

- محمد عمر شابرار، الاسلام والتحدي الاقتصادي، ترجمة محمد السهوري، عمان: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1996، ص154¹¹⁶

الآخرون. وبعبارة أخرى فإن فرض بيجو يعلق أهمية مبالغا فيها على الرفاهية المادية كأساس لسعادة الانسان¹¹⁷.

أما رادوميزلر¹¹⁸ Radomysler فهو يعتقد ان اقتصاديات الرفاهية لاتنطوي على معرفة مايجب علينا ان نؤديه, بل على دراسة اسباب الرفاهية اي العوامل التي تؤدي الى تحقيق قدر أوفى من السعادة للانسان.

ولو كانت مهمة دراسة الرفاهية مقصورة على هذا المجال المحدود, فإن مثل هذه الدراسة تصبح تقريرية ومن ثم فإنها تستند الى التحليل العلمي الخالص. أما اذا امتدت آفاق هذه الدراسة بحيث تشمل رسم السياسة الواجبة الاتباع لتحقيق الرفاهية, فتقرر مثلا ان الوضع أفضل أو اسوأ من الوضع ب؛ فإن مثل هذه الدراسة تصبح معيارية، اي انها لاتستند الى التحليل العلمي الخالص.

إن رسم السياسة (في رأي رادوميزلر) لابد ان يكون في يد رجال السياسة وعلماء النفس, فليس من مهمة الاقتصاديين, بوصفهم اقتصاديين, أن يذهبوا الى أبعد من حدود الدراسة الايجابية العلمية. كما أن الرأي عند رادوميزلر أن اقتصاديات الرفاهية هي, في الواقع، دراسة لاسباب الرفاهية، وعلى ذلك فمن الناحية النظرية لانجد اختلافا كبيرا بين تعريف بيجو وتعريف رادوميزلر. ومع ذلك فإننا لا نوافق رادوميزلر بأن مهمة الاقتصادي مقصورة على دراسة أسباب الرفاهية و إذ إن هناك كثيرا من المسائل العلمية التي يمكن له ان يدلي فيها بنصحه ومشورته, ومن السخف أن نترك هذه المهمة لغير الاقتصاديين¹¹⁹.

حسين عمر.د, الرفاهية الاقتصادية, بحث في الاسس العلمية والتطبيقات العملية لرفاهية الفرد والمجتمع, القاهرة, دار الفكر
117 - العربي, 1999,
118 -- نفس المصدر
119 - نفس المصدر

لقد افترض بيجو¹²⁰ أن المقارنات بين المنافع الشخصية ممكنة, ولو انه لم يتعرض لهذه الفكرة بالمناقشة فعلا, ولقد استخدم في تحليله فكرة (صافي الناتج الاجتماعي) Social Net Product وهي تتضمن إمكانية تجميع إشباعات الأفراد. وهو لذلك ينحو نحو مارشال الذي كان يستخدم نفس الفكرة لتجميع فوائض المستهلكين.

ولقد استخدم بيجو في تحليله فكرتين رئيسيتين:

*- حجم الدخل القومي.

*- توزيع الدخل القومي.

وذلك للدلالة على الرفاهية الاقتصادية الكلية aggregate economic welfare وتنطوي الفكرة الأولى على ان اي زيادة في الدخل القومي الكلي للمجتمع تؤدي الى الزيادة في الرفاهية الاقتصادية، شريطة ان نصيب الفقراء من هذا الدخل لا ينقص عما كان عليه قبل الزيادة. أما عن الفكرة الثانية فإنه يجادل؛ بأن التغيرات في توزيع الدخل القومي لصالح الفقراء سوف يؤدي أيضا الى زيادة الرفاهية الاقتصادية, غير ان بيجو, في الواقع يضمن نظريته بفكرة أساسية معينة؛ وهي مجموعة من الشروط الحدية في الانتاج، marginal conditions of production وذلك عندما يقرر بأن صافي الناتج الحدي الاجتماعي marginal social net product للموارد لا بد ان يتعادل في كافة الاستعمالات، لكي يمكن أن يصل الناتج القومي الى أكبر حجم ممكن, فإذا لم تتوافر هذه الشروط، فإنه يمكن زيادة الناتج القومي الكلي عن طريق نقل الموارد من الاستعمالات التي يكون فيها صافي الناتج الحدي الاجتماعي منخفضا الى الاستعمالات التي يكون فيها مرتفعا نسبيا.

¹²⁰- نفس المصدر

من الواضح ان هذه الفكرة تستند الى المقارنة الشخصية, حيث انها تعتمد في الواقع على استخدام الناتج القومي كدليل او مرشد على المستوى الذي قد تبلغه الرفاهية الاقتصادية الكلية.

تحليل رادوميزلر¹²¹

يبدأ رادوميزلر تحليله بالتساؤل عما اذا كانت دراسة الرفاهية الاقتصادية دراسة تقريرية أم معيارية **positive or normative** وهو يقرر في هذا الصدد, أن كثيرا من الكتاب يخطئون في اعتقادهم بأن (النظرية الاقتصادية في حد ذاتها متعلقة بوصف ما هو كائن فعلا, اما الرفاهية الاقتصادية فهي متعلقة بما يجب أن يكون¹²²:

ومن منا نجد انقساماً في الرأي، إذ يقرر بيجو مثلا ان دراسة الرفاهية لا تنطوي على رسم سياسة معينة, بل هي تبحث في (اسباب) الرفاهية, وعلى ذلك فهي دراسة علمية إيجابية ولذا نجد ان بحثه في (اقتصاديات الرفاهية) هو في الواقع الامر دراسة موضوعية **objective** وعلى الرغم من أن دراسة أسباب الرفاهية لا تعدو أن تكون خطوة تمهيدية أولية لرسم السياسة العملية, فإن الدراسة النظرية للرفاهية تختلف تماما عن رسم السياسة العملية. وهنا يذكر رادوميزلر أن كثيرا من الكتاب لم يدركوا حتى الآن ان وضع السياسات هي دراسة غير علمية, فالسياسة تقرر ما يجب ان يكون, لا ما هو كائن فعلا.

وفي ضوء هذا التحليل يفرق رادوميزلر بين النظرية الاقتصادية واقتصاديات الرفاهية, إذ يقرر بأنه رغم ان كلا الدراستين دراسة علمية إيجابية, فإن النظرية الاقتصادية تتناول المسائل الخارجية **external matters** كالأسعار والدخول والتوظيف والناتج في حين أن اقتصاديات الرفاهية تتناول المشاعر والأحاسيس الداخلية **internal sensations economics**. ولذلك

¹²¹ - مصدر سابق (د. حسين عمر)

¹²² Economic theory is concerned with explanation of what is; welfare economics is concerned with what ought to be.

فأن البعض يسمى هاتين الدراستين بأقتصاديات الاسعار price economics واقتصاديات الرفاهية welfare economics.

غير انه لا يوجد حد فاصل وواضح بين الكميات الاقتصادية الخارجية وبين الاحاسيس الشخصية الداخلية, ونحن نحتاج في واقع الامر الى نتائج اقتصاديات الاسعار لكي يكون في وسعنا البحث في اسباب الرفاهية. ومن ثم فإن هدف الدراسة الاولى يختلف عن هدف الدراسة الثانية, إذ ان الاولى نجد ان الاسعار هي موضوع بحث الاقتصاديين النظريين, بينما نجد في الثانية أن الاحاسيس والمشاعر هي موضوع البحث في واقع الامر.

كما تساءل رادوميزلر بعد ذلك عما اذا كانت الرفاهية الاجتماعية social welfare دراسة ايجابية علمية. لو انتقلنا من رفاهية الفرد الى رفاهية المجتمع, لوجدنا ان الاخيرة لاتعدو ان تكون الرفاهية الكلية لجميع الافراد الذين يتكون منهم هذا المجتمع. بيد اننا نعرف عن يقين أنه من المتعذر مقارنة الإشباعات المختلفة حيث انه لا يوجد مقياس موضوعي مباشر لمثل هذه الحالات الداخلية من الاحاسيس والمشاعر, ولذلك فإن مرد الامر كله هو الحدس والتخمين. ولقد تغلب كل من كالدور Kalder ومعاصره هيكس Hicks على مثل هذه الصعوبة, وذلك بواسطة طريقة التعويض method of compensation.

إذ جادل كل منهما بأنه (إذا كان من الممكن تعويض جميع الخاسرين بعد حدوث تغير ما بحيث لا يكون أي منهم أسوء حالا من ذي قبل, بينما يصبح الرابحون أحسن حالا من ذي قبل, برغم أنهم قد يضطرون الى دفع هذا التعويض, فإن الرفاهية الاجتماعية تزداد, ولا نحتاج للتعرف على هذه النتيجة الى الالتجاء الى مقارنة إشباع فرد ما بإشباع فرد آخر¹²³).

¹²³ "If all that lose can be compensated, after a certain change so that they are no worse off than before, whilst the gainers, though they have to pay this compensation after the change, are yet better off than before, then social welfare has increased without resorting to compare satisfaction of one individual to another"

ويجيب رادوميزلر على ذلك بأن هذه الفكرة المبتكرة، يعني بها فكرة تعويض الخاسرين، لن تؤدي الى حل المشكلة. ذلك ان العلاقة بين الدخل في حد ذاتها هي إحدى مكونات الرفاهية، ولذلك قد يعتبر دفع التعويض إجراء غير عادل بالنسبة للخاسرين. فضلا عن ذلك، فلو أصبح الأغنياء أكثر غنى، بينما بقيت الدخل الأخرى على حالها دون تغيير، فقد لا تزيد الرفاهية الكلية وربما تنقص عن ذي قبل.

ومن ثم يرى رادوميزلر أننا في حاجة الى مقياس موحد للإشباع الكلي لكي نصل الى نتائج حاسمة في موضوع الرفاهية. وطالما أننا لم نوفق بعد الى التعرف على هذا المقياس الموحد فإن اي مناقشة حول الرفاهية الاجتماعية لا بد أنها تصبح مناقشة غير علمية. ويقرر رادوميزلر أنه يستشف من كتابات المحدثين من اقتصاديي الرفاهية مايفصح عن انهم يعتقدون بأن دراسة الرفاهية دراسة علمية ايجابية. وهنا يعنى رادوميزلر على هؤلاء الكتاب هذا الاعتقاد الخاطئ.

إن مهمة اقتصاديات الرفاهية هي دراسة اسباب الرفاهية: مالذي يؤدي الى زيادة إسعاد الناس؟ وما الذي لا يؤدي الى ذلك؟ وما هي حاجات الناس؟ وكيف يمكن إشباعها؟. ومع ذلك فالرفاهية أو السعادة ليست شيئا ينطوي على البساطة. إن ماأخذه اقتصاديو الرفاهية في الاعتبار هو جزء من الرفاهية فحسب، أما كافة الاعتبارات الأخرى التي تعني هذا البحث فهي مستبعدة في واقع الامر.

وأخيرا يعتقد رادوميزلر أن الفكرة المنطوية على ان الرفاهية الاقتصادية جزء من الرفاهية العامة هي فكرة خاطئة. إن الرفاهية وحدة متجانسة، ولا يمكن الفصل بين ما اقتصادي وما هو غير اقتصادي في موضوع الرفاهية. وقد يكون من الممكن والملائم دراسة الأسباب

الاقتصادية في حد ذاتها بمعزل عما عداها من الاسباب غير الاقتصادية، ولكن هذه الدراسة تتضمن ضرورة التعرف على كافة أسباب الرفاهية. ولو أخذنا بفكرة الاستهلاك فقط وبحثنا فيها وحدها لما توصلنا الى نتائج ذات قيمة. ويدخل هذا الاعتبار في دائرة اختصاص رجال السياسة الذين يجب أن يبحثوا في كافة الأسباب التي تؤدي الى إعاقة أو زيادة الرفاهية العامة. وبعبارة أخرى فإن الإحساسات التي يشعر بها المستهلكون في استهلاكهم للأشياء – سواء أكانت سلعا أم خدمات – ليست هي الهدف النهائي، إذ أنها تكوّن جزءا من الرفاهية. إن دراسة المشاعر والأحاسيس هي مهمة آخريين من علماء الاجتماع، وما علينا في رأي رادوميزلر إلا أن نسلم المشكلة في نهاية الأمر الى هؤلاء العلماء النفسانيين.¹²⁴

المحور الرابع: تحليل باريتو للوضع الامثل

يعرّف باريتو الوضع الامثل optimum position أو أقصى الرفاهية العامة maximum general welfare بأنه ذلك الوضع¹²⁵ الذي لايمكن التحرك منه الى وضع آخر يصبح فيه كل فرد في النظام الاقتصادي أحسن حالا من ذي قبل. إذا حدث انتقال معين من الوضع الأصلي الى وضع آخر تتحقق معه زيادة في رفاهية بعض الأفراد، ولكن يترتب عليها نقص في رفاهية الأفراد الآخرين، فليس من الممكن – تبعا لتعريف باريتو – تحديد ما اذا كانت الرفاهية الكلية تزداد أو تنقص بعد التغيير، بعبارة أخرى فإنه لو حدثت كل من الزيادات الموجبة والزيادات السالبة في رفاهية الأفراد في ذات الوقت، فمن المتعذر مقارنة الوضع قبل حدوث التغيير بالوضع بعد حدوث التغيير.

¹²⁴ - نفس المصدر

¹²⁵ "A point of maximum welfare is a position from which there is no possible movement whicc would make everyone in the system better off"

ويفسر باريتو تعريفه الخاص بالوضع الأمثل للرفاهية optimum welfare على أساس الاستعانة بتحليل منحنيات السواء الخاصة بعمليات التبادل بين فردين. أن باريتو هو أول من أقام دعائم التحليل الحديث لاقتصاديات الرفاهية، وذلك بأستخدامه لفكرة التفضيل غير القابل للقياس العددي، وفي تعريفه للوضع الأمثل دون ما حاجة الى جمع الإشباعات أو مقارنة إشباعات مختلف الأفراد. إن التحليل الباريتي لأقتصاديات الرفاهية هو، في الواقع تحليل حديث بما انه يضع شروط الاوضاع المثلى في الانتاج والتبادل دون اضافة منافع الافراد بعضها الى بعض. ولذا نجد ان هذا التحليل خروج على التقليد المنفعي في علم الاقتصاد، فالوضع الأمثل في تحليل باريتو هو ذلك الوضع الذي يستحيل معه وضع أي فرد على منحنى سواء أعلى دون أن يترتب على ذلك وضع اي فرد آخر على منحنى سواء أدنى. ولكن يجب ان نؤكد، ان ثمة عددا لا نهاية له من الاوضاع المثلى، وأن ثمة وضعاً أمثل (أفضل الاوضاع المثلى) هو أفضل بالضرورة من أي وضع آخر. وبعبارة أخرى فقد يكون هناك وضع أمثل (حسب تعريف باريتو) يتوافق مع سوء توزيع الدخل، ومع ذلك فهو أسوأ من وضع آخر يتوافق مع حسن توزيع الدخل. 126

لا تبحث أمثلية باريتو مسألة توزيع الدخل وعدالة هذا التوزيع بمعزل عن حالة الاتساق بين الفعاليات الاقتصادية، في الانتاج والتبادل والتوزيع والاستهلاك المحكومة بمعيار الكفاءة الاقتصادية، وبناء على ذلك فإن التوزيع الأمثل وفق الحالة الباريتية يعالج مسألة الكفاءة الاقتصادية أكثر من معالجته لمسألة العدالة الاجتماعية، لا بل إن عدالة التوزيع هي نتيجة متحققة من خلال الكفاءة الاقتصادية لتخصيص الموارد وفق قاعدة باريتو الأساسية والتي

مفادها أن أي شخص سواء كان منتجا أم مستهلكا، ليس بإمكانه أن يكون بوضع أفضل ما لم يلحق الضرر بآخر.

وفق هذه الامثلية فإن التحليل الاقتصادي الباريتي يتحرك في فضاءات ساكنة، ومنه فإن دخل المستهلك ثابت وهو قيد يتحرك المستهلك بموجبه للوصول الى المنفعة الاجمالية القصوى. وبالعودة الى حدود إمكانات المنفعة، سوف نجد تشابها بين إمكانيات حدود الإنتاج في التخصيص الكفاء للموارد في مستويات إنتاج سلع مختلفة، ثم الإشباع الذي يحصل عليه الناس في ضوء الدخل الحقيقي¹²⁷.

إذاً هناك ارتباطات بين مستويات توزيع الدخل، وإعادة توزيعه، وبين التراكم الرأسمالي المطلوب المغذي لفتوات الاستثمار والنمو الاقتصادي، فليس مجديا اقتصاديا أن يكون التوزيع موزعا بشكل عادل وفي الوقت نفسه مثبطا للنمو الاقتصادي وكمدخل لتحديد نقطة أقصى سعادة Bliss Point في ضوء قيد الدخل الناتج عن توزيع عادل باريتيا.¹²⁸

لقد تطورت النظرية بعد باريتو ولكنها إتخذت مسالك مختلفة.

المحور الخامس: المدارس الفكرية في الرفاهية
بيد انه يمكن أن نميز ثلاث مجموعات رئيسية من آراء مختلف الكتاب، تعبّر كل منها عن مدرسة فكرية قائمة بذاتها ومتميزة عما عداها من المدارس الفكرية الاخرى:¹²⁹

1 - المدرسة الاولى

هناك أولا النظرية التي تعتبر(الرفاهية) بمثابة فكرة أخلاقية بحته Purely ethical concept، وعلى ذلك فلا يمكن التوصل الى نتائج الرفاهية welfare conclusions إلا على

- أندرو سكوتر، علم اقتصاد السوق الحرة، ترجمة نادر إدريس النل (عمّان: دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، 1990) ص101¹²⁷

128- مصدر سابق (د. أحمد إبراهيم منصور)

129- مصدر سابق (د. حسين عمر)

أساس فروض أخلاقية **ethical premises** لابد ان يقررها شخص فذ غير عادي ولنطلق عليه اسم **superman**. ومن ثم فهذه المدرسة الفكرية لاتهتم بفكرة الإشباع أو السعادة رغم أن هذا الشخص قد يأخذها في الاعتبار. وعلى أساس هذه النظرية, فمن الممكن التغاضي عن فكرة وجود مقياس معين يدل على زيادة أو نقص رفاهية الفرد. ولن تدعو الحاجة الى هذا المقياس إلا إذا قرر هذا الشخص أن رفاهية المجتمع إن هي إلا بناء منطقي يستند الى رفاهية الأفراد. ومع ذلك فقد يقرر هذا الشخص مقياسا معيناً يتفادى به الصعوبات التي تنطوي على عدم تناسق الأفراد في سلوكهم الاقتصادي, أو قد يقرر أن الإشباع والسعادة لادخل لهما في رفاهية المجتمع. كذلك فإن النظرية تعالج فكرة التوزيع المثالي للدخل على انها فكرة أخلاقية, ولا يمكن تقرير اي شئ حول الرفاهية, ما لم يأخذ هذا الشخص الفذ في الاعتبار فكرة توزيع الدخل, فضلا عن كافة العوامل الأخرى التي قد يأخذها أيضا على انها ذات أهمية أخلاقية. ولذا تهتم هذه المدرسة بالنتائج المترتبة على الفروض الأخلاقية, إذ من الممكن إدخال أية فكرة أخلاقية داخل النظام الاقتصادي بحيث يكون هذا الشخص على استعداد لأن يعطيها قيمة شخصية **personal values**. وعلى ذلك ففي داخل هذا الإطار التحليلي, يمكن التوصل الى (شروط الأوضاع المثلى) **optimum conditions**, ولا يسعنا إلا ان نقرر هنا أن هذه المدرسة الفكرية هي بلا شك على حق في تأكيد أن اقتصاديات الرفاهية لا تعدو أن تكون دراسة أخلاقية.

2- المدرسة الثانية

ولا تعترف المدرسة الثانية بالناحية الأخلاقية من موضوع الرفاهية, إذ وفقا لهذه المدرسة الفكرية فإن اقتصاديات الرفاهية لاتزال في جوهرها دراسة لأسباب الإشباع, ومع ذلك فإن هذه المدرسة لاتنكر أنه لايمكن التوصل الى نتائج الرفاهية دون أخذ فكرة توزيع الدخل في الاعتبار. وعلى ذلك فلا بد ان يفترض أساسا أن ثمة توزيعا مثاليا للدخل.

ومع ذلك فهذه المدرسة تنكر فكرة عقد المقارنات بين المنافع الشخصية, ومن ثم تشترك كل من هذه المدرسة والمدرسة السابقة في انهما تستنتجان الشروط المثلى في الانتاج والتبادل على اعتبار أنها شروط لازمة للوضع (الامتثل), أما التوزيع المثالي للدخل فهو يعتبر أيضا شرطا لازما للوضع الامثل. بيد أن كلا من هاتين المدرستين الفكريتين لا تقران شيئا عن كيفية إمكان تحديد ما إذا كان وضع أمثل أفضل أو أسوأ (أو منتج لمزيد أو قليل من الإشباع) من وضع أمثل آخر. وأي وضع أمثل – حسب تعريف باريتو – هو أحد هذه الاوضاع المثلى.

3- المدرسة الثالثة

أما المدرسة الثالثة فهي تقرر أن اي وضع (أمثل) في تحليل باريتو يمكن اعتباره بالضرورة أفضل من أي وضع آخر لاينم عن الوضع (الامتثل) في هذا التحليل. وبعبارة أخرى فإن هذه النظرية تقرر أن توزيع الدخل ليس له من اعتبار في بحث مشكلة ما إذا كان وضع ما هو الوضع الذي يدل على رفاهية اقتصادية أكبر من تلك التي يدل عليها وضع آخر. ويرى المنفعيون أن هذا ينطوي على افتراض أن الجنيه ينتج نفس المقدار من الإشباع بغض النظر عنا إذا أعطى الى رجل غني أو فقير. وقد لا يوافق كثير من الناس على أن مثل هذا الفرض يتمشى مع المنطق السليم. أما في رأي المدرسة الفكرية الاولى , فإن الامر يتوقف على الحكم الشخصي المنطوي على انه (لابد من إغفال توزيع الدخل في تقرير ما إذا كان وضع معين أفضل من وضع آخر). ولكن من الواضح فعلا أن اقتصاديي الرفاهية المحدثين والمنتمين للمدرسة الفكرية الثالثة لا يقصدوا في تحليلهم افتراض تساوي الإشباع أو الألتجاع الى الحكم الشخصي, إذ هم يعتقدون بأن عقد المقارنات الشخصية بين منافع الأفراد أمر غير مشروع في تحليل الرفاهية. ومن ثم فإن هؤلاء الاقتصاديين يعرفون (الزيادة في الرفاهية الاقتصادية) دون الاشارة الى توزيع الدخل الحقيقي بما يتضمنه من آثار على حجم الرفاهية,

ومع ذلك فإنهم, في ذات الوقت, لا يدركون ما يتضمنه تعريفهم من حكم شخصي. وأنهى هذا الباب بالقول بأن الدراسات التي شملت الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية قليلة جدا ولكنني استوحيت كل تلك الدراسات التي ذكرتها في فكر الاوائل من الاقتصاديين والاجتماعيين, وكذلك فكر الاديان السماوية والوضعية كي اذع دراسات سابقة لهذا الموضوع .. كون الدراسات في هذا الموضوع قليلة جدا كونها من المواضيع الحديثة التي تتناول رفاه المجتمع. لذا واجهت صعوبة الحصول على تلك الدراسات.

الفصل الأول

الرفاهية الاجتماعية:

التطور، السيرورات والاستمرارية.

مقدمة

سنناقش من خلال هذا الفصل موضوع الرفاهية الاجتماعية كنظام اجتماعي واقتصادي من خلال تطورها و السيرورات، التي أنتجت هذه الرفاهية اقتصاديا ثقافيا اجتماعيا، أي الشروط المتحكمة في إنتاج نظام جديد في حقبة زمنية معينة، وسنخرج على بنية المفاهيم لدولة الرفاه الاجتماع¹³⁰ ي/ دولة الرعاية الاجتماعية¹³¹، وتطور هذا النمط الاجتماعي وسنتطرق في الأخير إلى استمرارية الرفاه الاجتماعي كواقع مع التغيرات الحاصلة اقتصاديا واجتماعيا وديموغرافيا، وما مدى تمكن هذا النمط من تجديد ذاته من جديد في إطار اقتصادي دائم التبدل وفق نظام السوق العالمي الغير خاضع للستاتيكا مع إبراز النماذج التي فصل فيها "كوسطا اسبينغ اندرسون¹³² " كأنماط ممثلة للرفاه الاجتماعي.

وتسعى الدول إلى تحقيق أقصى درجة أو مستوى ممكن من الرفاهية لمجتمعاتها، والرفاهية يمكن أن تكون الرضا والارتياح المعيشي للأفراد أو هو الاستمتاع الذي يجنيه الفرد من شتى صنوف استهلاكه السلعي والخدمي، أي من مأكلا وملبس ومسكن ومستوى الرعاية الصحية والتعليم والترفيه والأمن والاستقرار.

¹³⁰ تذهب بعض الدراسات، إلى استعمال مفهوم الدولة الراعية، للحديث عن تدخل الدولة واستمرار هيمنتها في المجتمعات المعاصرة، عوضا عن مفهوم دولة الرفاه الاجتماعي، أنظر في هذا الباب: عبد الله، مولة. (2009) «التحكم في التبادل الحر والتنمية: من الدولة الراعية إلى الدولة التنموية» التواصل، عدد 24، جوان، ص 46.

¹³¹ نوظف مفهوم الرفاه الاجتماعي في دراستنا هذه في إشارة إلى مجموع الخدمات، التي تقدمها الدولة؛ من خدمات التأمين ومعونات لأفراد المجتمع، بما يحقق ارتفاع مستوى المعيشة أو ضمان حد أدنى لها وبينني هذا المفهوم على مسألة حق كل فرد من أفراد المجتمع في أن يحيا حياة كريمة، تمكنه من الولوج للتعليم والصحة والسكن وتوفير الدخل والعمل والتأمين في حالة العجز أو الشيخوخة، أنظر في هذا الباب: أحمد، السيد النجار. (2006)، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز الوحدة العربية، بيروت، ص 186.

¹³² عرض "اندرسون" تحليلا حول أنظمة الرفاه، وكان له اثر واسع في السياسات و الأدبيات العلمية، حيث سلط الضوء على كيفية ترابط السياسات الاقتصادية والاجتماعية للدولة وأسس التنظيم الاقتصادي لها.

إن الرفاهية ترتبط بالمقياس النقدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وكذلك بالمكانة الاجتماعية والتحصيل العلمي والمنفعة والإشباع وعوامل أخرى (الحريات، عوامل بيئية، أمنية، صحية¹³³).

إن تحقيق الرفاهية في المجتمع يرتبط بمقدار الدخل الكلي أو الناتج الكلي، وعليه يمكن ترجمة الهدف النهائي للجهد الاقتصادي في أي مجتمع بالسعي للارتقاء بنصيب الفرد من السلع والخدمات أو بمستوى الدخل الحقيقي للفرد إلى أعلى مستوى ممكن¹³⁴.

عندما نتحدث عن الرفاهية الاجتماعية لابد لنا من تناول الاقتصاد من نواحي تطوره ودوره وأثره في تحقيق الرفاهية ولو جزئياً في زمان ومكان معينين¹³⁵. (وبدءاً من البيت أو العائلة) نبحث الوضع الاقتصادي كعامل مهم في رفاهية تلك العائلة بنظام اقتصادي واجتماعي منظم، وإذا ما درسنا تاريخ الاقتصاد وتطوره عبر العصور نلمس، بان الإنسان كان يحاول دوماً على حفظ الذات. وهو القانون الوضعي الأول في الطبيعة¹³⁶.

ولكي يحافظ الإنسان على ذاته ضمن هذا القانون لابد له من العمل الجاد، وكان محرك ذلك العمل هو الجوع الذي كان يقوده دوماً إلى العمل، والذي نسميه حالياً وفق المصطلحات

¹³³ ماهر، أبو المعاطي. (2004)، مقدمة الرعاية الاجتماعية: أسس نظرية ونماذج عربية، الحصري للطباعة، القاهرة، ص 4.
¹³⁴ نظام الضمان الاجتماعي أو التأمينات الاجتماعية نظاماً اجتماعياً اقتصادياً يستند على مبدأ تأمين الحماية من الفقر والمخاطر لكافة الأفراد عن طريق الاتحاد والتكافل وبما يحقق الأمن الاجتماعي.
¹³⁵ على خلاف الماركسية التي تعتبر الماركسية كنتيجة لمنطلقها المادي الصرف تحصر مدى العدل في تنفيذ مطالب الإنسان المادية فحسب وتغفل، بل تقف – حرصاً منها على تنفيذ وحماية سميتها الطبقيّة ونزعتها الجماعية – بمواجهة سائر المطالب الأخرى روحية ونفسية وفكرية ووجدانية واجتماعية...، كما أنها تجعل الطبيعة بحركتها الدينامية الأبدية القائمة على تجاوز النقيضين، هي السيّد المطلق وليس الإنسان سوى (منفذ) غير حر ولا مرید لمشية هذا السيّد، وأنه أياً كانت المرحلة الاجتماعيّة التي يمارس فيها علاقاته، المرحلة المشاعية أم مرحلة الرق، أم الإقطاع أم الرأسماليّة، أم الاشتراكيّة، فإنه يفعل ذلك بأمر من الطبيعة، لا محيص له عنها أبداً. وهذا الموقف يمثل ولا ريب، نزعة من أفسى النزعات الجبرية التي شهدتها التاريخ، تقف ومساءلة العدل على طرفي نقيض، وإن كانت التحليلات التبريرية الجدلية هي التي تدفع الماركسية إلى مزيد من الإيمان بفكرة التقدم والعمل الثوري الدائم للإسراع بالجدل الطبقي المحتوم إلى غابته. أنظر في هذا الباب: محمد، أحمد عبد الغني. (2004) العدالة الاجتماعية في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، ص 144.

¹³⁶ أحمد، عز الدين محمد. (2014) «دولة الرفاه في مصر دراسة مقارنة، 1995-2005»، سياسات عربية، العدد الثاني، تشرين الثاني/نوفمبر، ص، ص، 53-66.

الاقتصادية بالحاجات الإنسانية والذي يحتاج ذلك الإنسان إلى إشباعها، وانتقالاً من نظام المشاع البدائية، التي كانت الطبيعة هي مصدر العمل المعنوي في إنتاج المحاصيل والفواكه والولادات في الفصيلة الحيوانية¹³⁷.

استطاع الإنسان سرقة عمل الطبيعة العفوي ليتعلم كيف ينتج وكيف يهتم بمصدر الموارد الطبيعية مثل الأشجار ورعي الحيوانات، ليكون هو العامل الحقيقي في الطبيعة وفي عمله هذا شارك معه الحيوانات المهجنة مثل الأبقار والحمير والحصن، كمولد للطاقة الحركية في التنقل والأمان¹³⁸.

إذاً كان المدخل الأول للإنسان هو العمل لتدبير محيطه والحفاظ على ذاته أي بعمل الإنتاج، والإنتاج في الاقتصاد يعتبر جوهره وأداته الأول، ويليه نشاطات اقتصادية أخرى كالمقايضة وامتلاك الأراضي وبيع المياه وبناء المدن وتقسيم العمل ومعرفة الحاجات البشرية وإشباع الرغبات وتكوين العمالة وجمع الثروات (الرأسمال) وتعلم التنظيم في العمل (الإدارة) والاعتماد على الآخرين في العمل لقاء إشباع رغباتهم في العمل والحفاظ على الأراضي وحرثها والاعتماد عليها كمصدر إنتاجي الأرض. أي نظم العوامل الإنتاجيات أربع تحت رعايته¹³⁹.

وهكذا دخل الإنسان آنذاك مدخل الاقتصاد بعفوية إنسانية بدون دراسات وتخطيط وبحوث. إذن الاقتصاد موجود منذ الخليقة ولكن بطرق عفوية، مصدره حفظ الذات- الجوع- والإشباع / والعمل¹⁴⁰.

¹³⁷ عبد الخالق، محمد عفيفي. (2006)، الرعاية الاجتماعية: الأسس والمجالات، جامعة حلوان القاهرة، ص 9.
¹³⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمرك، كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، ص 27.
¹³⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمرك، كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، ص 27.
¹⁴⁰ عبد الخالق، محمد عفيفي. (2006)، الرعاية الاجتماعية: الأسس والمجالات، مرجع سبق ذكره، ص 10.

النشاط الاقتصادي عبر التاريخ

الاقتصاد كما هو معروف يدخل في كل حياتنا اليومية، ويدخل ضمن البيت أو القرية أو المدينة أو ابعد من ذلك إلى الدويلات والدول، وعندما نتكلم عن الاقتصاد العالمي لابد لنا من وضع تساؤل... هل كان هناك اقتصاد عالمي بالمعنى الشائع في العصور القديمة؟ بالطبع سيكون الجواب لا وذلك لان الاقتصاد آنذاك كان يتسم بالفردية والعائلية¹⁴¹.

إن أول نظام اقتصادي اجتماعي وجد منذ عدة آلاف من السنين وكان مشتركا بين كل الشعوب في المرحلة الأولى من تطورها، حيث كانت علاقات الإنتاج¹⁴²، في هذا النظام بمستوى منخفض من تطور القوى الإنتاجية والحالة البدائية لأدوات العمل والتقسيم الطبيعي للعمل حسب الجنس والسن، وكان أساس علاقات الإنتاج الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج.

وفي إطار الملكية المشتركة كانت هناك أيضا ملكية خاصة للأسلحة والملابس والأواني المنزلية وكان إشباع الحاجات في نظام مشاعي بدائي يتم جماعيا بواسطة الجماعات السكانية المتواجدة في مكان ما، وكان الناتج يقسم إلى أجزاء متساوية ويستهلك جماعيا¹⁴³. ولم يكن البدائيون يستطيعون بغير العمل العفوي معا أن يؤمنوا وسائل معيشتهم وان يحموا أنفسهم من هجمات الحيوانات المفترسة والجماعات المجاورة¹⁴⁴.

شكل الفصل بين تدجين الحيوانات والزراعة، أساسا أوليا لتقسيم العمل، بمعنى أن القوى الإنتاجية لنظام المشاع البدائي بدأت بالظهور العفوي ومن ثم بدأ بالتطور على مر الزمن، ومع

¹⁴¹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمرك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، ص 29.

¹⁴² محمود، عبد الرزاق. الطبيعة كانت المنتجة وصاحبة الإنتاج، وكانت عوامل الإنتاج غائبة نوعا ما لذا فلا يمكن اعتبار الإنتاج اقتصاديا بل عفوي

¹⁴³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص، 30.

¹⁴⁴ نفس المرجع السابق ذكره، ص 30.

تطورها نشأ وتطور التبادل والملكية الخاصة والتفاوت الاقتصادي بين أفراد أعضاء الجماعة. وظهر العمل العبودي¹⁴⁵.

أدى العمل العبودي، إلى مزيد من التفاوت الاقتصادي وكان مسئولاً عن تفكك المجتمع البدائي، وبدأ الإنتاج الجماعي والتوزيع المتساوي للنتائج يقيد القوى الإنتاجية، وفي المرحلة العليا من تطور النظام المشاعي البدائي ثم تقسيم العمل وهو الفصل بين أصحاب الحرف اليدوية والزراعة، سهل هذا بحدوث انهيار أكبر في النظام المشاعي البدائي¹⁴⁶، وتذكر قوانين مانو أن البرهما خلق البرهمي من فمه والكاستريا من ذراعه والويشيا من فخذة والشودرا من رجله فكان لكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو ولكل طبقة من طبقات المجتمع الهندوسي وظائفها وواجباتها¹⁴⁷.

وهو ما يؤسس للتفاوت الاجتماعي ولغياب العدل، وكانت النتيجة ظهور الفقراء والأغنياء والاستغلال والطبقات والدولة وحلت محل النظام المشاعي البدائي المجتمعات الطبقيّة، مثل النظام العبودية والنظام الإقطاعي¹⁴⁸.

ولكي نعطي الموضوع حقه من باب التحليل الواقعي وحسب المعطيات الواقعية، نتمكن أن نجزم بأن الاقتصاد في العصور ما قبل التاريخ¹⁴⁹ يكاد يكون غامضاً لولا بعض الرموز والصور والآلات التي تركها الإنسان في الكهوف التي تعود إلى العصور التاريخية القديمة الأولى.

¹⁴⁵ نفس المرجع السابق ذكره، ص 30.

¹⁴⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً،

مرجع سبق ذكره، ص 30.

¹⁴⁷ محمد، أحمد عبد الغني. (2004) العدالة الاجتماعية في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 85.

¹⁴⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً،

مرجع سبق ذكره، ص، 30.

¹⁴⁹ أعني بالتاريخ هنا التاريخ التقديري وليس التاريخ المكتوب.

في كثير من الأحيان يصبح الباحث وغيره، يتحسس ويبحث عن معنى الممارسات الاقتصادية في الحياة اليومية، بالتأكيد أن الاقتصاد شيء عفوي يدخل حياتنا دون أن نلمسه حسيا ولكنه يبدأ بالإنسان ويعمل على شكل نظام اقتصادي واضح بدءا بالأكل والهضم والخزن وإفراز الهرمون وتنظيم الجسم والعائلة من خلال الولادات والاهتمام بهم وهكذا¹⁵⁰.

فالاقتصاد متمثل بنا دون إن ندركه لذا فالإنسان عفوي الاقتصاد ويعمل بمضمونه من نفسه إلى المحيط الذي يعيش فيه لينظم حياته. في ما يشير مصطلح الاقتصاد "Economy" كما تناوله الفلاسفة اليونانيون¹⁵¹، بأنه إدارة وتنظيم البيئة التي يعيش فيها الإنسان أي (Eco) وتعني به المكان والبيئة و (Nomy) أي التدبير والتنظيم¹⁵².

تم تصنيف الاقتصاد خلال العصور القديمة؛ إلى اقتصاد مشاعي والرق والعبودية والإقطاع، غير أن هذا التصنيف سيعرف بعض التطور مع مطلع منتصف القرن التاسع عشر. وخاصة في الاتحاد السوفيتي سابقا، بحيث ظهر هذا التطور بوضوح بعد عام 1860م وفي ألمانيا بعد عام 1870م، ويرجع ذلك لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية¹⁵³.

أما الاقتصاد بالإمارات العربية المتحدة، فإن يمتاز بعدة خصائص رئيسية تجعله مختلف عن اقتصاديات العالم واقتصاديات الدول النامية، ويأتي في مقدمة هذه الخصائص، إتباع نظام

¹⁵⁰ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 30.

¹⁵¹ أرسطو طاليس أو أرسطو طاليس هو فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم لإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدة، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان

¹⁵² عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 31.

¹⁵³ هاشم، إسماعيل محمد. (1978)، محاضرات في التطور الاقتصادي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 15.

الاقتصاد الحر ثم الاعتماد على النفط والاعتماد على القوى العمالية الوافدة وضيق السوق المحلي والموقع الجغرافي¹⁵⁴.

لقد كان لهذه التركيبة الاقتصادية لدولة الإمارات المتحدة تأثير كبير على الوضع الاجتماعي بالدولة وعلى الإنتاج الاقتصادي وهو ما جعلها تحتل مراتب مميزة على المستوى الدولي.

جدول رقم 1: الصناعة والابتكار

الأولى عالميا	ترتيب دولة الإمارات	المؤشر	التقرير
دولة الإمارات	1	قلة تهديدات تغيير مواقع مرافق البحث والتطوير على مستقبل الاقتصاد.	الكتاب السنوي للتنافسية العالمية (المعهد الدولي للتنمية الإدارية) 2018
دولة الإمارات	1	قلة تهديدات تغيير مواقع مواقع الإنتاج على مستقبل الاقتصاد	الكتاب السنوي للتنافسية العالمية (المعهد الدولي للتنمية الإدارية) 2018
اليابان	4	إجمالي الإنفاق على البحث والتطوير الممول من قبل الأعمال	مؤشر الابتكار العالمي (كلية انسياد) 2018
فنلندا	5	توافر العلماء والمهندسين	تقرير تنافسية المواهب العالمية (كلية انسياد) 2018

المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

فالجداول أعلاه يعكس مكانة الإمارات العربية بين الدول الصناعية الكبرى، وعلى خلاف الدول الصناعية؛ تعد أوروبا الشرقية، بصفة عامة، متخلفة في ميدان التطور الصناعي بالمقارنة مع أوروبا الغربية¹⁵⁵. ولكن، دول غربي أوروبا بدأت في إغلاق المصانع منذ عام 1970م نتيجة لضراوة المنافسة العالمية وبالإضافة، إلى ذلك، انخفض عدد الأيدي العاملة في صناعات أوروبا الغربية، فأصبحت اليوم أقل بكثير مما كانت عليه في منتصف القرن العشرين الميلادي¹⁵⁶.

يفوق إنتاج أوروبا من السلع المصنعة المنتجة في أي قارة أخرى، وتستخدم الدول الأوروبية المتطورة جداً أحدث الوسائل التقنية المتوفرة لديها، لإنتاج كميات ضخمة من السلع.

¹⁵⁴ محمد، سعد عميرة. «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة: الانجازات المحققة والتطلعات المستقبلية». مرجع سبق ذكره، ص 2.

¹⁵⁵ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 54.

¹⁵⁶ نفس المرجع السابق ذكره، ص 54.

كما يستفاد في هذه الدول من العمال المهرة، ولذلك فقد عوض توفر التقنية المتقدمة واستخدام العمال المهرة النقص في المواد الخام¹⁵⁷.

فروسيا وعدد قليل جدا من الأقطار الأوروبية الأخرى فقط لديها كميات كافية من المواد الخام، ولقد استهلكت المواد الخام في بلاد كفرنسا وإيطاليا اللتين اضطررتا لاستيراد احتياجاتهما من المواد الخام الأساسية كخام الحديد والأخشاب والنفط، ولكون أوروبا شهدت ولادة النظامين الرأسمالي والاشتراكي في ظل الفلسفة الاقتصادية الأوروبية، لذا فإن هذا الفصل سوف يتناول مبحثين هما: اقتصاديات النظام الرأسمالي (دول EU) اقتصاديات النظام الاشتراكي¹⁵⁸.

كان الانتقال من مرحلة الإقطاعية، إلى المرحلة الرأسمالية إنتقالا حاسما بحق، فقد طرأ على شكل الإنتاج تحول أساسي بحيث لم تعد الزراعة هي المصدر الأساسي لثروة المجتمع، بل حلت محلها الصناعة التي لم يكن لها في المراحل السابقة الأدوار محدودا يناظر الأساليب البسيطة التي كانت تستخدم في ممارسة الحرف اليدوية. كذلك فإن القوى الإنتاجية قد طرأ عليها تغير أساسي يتمثل في الانتقال من رقيق الأرض إلى العامل الأجير.

جدول رقم 2 : أهم تطورات في التنمية الإنسانية العربية

المجموع	المجموعة الرابعة	المجموعة الثالثة	المجموعة الثانية	المجموعة الأولى	
	البلدان ذات الاقتصاد المعتمد على الصادرات	البلدان ذات الاقتصاد والتنوع	البلدان ذات الاقتصاد المختلط مع النفط	الأولى البلدان ذات الاقتصاد النفطي	
303.6	67.1	156.4	39.9	40.2	عدد السكان بالمليون
100	22.1	51.5	13.1	13.2	نسبة عدد السكان ب
2435	153	833	332	1117	نتاج المحلي الاجمالي
100	6.3	34.2	13.6	45.9	نسبة الانتاج الاجمالي

¹⁵⁷ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 55.

¹⁵⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 55.

المصدر : جامعة الدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الانجليزية 2008 اعتمادا على بيانات صندوق النقد الدولي ومدونة الحقائق لووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية

لعل أهم مظاهر هذا التغيير هو أن الاستبداد الذي كان يحل على رقيق الأرض، وحتى على العبد كان منصبا مباشرة من حيث هو شخص¹⁵⁹، ويعد نظام الرق Slavery أو العبودية، الذي حل محل النظام المشاعي البدائي، أول نظام في التاريخ يقوم على الاستغلال و الانقسام الطبقي بين أفراد المجتمع، وقد ساهمت عدة عوامل في ظهور هذا النظام الاقتصادي¹⁶⁰، وأهمها التقسيم الاجتماعي المستمر للعمل؛ ظهور إمكانية العمل الفردي نتيجة تطور وسائل و إنتاجية العمل. ظهور الملكية الفردية و ما ترتب عنها من علاقات اقتصادية جديدة أدخلت بنظام التوزيع المتساوي لمنتجات العمل¹⁶¹.

أدى التبدل الحاصل في بنية المجتمع إلى حتمية تطور و نمو قوى الإنتاج و انحلال العلاقات الإنتاجية للقبيلة البدائية، فحل العمل الفردي محل العمل الجماعي، وحتت الملكية الفردية محل الملكية الجماعية، هذا ما أدى بدوره إلى تغيير في منظومة الحقوق و الواجبات. وكانت العبودية في أولى مراحلها تسمى «العبودية الأبوية» أو العبودية البيتية، وكان عدد الأرقاء قليلاً، وكان السيد مالك الرقيق يشتغل في الأرض مع أرقائه¹⁶².

¹⁵⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 55.

¹⁶⁰ إبراهيم، بولمكاحل. (2017) مفهوم النظم الاقتصادية و تطورها التاريخي، سلسلة محاضرات مقياس مدخل لعلم الاقتصاد السياسي قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية – جامعة قسطنطينة، ص 2.

¹⁶¹ نفس المرجع السابق ذكره، ص 2.

¹⁶² إبراهيم، بولمكاحل. (2017)، مفهوم النظم الاقتصادية و تطورها التاريخي، مرجع سبق ذكره، ص 2.

أما العامل الأجير فقد أصبح يخضع لنوع غير مباشر من الاستبداد¹⁶³، لا ينصب على شخصه، بل عليه من حيث هو ينتمي إلى (طبقة)، فصاحب العمل لا يستغل هذا العامل وذاك على وجه التحديد، بل هو يستغل العمال من حيث هم أجراء، أي من حيث إن لهم وضعا طبقيًا خاصا¹⁶⁴، وتطور النظام الرأسمالي ليس وليد الفكر الرأسمالي السائد الآن بل هي وليدة تطور تاريخي طويل امتد لعصور متعددة وفكر اقتصادي واجتماعي متميزين، ولفهم طبيعة الرأسمالية وتطورها سنتطرق، إلى بعض المحاور الأساسية¹⁶⁵.

ظاهرة المبادلة وظهور السوق

يعد مصطلح السوق إلى حد ما فكرة تجريدية يستخدمها الاقتصاديون عن الالتقاء بين البائعين والمشتريين، وفي الوقت الراهن يجري قسم من التعامل بالتجارة الالكترونية عبر الانترنت ولا يحتاج السوق في مثل هذه الحالة إلى مكان محدد إذ يكفي أن نعد السوق نظاما يمثل مجموعة من الشروط، التي تسهل عمليات التبادل بين الوحدات الاقتصادية¹⁶⁶.

شكل رقم 1: حجم التجارة العالمية غير النفطية حسب أهم الشركاء التجاريين بالمليار درهم إمارتي

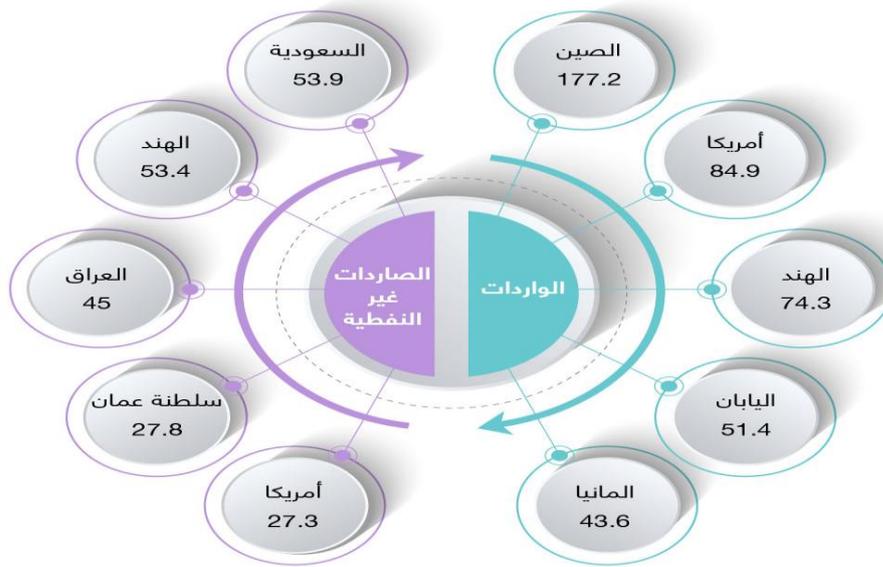
2017

¹⁶³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 55.

¹⁶⁴ زكريا، فؤاد. (2005)، الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية، دار مصر للطباعة، ص 9.

¹⁶⁵ نفس المرجع السابق ذكره، ص 9.

¹⁶⁶ مسعود، مجيد. (2001)، دليل المصطلحات التنموية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ص 70.



ملاحظة: الصادرات غير النفطية تشمل الصادرات والمعاد تصديره

المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

أبان آدم سميث في مؤلفه «نظرية الشعور الأخلاقي» وقبل ظهور كتابه الآخر عن «ثروة الأمم»¹⁶⁷ أهمية التبادل عند الإنسان، فالفرد له ميل طبيعي لمبادلة ما يزيد عن حاجته بما ينقصه ويوجد لدى الغير ولذلك، فإن ظاهرة التبادل هي ظاهرة إنسانية أساسها شعور الإنسان بنقص ما في حياته وبحاجة إلى إكماله بحاجة مادية أو خدمية وهذا مبدأ الحاجة والتبادل والتي وجدت في جميع المجتمعات بلا استثناء¹⁶⁸، أما عندما نتحدث عن اقتصاد السوق، فإننا لا نقصد مجرد مبادلات عارضة هنا وهناك بين الأفراد، ولكننا نشير إلى نظام اقتصادي أصبح فيه المبادلات هي جوهر النشاط الاقتصادي وبحيث يتم الإنتاج والاستهلاك من خلال السوق.¹⁶⁹

إن الانتشار الطبيعي لمفهوم السوق؛ قد تبلور مع ظهور التاجر، الذي يتخصص في عمليات البيع والشراء، فالتاجر لا يشتري البضاعة بقصد استهلاكها وإنما بغرض إعادة

¹⁶⁷ Adam, SMITH. (1976), *The wealth of nations*, Encyclopedia Britannica, Volume, 2, P, 535.

¹⁶⁸ Adam, SMITH. (1976), *The wealth of nations* Op. Cit, P, 535

¹⁶⁹ Adam, SMITH. (1976), *The wealth of nations*, Op. Cit, P, 535

بيعتها¹⁷⁰، فالتاجر موجود دائما في السوق، بعكس المستهلك الذي يذهب، إلى السوق فقط عندما يرغب في الشراء، لذا بدأ هذا التاجر في تكوين مخزون من السلع التي يتخصص فيها وذلك حتى يستطيع إن يوفرها للمستهلكين عند الطلب¹⁷¹.

إن جود هذا المخزون لدى التاجر؛ يعني حيازته لثروة معرضة للسرقة أو الاعتداء، الأمر الذي جعله ينشغل بحماية أمواله وثروته، ومن هنا عمد التجار إن يتجمعوا في أماكن محددة يسهل حماية الأمن فيها، فضلا عن إنها تيسر على المشتريين العبء لكي يجدوا حاجاتهم المتنوعة في مكان واحد وهذا المكان هو السوق¹⁷².

كذلك نرى إن التاجر ساعد على ظهور النقود (السلعة الثالثة) ، فالمبادلة كانت تتم أول الأمر عن طريق المقايضة وهي عملية معقدة، لذلك لم تلبث المجتمعات إن وجدت سلعة تتمتع بنوع من القبول العام وخاصة بين التجار لكي تقوم بدور النقود، مما أدى إلى قبول الأفراد إلى التعامل بها أيضا.

لقد ساهمت النقود في بروز السوق، مما ساعد على زيادة المبادلات وزيادة كفاءتها، والتاجر لم يتوقف دوره عند البيع والشراء الفوري بل انه كثيرا ما كان يقبل البيع بالآجل أن يطلب من مورده للبضائع بمهلة للسداد لحين يتم البيع للعملاء¹⁷³، وهكذا ظهر (الائتمان) ومفهوم القروض على نحو واسع في مجتمع التجار، وأصبح بعضهم يكاد يتخصص في الإقراض والاقتراض وهي بداية ظهور البنوك ومؤسسات التمويل¹⁷⁴.

¹⁷⁰ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 57.

¹⁷¹ نفس المرجع السابق ذكره، ص، 56.

¹⁷² نفس المرجع السابق ذكره، ص، 56.

¹⁷³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 57.

¹⁷⁴ نفس المرجع السابق ذكره، ص، 57.

وعليه، فقد ظهرت السوق كظاهرة اجتماعية تلقائية؛ نتيجة احتياجات المجتمعات وتطورت معها واستمرت السوق في التطور نتيجة للتغيير المستمر في الظروف المجتمعية ومع تطور أساليب الإنتاج والفن التكنولوجي، فالنقطة الرئيسية هنا هي إن السوق لم تكن وليدة نظرية أو فكرة مسبقة وإنما هي نتاج اجتماعي متغير وسوف تستمر في التطور¹⁷⁵.

ساهم ازدياد وتعقد العلاقات الاقتصادية، في توسع الأسواق، بحيث لم تعد محلية فقط، بل اتسعت لتصبح أسواقا وطنية وأخيرا عالمية¹⁷⁶، كذلك لم تعد الأسواق أماكن لالتقاء البائعين والمشتريين بشكل فعلي بقدر ما هي تلاقي الطلب والعرض، وأحيانا في شكل افتراضي من خلال شاشات الحاسبات والانترنت¹⁷⁷.

إلى جانب هذه المؤسسات المتعددة فقد ظهرت مفاهيم قانونية متعددة ومتجددة، فإلى جانب استقرار مفهوم الملكية والعقود المتنوعة ظهرت مفاهيم الشركات والأوراق المالية، فالتعامل في الأسواق هو تعامل في الحقوق والالتزامات¹⁷⁸، وبالتالي أصبح وجود القانون واحترامه أحد أهم خصائص السوق، ولا يخفى أن وجود القانون واحترام تطبيقه يعني وجود سلطة للدولة تعمل على صيانة القانون، فوجود السوق ملازم لوجود الدولة، ولا قيام للسوق بدون سلطة توفر احترام حقوق وضمن التعهدات¹⁷⁹.

في هذا السياق يكون تطور القيمة المضافة القطاعية والكلية استجابة للطلب المحلي والخارجي على السلع والمنتجات والخدمات المنتجة محليا، وبعبارة أخرى، فإن تتبع نمو الناتج

¹⁷⁵ نفس المرجع السابق ذكره، ص، 57.

¹⁷⁶ نفس المرجع السابق ذكره، ص، 57.

¹⁷⁷ عيد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص، 57.

¹⁷⁸ نفس المرجع السابق ذكره، ص، 57.

¹⁷⁹ نفس المرجع السابق ذكره، ص، 57.

الإجمالي وتطور قطاعاته الاقتصادية من فترة لأخرى تعكس الأداء الاقتصادي العام والاقتصاد
والقطاعي للاقتصاد الوطني ومدى مساهمة كل قطاع في هذا الناتج¹⁸⁰.

جدول رقم: 3 مؤشرات التنمية الإنسانية للبلدان العربية (مقارنة بين عام 2001 وعام 2006)

2006	2001	
67,8	66,0	العمر المتوقع عند الولادة / عام
7760	5038	حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (معدل القيمة الشرائية بالدولار)
0.71	0.70	دليل العمر المتوقع
0.70	0.63	دليل التعليم
0.73	0.65	دليل الناتج المحلي الإجمالي
0.713	0.662	دليل التنمية البشرية

المصدر: الموقع الإلكتروني لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي www.hdr.undp.org بتاريخ 13 أبريل/

نيسان 2009

وعندما نتكلم عن اقتصاد السوق، فإننا لا نقصد مجرد وجود مثل هذه المؤسسات والأدوات
المتعددة، وإنما نقصد إن النشاط الاقتصادي قد أصبح يدور بشكل أساسي من خلال هذه السوق،
وان هذه السوق هي التي تنظم الإنتاج وتوزيعه من خلال جهاز الأسعار فالسوق هي المحرك
والمنظم للنشاط الاقتصادي، بحيث إن كل شيء في الاقتصاد يعمل من خلال السوق ومن أجل هذه
السوق، وفي هذه السوق يقوم كل شيء بالنقود، فالغلة التعامل هي التعامل النقدي، وهذا هو اقتصاد
السوق النقدي¹⁸¹.

نؤكد في هذا الباب على العلاقة بين مفهوم السوق¹⁸² ومفهوم الفردية، فالسوق تقوم

على الاعتراف بحق الملكية الفردية وبالتالي الحرية في التصرف وحرية العمل، ويرتبط بحقوق

¹⁸⁰ محمد، سعد عميرة. (2002) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة: الانجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة
التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 4.

¹⁸¹ نورينا، هيرتس. (2007) «السيطرة الصامتة، الرأسمالية العالمية وموت الديمقراطية» عالم المعرفة، العدد 336
الكويت، ص 52.

¹⁸² Pierre Picard : « éléments de microéconomie », Théorie et applications, 6ème édition Montchrestien, paris
2002, P, 259

يشير بيير بيكار في مقاله: عناصر ميكرو اقتصادية إلى كون مفهوم السوق يشير إلى المكان الذي يلتقي فيه البائعون والمشترون، أو
يكونون من خلاله على اتصال بعضهم البعض بهدف إتمام عمليات البيع والشراء.

الملكية والحريات ورفض مفهوم العبودية، فالمطالبة بحرية العمل هي احد مظاهر النظام الرأسمالي وكان لمفكرين الدعوة لاقتصاد السوق وفي مقدمتهم آدم سميث¹⁸³ من أكبر المناهضين للعبودية والاستعمار والداعين لإلغاء تجارة الرقيق وتحرير المستعمرات¹⁸⁴.

يقوم هذا التفكير على اعتناق مبدأ المساواة بين الأفراد ولكن هذه المساواة أثارت جدلا كبيرا من المفكرين وخاصة من جانب المفكرين الاشتراكيين، فالمساواة عند أصحاب مبدأ (الاقتصاد الحر) هي مساواة قانونية وليست مساواة اقتصادية، فالمقصود هو إن الجميع متساوون أمام القانون، يتمتعون بنفس الحقوق ويلتزمون بنفس الواجبات، ولكن هذه المساواة هي مساواة في الفرص وليست مساواة في النتائج، فالجميع حق المساواة في التمتع بنفس الفرص، أما النتائج فهي تتوقف على مدى كفاءة الشخص فالمساواة المقصودة عند أنصار الرأسمالية هي إن يعطي الجميع نفس الفرص ولا يحرم أحدا من الفرص المتاحة بسبب الجنس أو اللون أو الديانة أو غير ذلك¹⁸⁵.

إن النظرة الفردية لنظام المساواة قد عرفت تطورا كبيرا خلال القرن العشرين وخاصة بعد قيام الاتحاد السوفيتي وبروز نفوذ الأحزاب العمالية ثم وقوع الأزمات الاقتصادية الكبرى وخاصة الأزمة العالمية عام 1929م، وقد ترتب على كل هذه التطورات إن بدأت الحكومات في

¹⁸³ آدم سميث، (1723-1790م) فيلسوف من اسكتلندا، يعتبر من مؤسسي المذهب الفردي الحر، درّس الفلسفة بجامعة جلاسكو ثم درّس فيها الفلسفة الأخلاقية، كان مشهوراً بالشروود وقد تعود أهل بلده أن يروه دائماً في مناظر مختلفة تنم عن شروده وتردده، له مصنفات منها نظرية المشاعر الأخلاقية وثروة الأمم الذي وصفه أحد النقاد وهو آدمون برك بقوله: «يعد من حيث نتاجه النهائية أعظم مؤلف خطه قلم إنسان». انظر: سول، جورج: المذاهب الإسلامية الكبرى، ص65. والجهني: الموسوعة الميسرة، (921/2).

¹⁸⁴ . عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 58

¹⁸⁵ . عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 58

الدول الصناعية الغربية وخاصة في ظل حكومات أحزاب العمال في ضمان حدود دنيا من المساواة الاقتصادية والمساواة في النتائج وليس فقط في الفرص المتاحة.

بدأت تظهر القوانين، التي تحدد الحدود الدنيا للأجور مع تحديد لساعات العمل وضمان حقوق العمال وتزايد تدخل الدولة لتوفير أنواع الضمان الاجتماعي من الرعاية الصحية وتوفير حدود دنيا للمعاشات لكبار السن والعاطلين وذوي الاحتياجات الخاصة وهكذا أصبح الضمان الاجتماعي احد أهم مظاهر النظم الرأسمالية الصناعية ومن أهم واجبات الدولة في حماية حدود دنيا لمستويات المعيشة مع العمل على توفير قدر من العدالة في توزيع الدخل والثروات عن طريق الضرائب والنفقات¹⁸⁶.

التطور الصناعي والتكنولوجي منذ الثورة الصناعية كان لماركس فضل التنبيه لأهمية التقدم التكنولوجي على تطور المجتمعات ومؤسساتها بما فيها العقائد والقيم السائدة، ولعل اخطر تطورين في تاريخ البشرية ارتبط بالثورة الزراعية قبل ما يقارب من عشرة آلاف سنة ثم الثورة الصناعية منذ أقل من ثلاثمائة عام. فالثورة الزراعية أدت إلى استقرار الجماعات وبداية نشأة المدن والحضارات الأولى وظهور الكتابة وتكوين الوحدات السياسية الأولى وبداية التمايز بين الطبقات.

¹⁸⁶ منصور، احمد إبراهيم. (2007) عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية، رؤية إسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت سلسلة أطروحات دكتوراه، ص، 146.

أما الثورة الصناعية فقد ارتبطت بشكل واضح ببزوغ النظام الرأسمالي وتطور أشكاله من رأسمالية تجارية إلى رأسمالية صناعية ثم رأسمالية مالية، وفي كل هذه المراحل استمر توسع الأسواق وابتلاع مزيد من القطاعات التي ظلت لفترة أو فترات عصية على نظام السوق¹⁸⁷. بدأ الاقتصاد العائلي المعيشي القائم على الاكتفاء الذاتي يتحول إلى اقتصاد السوق، مع تزايد الاعتماد من المستهلكين على السوق لتوفير احتياجاتهم. كما بدأ المنتجون يتجهون بسلعهم إلى الأسواق وذلك بدلا من الإنتاج لإشباع حاجات الأسرة أو القبيلة أو الإنتاج للعملاء المعروفين سلفا، فالمنتج في اقتصاد السوق ينتج لمستهلكين غير معروفين لديه¹⁸⁸.

لقد بدأت الزراعة في القرى تفقد استقلالها لتصبح تابعة للمدينة وتجارها، فهي تباع محاصيلها في أسواق المدينة وتشتري معظم احتياجاتها من هذه الأسواق، وأصبحت حياة الفلاحين متوقفة على مزاج أهل المدينة (¹⁸⁹ Baurg) ومنها اشتقت كلمة (بورجوازية) والتي استخدمها كارل ماركس للتعبير عن النظام الرأسمالي¹⁹⁰.

اعتبر التاجر في مرحلة الرأسمالية التجارية، هو سيد الموقف ولم تكن الصناعة قد بلغت بعد أوجها، فهي تعمل من أجل التجار وفي خدمتهم وكانت الصناعة تستجيب لاحتياجات الأسواق ولم تكن قد بلغت القوة بما يجعلها تفرض هذه الأذواق على المستهلكين وهو ما تحقق في المرحلة التالية في ما عرف بالرأسمالية الصناعية، حيث أصبح رواد الصناعة هم المسؤولين عن توجيه الاقتصاد وأصبحت الصناعة هي التي تحدد أذواق المستهلكين واحتياجاتهم بما يتفق

¹⁸⁷ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص، 59.

¹⁸⁸ نفس المرجع السابق ذكره، ص59.

¹⁸⁹ Baurg is a character and summonable vision from Final Fantasy Brave Exvius

¹⁹⁰ شلبي، أحمد. (1976). الأنظمة الاقتصادية في العالم، دار النهضة المصرية، ص 8.

مع إمكاناتهم الصناعية. وبدأت إدارة التسويق والإعلان والدعاية تصبح جزءاً أساسياً من البناء المؤسسي للاقتصاد الرأسمالي.¹⁹¹

انتقلت الرأسمالية المالية في مرحلة ثالثة إلى السيطرة الاقتصادية في كل مؤسسات التمويل والتي توفر التسهيلات والقروض للمشروعات الصناعية وتساعد على طرح رؤوس الأموال والاقتراض من الأسواق المالية.¹⁹²، في كل هذه المراحل لم يكن الأمر مجرد تغييرات مؤسسية، بل كان في الأغلب نتيجة تطورات تكنولوجية في أساليب الإنتاج استدعت بدورها تطورات مؤسسية مقابلة.¹⁹³

ينبغي الإشارة إلى أن العدالة الاجتماعية، والتي تعد أساس تحقيق الرفاهية الاجتماعية، لا تدل في الفكر الرأسمالي الحديث على نظام اقتصادي¹⁹⁴، كالاشتراكية أو فكر فلسفي خاص، وإنما هي كلمة اصطلاحية وضعت من قبل فلاسفة الفكر الرأسمالي للدلالة على تدخل الدولة عن طريق التشريعات والنظم لتخفيف المفسد والمظالم، التي نتجت عن الحرية الفردية المطلقة فهي أحكام معينة يراد بها التخفيف من الحيف الفظيع الذي أوجدته الرأسمالية في المجتمع وهي أحكام ظاهرها الترفيع¹⁹⁵.

ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر عرفت الاكتشافات الجغرافية الكبرى، وظهرت المبادلات التجارية عبر المحيطات من الشرق الأقصى ومن الأمريكيتين، فظهر مفهوم الشركة المساهمة وزادت أهمية الأساطيل البحرية، ومع القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر جاءت

¹⁹¹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 59.

¹⁹² ثلبي، أحمد. (1976). الأنظمة الاقتصادية في العالم، دار النهضة المصرية، ص 8.

¹⁹³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص، 60.

¹⁹⁴ محمد، أحمد عبد الغني. (2004) العدالة الاجتماعية في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 138.

¹⁹⁵ محمد، أحمد عبد الغني. (2004) العدالة الاجتماعية في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 138.

ثورة البخار فأعطت دفعة قوية للصناعة والصناعيين وفي القرن العشرين جاءت ثورة المعلومات والاتصالات فزادت من قدرة وهيمنة المؤسسات المالية وهكذا ارتبط العديد من هذه التطورات المؤسسية بتطورات مقابلة في التكنولوجيا، من الاكتشافات الجغرافية، إلى ثورة البخار إلى الثورة المعلوماتية.¹⁹⁶

شكل رقم: 2 أهم مؤشرات الاتصال



المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

وفي جميع هذه المراحل فإن التقدم التكنولوجي لم يتوقف سواء في مرحلة الصناعة الأولى عند بدء الثورة الصناعية مع العمالة الكثيفة غير المؤهلة ومع خطوط الإنتاج النمطية،

¹⁹⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص،60.

أو في مرحلة تالية مع الصناعات الحديثة الأكثر اعتماداً على البحث العلمي والعلوم الحديثة¹⁹⁷، ولم تعد الصناعة مجرد خطوط طويلة للإنتاج ومداخن ومراجل وآلات ثقيلة فقط، بل إنها أصبحت أيضاً مراكز للبحوث ومعامل ومكتبات والعديد من أجهزة الكمبيوتر وشبكات الاتصال مع مراكز عالمية أخرى عبر القارات¹⁹⁸.

إن التطورات السريعة التي عرفتتها التقنية وخاصة في مجال المعلومات والاتصالات، ساهمت في تطور مجتمعات المعرفة وذلك بتغيير مجموعة من المفاهيم ومنها مفهوم حدود الأرض. حيث توسعت هذه الحدود لتشمل العالم بأكمله¹⁹⁹، فالمعرفة أصبحت منتشرة بكل بقاع العالم وبسرعة فائقة، فالتطور التكنولوجي يعد من أهم الوسائل التي كسرت حدود المعرفة حدود المعرفة بين دول العالم مما سمح بتقاسم المعرفة. وبهذا أصبحنا نتكلم عن عولمة المعرفة، وشكلت رأس مال العصر الحال، بحيث أصبح تقدم المجتمعات مرتبط بالقدرة على استخدامها²⁰⁰.

دور الدولة في التطور الرأسمالي

الدولة²⁰¹ : هي تجمع سياسي يؤسس كيانا ذا اختصاص سيادي في نطاق إقليمي محدد ويمارس السلطة عبر منظومة من المؤسسات الدائمة²⁰²، وبالتالي فإن العناصر الأساسية لأي

197 . برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مؤسسة محمد بن راشد المكتوم (2010-2011) تقرير المعرفة العربي للعام رصد وقياس إعداد النشء لمجتمع المعرفة حالة الإمارات، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص265.

198 . برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مؤسسة محمد بن راشد المكتوم (2010-2011) تقرير المعرفة العربي للعام رصد وقياس إعداد النشء لمجتمع المعرفة حالة الإمارات، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص265.

199 برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مؤسسة محمد بن راشد المكتوم (2010-2011) تقرير المعرفة العربي للعام رصد وقياس إعداد النشء لمجتمع المعرفة حالة الإمارات، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص265

200 برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مؤسسة محمد بن راشد المكتوم (2010-2011) تقرير المعرفة العربي للعام رصد وقياس إعداد النشء لمجتمع المعرفة حالة الإمارات، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص265

201 ويكيبيديا الموسوعة الحرة

202 يعد مفهوم الدولة الإسلامية من المفاهيم الملتبسة في الفكر السياسي العربي، يتداخل في تحديد دلالتها الإيديولوجي بالسياسي بالمعري..، الشيء الذي يجعل منها مفهوماً غير منضبط، وحمل أوجه، وفي بعض الأحيان فاقداً للوظيفة على مستوى التواصل أي الفهم والإفهام، وهو ما يقتضي وقفة نقدية متأنية، تتوخى رفع هذا الالتباس في ضوء ما استجد من معارف وأوضاع. تتفرق دلالة الدولة الإسلامية بين عدة معانٍ، تُجلبها استعمالات المفهوم المختلفة، من أبرزها: الدولة التاريخية التي كانت سائدة في العالم العربي والإسلامي خلال العصر الوسيط وإلى فترة قريبة من عهدنا؛ وفي استعمال ثانٍ، الدولة التي تُحكّم "شرع الله"؛ وفي استعمال ثالث الدولة التي تسود المجال الجغرافي الذي يدين أغلب أهله بالإسلام،

دولة هي الحكومة والشعب والإقليم، بالإضافة إلى السيادة و الاعتراف بهذه الدولة، بما يكسبها الشخصية القانونية الدولية، ويمكنها من ممارسة اختصاصات السيادة لاسيما الخارجية منها.

ظهرت الرأسمالية المعاصرة في أوروبا منذ القرن الثامن عشر على أنقاض النظام الإقطاعي، فقد مهد لها ظهور الدولة الحديثة منذ القرن السادس عشر وبالأخص تولي لويس الرابع الملكية عشر في القرن السابع عشر وكان الفرنسي جان بودان قد مهد لذلك بكتاب له في عام 1576م تناول فيه مفهوم السيادة الوطنية والتي تجاوزت الارتباطات الشخصية أو الدينية للأفراد مما ساعد على ظهور مفهوم الدولة / الأمة ومن ثم مفهوم المواطن، وحيث أصبح الولاء للدولة؛ وهكذا ظهرت الدولة المركزية وبدأت تؤكد استقلالها عن المؤسسات الدينية، كما تجاوز الولاءات الإقليمية والمحلية للأمراء والإقطاعيات.²⁰³

لقد كان موضوع دور الدولة²⁰⁴ في الاقتصاد نقطة جدل دائم بين الاقتصاديين عند مطلع القرن الخامس عشر ظهر فكر التجاريين وذلك بعد أزمة ارتفاع الأسعار في الدول الأوروبية بسبب زيادة تدفق المعادن الثمينة إلى اقتصاديات تلك الدول²⁰⁵، مما جعل هذه الأخيرة تعطي أهمية بالغة لتوازن موازين مدفوعاتها، ولذلك كان اهتمام التجاريين هو تحقيق فائض في الإنتاج بهدف التصدير، الأمر الذي جعلهم ينادون بأهمية النشاط التصديري، كما نادوا بمبدأ الحرية الاقتصادية

بغض النظر عن طبيعة الحكم، ومرجعياته الدستورية والقانونية. أنظر في هذا الصدد: أنس، الطريقي. مفهوم الدولة "الدولة الإسلامية" "دولة الخلافة" مؤمنون بلا حدود، 2015، ص3.

²⁰³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص،61.

²⁰⁴ الإمارات العربية المتحدة دولة اتحادية مستقلة ذات سيادة، ويشار إليها فيما بعد في هذا الدستور بالاتحاد. ويتألف الاتحاد من الإمارات التالية: أبو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، الفجيرة، رأس الخيمة. ويجوز لأي قطر عربي مستقل أن ينضم إلى الاتحاد، متى وافق المجلس الأعلى للاتحاد على ذلك بإجماع لأراء. وعند قبول انضمام عضو جديد إلى الاتحاد، يحدد المجلس الأعلى للاتحاد عدد المقاعد التي تخصص لهذا العضو في المجلس الوطني الاتحادي زيادة على العدد المنصوص عليه في المادة 68 من هذا الدستور. أنظر المادة 1 من دستور الاتحاد الإماراتي لسنة 1971.

²⁰⁵ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص،61.

وعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، حيث ساد الظن بأن كل فرد أجدر بتحقيق مصلحته وأن المصلحة ليست إلا مجموع مصالح الأفراد²⁰⁶.

وهو ما جعل دور الدولة يتقلص، بحيث إلى مجرد اتخاذ الإجراءات التي تكفل حماية مصالح الأفراد داخليا وخارجيا، ومع مطلع القرن السابع عشر ظهرت النزاعات التجارية وسادت الفوضى الأمر الذي جعل هؤلاء التجار ينادون بتدخل الدولة لتنظيم الحياة الاقتصادية²⁰⁷، وقد اختلفت صور تدخل الدولة من دولة لأخرى، غير أنه خلال هذه الفترة ساد مفهوم الدولة الحارسة في ظل سيادة أفكار النظرية الكلاسيكية التي كانت تبني على أساس ترك النشاط للأفراد دون تدخل من الدولة، لقد قامت أفكار الكلاسيك على أن هناك قوى ذاتية قوية تمنع حدوث فترات الركود الطويلة في الاقتصاد²⁰⁸.

وعليه فإن الاقتصاد في ظل نظام السوق لديه الآلية الذاتية لإعادة توازنه وعلى ذلك فإن هذه القوى الذاتية تستطيع التغلب على الهزات التي تحدث بالاقتصاد الوطني وتحركه نحو التوازن العام، وقد ترتب على ذلك أن وظيفة الدولة هو القيام بأعمال الأمن والحماية والعدالة والدفاع أي أنها تكون حارسة للنشاط الاقتصادي، ولا مانع في إقامة بعض المشاريع العامة، هذا وقد سادت أفكار الكلاسيك لفترة طويلة إلا أن حدثت مشكلة الكساد الكبير عندها بدأ الاقتصاديون يتشككون في صحة النظرية الكلاسيكية بعد عجز اقتصاديات الدول عن إعادة توازنها بطريقة آلية كما كان يدعي الكلاسيكي²⁰⁹.

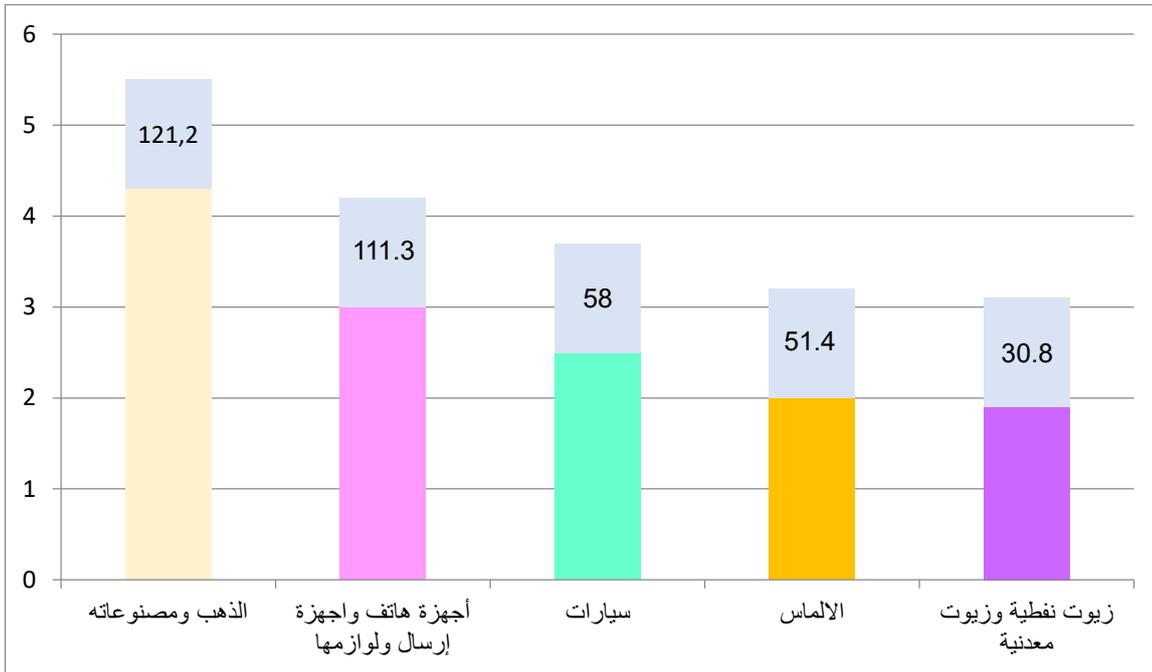
²⁰⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والأفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 61.

²⁰⁷ Jagdish Bhagwati, (May-June 1998) pp «The Capital Myth: The Difference between Trade in Widgets and Dollars» Foreign Affairs, vol. 77, N°. 3. 7-12.

²⁰⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والأفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 61.

²⁰⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والأفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 62.

شكل رقم 3: أهم السلع المستوردة بالمليار درهم في الدولة 2017



المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

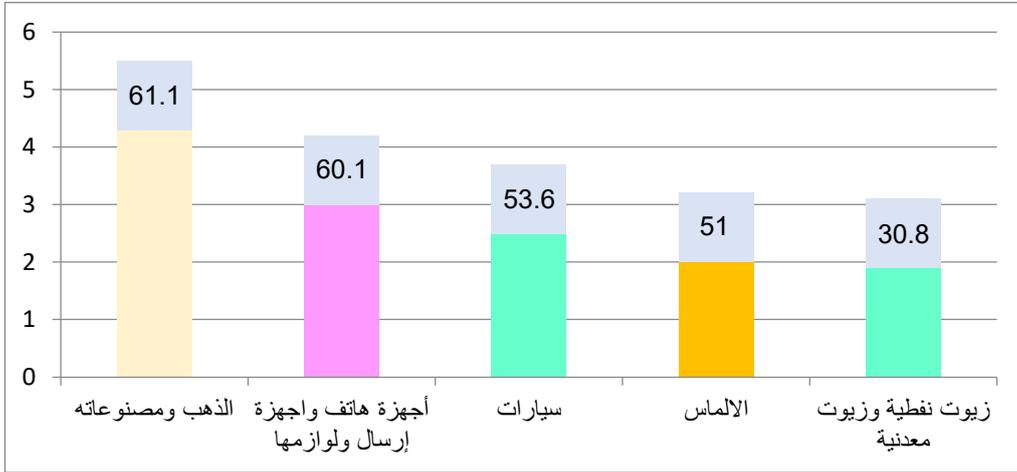
يتضح أن اقتصاد السوق يحتاج إلى توفير أسباب الاستقرار الأمني والسياسي والقانوني لحماية الأمن الخارجي والداخلي وتوفير إمكانيات النشاط الاقتصادي الفردي بوضوح القواعد القانونية واستقرارها وتوافر المعلومات وسلامتها مع ضمان مستويات مناسبة من التعليم والتدريب والخدمات الصحية وكل هذا يحقق ما أطلق عليه حدود الدولة الحارس²¹⁰، ولكن التجربة أثبتت إن هناك ضرورة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي أيضا فلا يكفي توفير الدفاع عن البلاد وحماية الأمن المحلي وإقامة العدالة بين المتنازعين، بل لابد فوق ذلك إن يتحقق نوع من التوزيع العادل لمزايا الاقتصاد، فلا يجوز أن يشارك الجميع في عمليات الإنتاج لتستقر بعد ذلك

²¹⁰ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 62.

حصة الأسد من الناتج القومي في يد قلة محدودة، ومن هنا ظهرت قضية العدالة الاجتماعية،

كأحد أهم التحديات التي تواجهها المجتمعات الصناعية.²¹¹

شكل رقم 4: أهم إجمالي صادرات الدولة (غير النفطية) بالمليار درهم في الدولة 2017



المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

ومع قيام الثورة البلشفية والنظام الشيوعي وخاصة بعد نجاح الأحزاب العمالية في الوصول إلى الحكم بدأت سياسات الضرائب تتجه، إلى العمل على تحقيق عدالة، التوزيع وبذلك أصبح للضرائب والمالية العامة بشكل عام وظيفة اجتماعية في تحقيق العدالة الاجتماعية ومنع الإسراف في سوء التوزيع للدخول والثروة، ومع النصف الثاني للقرن العشرين أصبحت معظم الدول الصناعية الغربية أكثر عدالة في التوزيع مقارنة بالماضي أو مقارنة بالدول النامية²¹².

ساهمت هذه التحولات وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في ميلاد دولة الرفاه الاجتماعي والتي توفر المزيد من الخدمات الاجتماعية مع فرض الضرائب التصاعديّة على

²¹¹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 62.

²¹¹ عفاف، عبد الجبار سعيد. مجيد، علي حسين. (2004)، مقدمة في التحليل الاقتصادي الجزئي، دار وائل للنشر، الطبعة الثالثة، ص 294

²¹² عفاف، عبد الجبار سعيد. مجيد، علي حسين. (2004)، مقدمة في التحليل الاقتصادي الجزئي، دار وائل للنشر، الطبعة الثالثة، ص 294

أصحاب الدخول العالية، وفي كثير من الأحيان تأميم العديد من القطاعات الإنتاجية والإستراتيجية، كما أصبحت توجه نسبة عالية من الإنفاق العام لإغراض اجتماعية²¹³.

إن دور الدولة الرأسمالية لم يتوقف عند توفير البنية التحتية الأساسية المادية والمؤسسية للنشاط الاقتصادي أو لمراعاة البعد الاجتماعي في العدالة، وإنما وجدت الدولة نفسها أمام مسؤولية حماية النشاط الاقتصادي مما يتعرض من تقلبات وأزمات وتراخي في معدلات النمو وتزايد في مظاهر البطالة، فاقتصاد السوق وإن كان قادرا على ضبط الأداء الاقتصادي العادي، فإنه يتعرض من ناحية لتقلبات وأزمات من ناحية أخرى، كما أنه يعجز عن توفير الأدوات لتحقيق أهداف إستراتيجية بعيدة الأمد، وفي الحالتين لامناص من وجود دولة قوية قادرة لمواجهة الآخرين.

قد بدأ أول امتحان خطير للنظام الرأسمالي ودور الدولة إبان الأزمة المالية عام 1929م عندما تعرض الاقتصاد العالمي للكساد العظيم مما هدد من وجود النظام نفسه، رغم أن الاقتصاد الرأسمالي تعرض خلال القرن السابق عدة أزمات، حين كان من المعروف أن التقلبات الاقتصادية هي احد مظاهر النظام الرأسمالي المتسم بزيادة الإنتاج ووفرته، إلا إن أزمة الثلاثينات من القرن الماضي كانت من العمق والاتساع بحيث وضعت العالم على شفا الإفلاس، وكانت النظرية السائدة تحذر بالقول بان تدخل الدولة هو أسوأ علاج ممكن²¹⁴.

ونشير إلى أنه رغم إن مستقبل الرأسمالية يتطلب تدخلا واسعا وعميقا ومتنوعا من الدولة في الحياة الاقتصادية على نحو غير مسبوق، فهو يتطلب أيضا أن يكون تدخلا ذكيا وناعما وفعالا في نفس الوقت، وكل هذا يفترض توافر إطار عام من الشفافية والمساءلة والبعد عن

²¹³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والأفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 62.
²¹⁴ لقوشة، رفعت. (2004)، الليبرالية الاجتماعية محاوره في مستقبل التاريخ، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ص 21.

تعارض المصالح, وهكذا فإن نجاح الدولة في أداء هذا الدور الاقتصادي الدقيق يتطلب تداولاً في السلطة واستقراراً لمفهوم دولة القانون واستقلالاً للقضاء, فالدولة الرأسمالية لن تقوم بدورها بكفاءة في غياب الديمقراطية السياسية.

وإذا كانت الدولة الديمقراطية في مباشرتها لهذا الدور الاقتصادي تخضع للمسؤولية السياسية والرقابة الشعبية فلا يقل أهمية ما ينبئ به التطور المعاصر من تزايد أهمية المجتمع المدني من ناحية وزيادة الوعي العالمي ويفظته من ناحية أخرى، وقد ساعدت ثورة المعلومات والاتصالات على إشراك المواطن العادي في الاهتمام بما يدور في بلده وفي الخارج وأصبح بالتالي أكثر وعياً وأعلى صوتاً كما أصبح للمجتمع الدولي وزناً لا يسهل تجاهله.²¹⁵ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا, هو ما هو مستقبل السوق والدولة الرأسمالية؟

إن النظام الرأسمالي يقوم على ركيزتين أساسيتين هما السوق والدولة، فالسوق كما كان في الماضي لم يتغير مفهومه أبداً أما الدولة فقد تطورت كثيراً لتشمل القوة النافذة والسياسة الفاعلة والهيمنة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية، وبذلك يصبح السؤال في حقيقته هو التساؤل عن مستقبل السوق والدولة، فهل يستمران أم يبقى أحدهما يزول الآخر، وما هو شكلهما وما شكل العلاقة بينهما؟

هناك أمراً يبدو واضحاً وهو إن العالم سوف يزداد تقارباً وحيث تتداخل علاقاته بشكل كبير يوماً بعد يوم، ويرجع هذا التقارب والتداخل العالمي إلى طبيعة اقتصاد السوق نفسه،

عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع²¹⁵ سبق ذكره، ص 64.

فالسوق بطبيعتها تلتهم كل ما قابله وتخضعه لمنطقها، مما جعل ظاهرة العولمة تفرض نفسها على كل ما تقابله²¹⁶.

في هذا الإطار المعولم، فإن السوق مهيأة للتوسع سواء باتساع نظامها الجغرافي أو باقتحام قطاعات كانت بعيدة عن السوق، ولكن هذه السوق تكون مقيدة أكثر من أي وقت مضى بضوابط وقيود لحماية المستهلك حيناً وتوعية المستثمر حيناً آخر وضمان ترشيد استخدام الموارد النافذة وهكذا سوف تتسع السوق جغرافياً وهذا امرأ لأمرأ فيه، فبعد أن بدأت السوق محلية في إطار القرية أو الإقليم، فإذا بها تصبح وطنية لتشمل معظم ارض الوطن، وهي الآن عالمية التوجه تكاد تغطي أرجاء المعمورة من خلال الفروع أو عن طريق الترخيص باستخدام الاسم التجاري مثل ماكدونالد الأمريكية أو الدمياطي الخليجية²¹⁷.

أخذت كذلك الدولة تتدخل بجرأة اكبر لمحاربة الاحتكار وضمان المنافسة فضلا عن القيود والضوابط الفنية في الإنتاج أو لرعاية العمال وحقوقهم، وهكذا يمكن القول بان المستقبل يفتح آفاقاً أوسع أمام اقتصاد السوق ولكنه في نفس الوقت يضع مزيداً من القيود والرقابة على سلوكها والشفافية في نشاطها²¹⁸.

²¹⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 64.

²¹⁷ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 64.

²¹⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 64.

إن مستقبل الدولة، يطرح أول نقطة، فيما يتعلق بدورها هي التأكيد على تزايد أهمية المجتمع الدولي في حياة كل دولة، فالسيادة المطلقة للدولة داخل حدودها في تراجع مستمر، وغالبا سوف يستمر التراجع بشكل أكبر²¹⁹.

حددت وظائف الدولة في ثلاث²²⁰ مجالات وهي: الإنتاج والتوزيع وتحقيقا للاستقرار الاقتصادي أي في الفعاليات الاقتصادية، ومن المتوقع إن يزيد دور الدولة في كل من هذه المجالات وذلك في إطار من تزايد القيود والضوابط الداخلية والدولية، في ما يتعلق بدور الدولة الإنتاجي لتوفير السلع العامة والسلع الاجتماعية، فمن المتوقع إضافة مجالات جديدة أصبحت ضرورية لاستمرار حياة الجماعات²²¹.

إن توفر الخدمات الصحية والتعليمية والتنظيم العمراني ومع تزايد معدلات توقع الحياة وبالتالي زيادة إعداد المعمرين، فإن قضية الضمان الاجتماعي ستصبح احد مشاغل الحكومات في القرن الحالي، كذلك هنالك مقاومة الجريمة المنظمة والإرهاب، وكل هذا يتطلب من الدولة جهودا اكبر وتدخلًا مباشرًا في الحياة العامة²²².

وبالنسبة لدور الدولة في ضمان درجة من العدالة فإن الحكومات لابد إن تلعب دورا متزايدا ليس فقط فرض ضرائب أكثر عدلا مع مراعاة تفاوت الدخل والثروات، وإنما بوجه خاص توجيه نسبة متزايدة من الإنفاق العام لتحسين أحوال الطبقات المهمشة والفقيرة، وهناك من المشاكل التي أصبحت لا يصدق استمرارها في هذا القرن مع كل التطورات الحديثة مثل

²¹⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 64.

²²⁰ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 64.

²²¹ اولريش، شيفر. ترجمة عدنان، عباس. (2010)، انهيار الرأسمالية أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود، سلسلة عالم المعرفة، عدد 371 الكويت، ص 28.

²²² اولريش، شيفر. ترجمة عدنان، عباس. (2010)، انهيار الرأسمالية أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود، سلسلة عالم المعرفة، عدد 371 الكويت، ص 28.

استمرار معدلات مرتفعة للامية أو انتشار الأوبئة والأمراض المتوطنة وأمثالها، وهي أنواع من الأمراض الاجتماعية، التي تصيب الطبقات الفقيرة بشكل أوضح، وعلى الدولة أن تعمل على زيادة الإنفاق لمواجهة هذه الأمراض الاجتماعية.

شكل رقم:5 ترتيب الامارات العربية على مستوى الصحة

التقرير	المؤشر	ترتيب دولة الامارات	الاولى عالميا
تقرير تنافسية السياحة والسفر العالمية (المنتدى الاقتصادي العالمي) 2017	غياب انتشار فيروس نقص المناعة البشرية (%من السكان)	1	دولة الإمارات
تقرير تنافسية السياحة والسفر العالمية (المنتدى الاقتصادي العالمي) 2017	غياب الإصابة بالمalaria لكل 100.000 نسمة	1	دولة الإمارات
مؤشر الازدهار (معهد ليجاتم) 2018	الرضا عن الرعاية الصحية	2	سنغافورة

المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

وهنا يمكن الإشارة إلى انه رغم؛ أن مستقبل الرأسمالية يتطلب تدخلا واسعا وعميقا ومتنوعا من الدولة في الحياة الاقتصادية يتطلب أن يكون هذا التدخل فعالا في نفس الوقت، فإن نجاح الدولة في أداء هذا الدور الاقتصادي الدقيق يتطلب تداول السلطة واستقرار لمفهوم دولة القانون واستقلال القضاء، فالدولة الرأسمالية لن تقوم بدورها بكفاءة في غياب الديمقراطية السياسية.

إذا كانت الدولة الديمقراطية في مباشرتها للدور الاقتصادي تخضع للمسئولية السياسية والرقابة الشعبية، فلا يقل أهمية ما ينبئ به التطور المعاصر من تزايد أهمية المجتمع المدني من ناحية وزيادة الوعي العالمي ويقتضيه من ناحية أخرى، وقد ساعدت ثورة المعلومات والاتصالات على إشراك المواطن العادي في الاهتمام بما يدور في بلده وفي الخارج وأصبح بالتالي أكثر وعيا وأعلى صوتا، كما أصبح للمجتمع الدولي وزنا لا يسهل تجاهله.²²³

²²³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والأفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 64.

إن تحديد مفهوم الرفاهية الاقتصادية للمجتمع يرتكز على معيار الدخل الدولة ودرجة عدالة توزيع الثروة بين أفراد وفئات المجتمع²²⁴، بحيث يؤمن المستوى المعيشي الكافي للفرد في ظل المستوى العام للأسعار السائدة في السوق، وهنا لا بد من تأكيد حقيقة أساسية تعد شرطاً ضرورياً وكافياً في آن واحد لتحقيق الرفاهية ألا وهي عامل الاستقرار الاقتصادي والسياسي الذي يدعم عملية النهوض بالواقع المعيشي للمجتمع²²⁵.

وحيث أن الأمر كذلك، فإنه لا بد من الحديث عن تاريخ وتطور دولة الرفاه²²⁶، لا بد لنا أن نأخذ ذلك من زمن نشوء دويلات المدن أو الإمبراطوريات قبل الميلاد، وهل فكرت تلك الدول في تحقيق الرفاهية لشعوبها؟ فقد شهدت عصور ما قبل الميلاد تطاحنات وصراعات على الأرض والثروة²²⁷، بين دويلات المدن والإمبراطوريات، بدءاً بأول إمبراطورية شهدتها الإنسانية، إلا وهي الإمبراطورية "الأكدية/ سرجون الاكدي" فهل كانت نظرة الحكام آنذاك أن تحقيق الرفاهية يتأتى من ضم الأراضي والاستحواذ على الثروات لإشباع الحاجات الفردية والمجتمع²²⁸؟

²²⁴ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، السنة العاشرة، المجلد الثامن، العدد الحادي والثلاثون، ص 86.

²²⁵ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، السنة العاشرة، المجلد الثامن، العدد الحادي والثلاثون، ص 86.

²²⁶ تطورت فكرة التخطيط خلال الحرب العالمية الأولى في ألمانيا من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى. واتخذ التخطيط أسلوباً لإدارة دفة الحرب، وتعبئة الموارد الاقتصادية لتجهيز الجيوش وإمدادها بما تحتاجه من جيوش وعتاد ومون وذخائر. واعتبر التخطيط في الدول الرأسمالية حينئذ وسيلة مؤقتة لتنظيم عملية تحول الاقتصاد القومي من ظروف السلم إلى ظروف الحرب. وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى، حتى عصفت بالنظام الرأسمالي أزمة الكساد الكبير (1929-1932)، ففي تلك الفترة، انخفضت مستويات الإنتاج والاستهلاك والدخل، وارتفعت مستويات الأسعار، وتكدست السلع في المخازن والمستودعات، مما أدى إلى تسريح العمال وانتشار البطالة والفقر. وأدت هذه الأزمة إلى زعزعة الثقة بالنظام الاقتصادي الحر، الذي اعتمد على فكرة التوازن التلقائي. وتبين أن اليد الخلفية التي تحدث عنها آدم سميث في كتابه ثروة الأمم غير كافية لضمان النمو والاستقرار والاستخدام الكامل للموارد الاقتصادية. كما تبين فشل قانون المنافذ الذي تحدث عنه ساي، والذي ينص على أن المنتجات تخلق الطلب عليها، أو العرض يخلق الطلب الخاص به.

²²⁷ تتبنى نفس التساؤلات التي طرحها الباحث عبد الرزاق محمد صالح الساعدي، أنظر في هذا الصدد: عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 103.

²²⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 103.

وعليه، فإنه لا بد من الوقوف على كيفية تحقيق الرفاه عبر التاريخ، بحيث كانت الحروب هي جوهر وفحوى الرفاهية، فالفوز في الحروب ولو لمدة معينة كان يعني جلب الرفاهية للمجتمع المتحكم آنذاك، لذا نرى بوضوح سيطرة الحروب بين المجتمعات وقبلها بين الأفراد، ولم يكن للاقتصاد أي دور في تحقيق رفاهية الدولة، لأنه كان اقتصادا بطيئا، ولكن هذا النوع من رفاهية الدولة هي أنانية وسلبية، لذا لم تحقق الرفاهية لشعوب تلك الفترة.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، لم يعد واضعو النظريات الاقتصادية من ذوي الاتجاه السائد ينظرون إلى حقلهم هذا في المعرفة على أنه متعلق بالثروة المادية، فهم بدلا من ذلك قاموا بتركيز اهتمامهم على الحس الذاتي وغير الموضوعي بالرفاه، حيث تأمل المخلوقات البشرية أن تستخرجه وتتوصل إليه من ثرواتها وأنشطتها الاقتصادية وهو الأمر، الذي أدى بهم (وخصوصا في انكلترا) إلى النظر إلى علم الاقتصاد وكأنه يتعلق بشكل أساسي بالرفاه، ثم قاموا في وقت قريب جدا بالحديث عن علم اقتصاد الرفاه²²⁹.

وللنظر إلى علم الاقتصاد باعتباره علم قادر على ترويج الرخاء الاقتصادي قد بدا وكأنه مجرد خطوة صغيرة غير ضارة، فقد تم في الغالب بالنسبة لكثير من سنوات النصف الغول من القرن العشرين التسليم بصحة القول على أن عالم الاقتصاد هو ذلك العالم الخبير الذي يقوم بصياغة سياسات يتم تنفيذها بغرض ترويج رفاه اقتصادي كلي غير فردي. وقد بدا بكل وضوح على إن لدى علماء الاقتصاد واجب مهني إلا وهو الدفاع عن السياسات التي تعمل حسب اعتقادهم على تعزيز الرفاهية من الناحية العلمية.²³⁰

²²⁹ نجيب، عيسى. (2006)، دولة الرفاهية الاجتماعية، ندوة فكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 135

²³⁰ جورج، نايمهانز. ترجمة صقر، احمد صقر. (1997)، تاريخ النظرية الاقتصادية، الإسهامات الكلاسيكية. المكتبة الأكاديمية، ص 52.

وتعتبر هذه الفترة هي الفترة التي شرع بها علماء الاقتصاد بالبدء في إيجاد فرص وفيرة للتوظيف في الحكومة، وبما أن المد الذي أصاب الرأي العام قد تحول بشكل حاسم²³¹، إلى جانب التدخل الحكومي الشامل في اقتصاد السوق، نظر علماء الاقتصاد بشكل متزايد إلى حقلهم هذا في المعرفة وكأنه قادر على استحداث وخلق سياسات محددة جدا خاصة بحكومات يتم تنويرها بحيث تقوم باتباع هذه السياسات²³².

قام علماء الاقتصاد بوضع علمهم (خصوصا بفرع علم اقتصاد الرفاه) في خدمة الأحزاب السياسية، وقد تبين بأن أي برنامج سياسي وآية فرضية خاصة بتشريع اقتصادي بإمكانهما أن علماء اقتصاد لديهم الاستعداد بأن يعطوا حجة علمية تعمل على دعمهما²³³.

ازدهرت الرأسمالية خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين، ومطلع الألفية الثالثة، يشكّلان عصر ازدهار الرأسمالية، حيث شهد الاقتصاد العالمي ما سمي بالاقتصاد الجديد أو اقتصاد المعلومات، ووجود نظم متطورة في مجال الاتصالات صاحبها حركة غير عادية من الاستحواذ على شركات الإنتاج ومؤسسات الخدمات على السواء، وتسبب ذلك في حركة نشطة غير مسبوقه في أسواق المال، وقد واكب هذه الطفرة من الازدهار للرأسمالية حدث تاريخي مهم، وهو سقوط الاتحاد السوفيتي، وانهيال الاشتراكية.

كان الاقتصاديون وعلماء التخطيط الاستراتيجي واثقون بأن خط المسيرة الرأسمالية لن يكون غير المضي قُدماً وحث الخطى نحو مصاف أعلى، ومع أن هذا الاعتقاد ليس إلا ضلالا أثبتت الأيام زيفه، فإن بني البشر يستسلمون له تماما، كما استسلموا للاقتصاد الجديد. كما

²³¹ خاصة خلال الربع الثاني من القرن الماضي

²³² عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 105.

²³³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 105.

استشهد الكثير بالاعتقاد السائد بازدهار الأسهم بمقولة الرئيس الأميركي الأسبق "نحن قادة العالم بلا منازع".²³⁴

البنية الفكرية لمفهوم دولة الرفاهية
مفهوم الرفاهية كفكر وبنيته ضمن أدبيات العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية قد أخذ مفاهيم عديدة²³⁵. وهذه المفاهيم تميل إلى موضوع تناول الرفاهية فيه، فمثلا العلوم الاقتصادية تتناولها من منظور الإنتاج وزيادته مما يسهل زيادة العرض وبالتالي إلى انخفاض الأسعار وزيادة درجات الإشباع إيجابا عن طريق الاستهلاك²³⁶.

وهكذا يكون الرفاه من الناحية الاقتصادية يرتبط بالسعادة ورغد العيش، وقد عرف بيجو الرفاهية الاقتصادية بأنها، ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية الذي يتناوله المقياس النقدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة²³⁷.

أما القانون فيتناولها بأنها حق من حقوق الإنسان في التمتع بالرفاهية وإشباع حاجات الإنسان المتعددة، أما العلوم الاجتماعية فتتناولها من منطلق حق الفرد في الرفاهية وأنه يعمل ويكد كي يحصل على كفايته من إشباع الرغبات، كل هذه المفاهيم تصب في مفهوم موحد إلا وهو الرفاهية حق من حقوق الفرد الأساسية بالتمتع بإشباع حاجاته الإنسانية المتعددة²³⁸.

على الرغم من الاستخدام الشائع لمفهوم دولة الرفاه سواء في الخطاب السياسي أو الاجتماعي، أو في أدبيات البحث، والتي لا يمكن تمييزها عن الرفاهية بمفهومها العام، سواء

²³⁴ نفس المصدر السابق ذكره، ص 105.
²³⁵ يمكن التطرق إلى مفهوم الرفاهية من جانبين أحدهما لغوي والآخر اقتصادي، فمن الناحية اللغوية تعني الرفاهية، رغد الخصب وألين العيش وسعته/ ابن منظور، بدون سنة نشر، ص 16.
²³⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 106.
²³⁷ حسين، عمر. (1961)، الرفاهية الاقتصادية، الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ص 91.
²³⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 106.

بعد الحرب العالمية الثانية أوفي مطلع الألفية، فإن الدولة هي المسؤولة عن تحقيق الرفاهية لمواطنيها²³⁹.

لذا فإن الرفاهية الحالية هي نفسها دولة الرفاه، وفي الحقيقة لا يوجد أي إجماع حول الدلالة الدقيقة لهذا المصطلح، يمكن العثور في الأدبيات المختصة على تعريفات عديدة لمصطلح دولة الرفاه، تعكس الميول النظرية أو المبدئية للباحثين أو المميزات الخاصة للحالات التي يدرسونها، يذهب بعض الباحثين إلى أن مجرد وجود جهاز خدمات رفاه في دولة معينة يكفي لتعريفها كدولة رفاه، على النقيض من هذا التوجه الذي يكفي بحد أدنى من أجل تعريف دولة ما كدولة رفاه²⁴⁰.

ولاستجلاء حقيقة هذا المفهوم نرجع إلى باريتو الذي يعد أول من أرسى دعائم التحليل الحديث لاقتصاديات الرفاهية وذلك من خلال تفسيره للوضع الأمثل للرفاهية، إذ يعرف بأنه الوضع، الذي يتحقق فيه أقصى مستوى معيشي لجميع أفراد المجتمع، دون استثناء²⁴¹.

بحيث إن حصل أي تغير في هذا المستوى الأمثل، أدى إلى حدوث زيادة في المستوى المعيشي لبعض الفئات الاجتماعية، فإن هذا التغير لا بد أن ينجم عن إلحاق الضرر بفئات اجتماعية أخرى وتخفيض مستوى إشباعهم عن المستوى الأمثل، ومن ثم فإن أي اختلاف يحدث عن المستوى الأمثل للإشباع سيؤدي إلى عدم تحقيق الرفاهية الاقتصادية للمجتمع²⁴².

²³⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 106.

²⁴⁰ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 107.

²⁴¹ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الادارية، مرجع سبق ذكره، ص 85.

²⁴² نفس المرجع السابق ذكره، ص 85.

فيما يذهب فريق آخر من الباحثين إلى التشديد على الفروق الكبيرة بين دول غرب أوروبا وبين دول شمال أمريكا²⁴³، التي تسمى عادة دول رفاه، يزعم هؤلاء أن عدم الوضوح في تعريف دولة الرفاه ينبع من عدم وجود نموذج عالمي لدولة الرفاه²⁴⁴ بل هناك نماذج مختلفة في غاية الاختلاف لدولة الرفاه في دول عديدة.

وعلى الرغم من الاختلاف بين الدول المسماة دول الرفاه اعتمادا على مبادئها الفكرية إلا انه يمكن العثور على عدد من المميزات المشتركة بين معظم هذه الدول، وذلك بهدف التوصل إلى تعريف يميز بين دول الرفاه وبين دول أخرى تتضمن أجهزة رفاه معينة، وتلبي الاحتياجات المختلفة لمواطنيها²⁴⁵.

وبالرغم من ذلك فإن لا يمكن تعريف هذه الدول "كدول رفاه" نتيجة للتكاليف المتعلقة بتشغيل الأجهزة اللازمة في دولة الرفاه، فإن جميع دول الرفاه هي دول صناعية، متطورة وغنية نسبيا، بالإضافة إلى هذا فإن معظم هذه الدول هي دول رأسمالية ذات اقتصاد سوق متطور، لكن لا يمكن اعتبار وجود دولة رفاه وفقا لبنية اقتصادية واسعة فحسب، بل يتطلب أيضا وجود نظام حكم ديمقراطي يعترف بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية لمواطنيه، وفي هذا السياق فإن الخدمات التي تقدمها دولة الرفاه لمواطنيها ليست بمثابة إحسان، بل هي جزء من الحقوق الأساسية، التي يستحقها كل مواطن²⁴⁶.

²⁴³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 107.

²⁴⁴ نموذج دولة الرفاه الاسكندنافية يختلف كثيرا عن ذلك النموذج الذي يميز الأنظمة الليبرالية كالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وكلاهما يختلف كثيرا عن دولة الرفاه المحافظة التي تميز دول وسط أوروبا؛ كألمانيا مثلا. كما نموذج دولة الإمارات العربية يختلف بشكل تام عن هذه النماذج.

²⁴⁵ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 85.

²⁴⁶ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 85.

وبناء على ذلك يمكننا القول أن دولة الرفاه هي دولة تلبى الاحتياجات الإنسانية الأساسية لمواطنيها كجزء من إحقاق حقوقهم السياسية، وبشكل أكثر تحديداً، إن دولة الرفاه تسعى إلى ضمان الأمن الاجتماعي لمواطنيها، وتوفير دخل ثابت وتغذية ورعاية طبية وتعليم وسكن وعمل وخدمات رفاه خاصة لكل مواطنيها، وكذلك تقليص الفجوات الاجتماعية إلى حد معين، ويتم تحقيق هذه الأهداف بواسطة فعاليات تبادر إليها الدولة بعدد من الطرق، تشمل مدفوعات مباشرة لمخصصات التقاعد، تزويداً مباشراً للخدمات الاجتماعية، ضمان تقاعد غير مباشر بواسطة نظام الضرائب، وكذلك عمليات تدخل مختلفة في الاقتصاد وسوق العمل²⁴⁷. وفي المحاور التالية أسلط الضوء على بعض المفاهيم.

ويقصد بالرفاهية الاقتصادية ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية العامة، الذي يمكن قياسه نقدياً بطريق مباشر أو غير مباشر. وعلى أساس هذا التعريف يمكن أن تؤدي زيادة الرفاهية الاقتصادية إلى زيادة الرفاهية العامة، وإن كان لا يبدو أن هناك ارتباط بينهما، ويعتقد بعض الاقتصاديين أن دراسة الرفاهية الاقتصادية يجب أن تقتصر على تحليل الأسباب والعوامل، التي يمكن أن تؤدي إلى تحقيق أكبر قدر من الاستقرار النفسي والمادي والاجتماعي للفرد ضمن مجتمع معين، وهي بذلك تكون دراسة علمية إيجابية .

وعليه يكون الهدف النهائي لأية سياسة اقتصادية عقلانية هو تحقيق الرفاهية للمجتمع، ويتم التعبير عنها عبر خطط التنمية، التي تجعل من المنطقي أن يكون مستوى

²⁴⁷ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 107.

الرفاهية المتحقق فضلاً عن مدى تطور ذلك المستوى بمثابة تقييم موضوعي لمستوى أداء تلك الخطط وبالتالي فهو بشكل أو بآخر انعكاس لصورة السياسات الاقتصادية²⁴⁸.

لقد اقتصرنا اغلب البحوث التي تناولت مستوى الرفاهية الاقتصادية في البلدان العربية على متغيرين هما مستوى الدخل وطريقة توزيعه أو على مستوى الإنفاق الاستهلاكي والسبب يعود إلى عدم توافر بيانات تتسم بالكفاية والكفاءة لذلك اضطر الكثير من الباحثين إلى استخدام معامل جيني للتفاوت، وبتعبير آخر كلما ازداد مستوى التفاوت في التوزيع أقل مستوى الرفاهية²⁴⁹.

ويعتقد البعض الآخر أن دراسة الرفاهية الاقتصادية يجب أن تشمل وضع السياسة، والتي يجب أن تتبع لتحقيق الرفاهية، وبذلك تصبح الدراسة غير علمية خالصة حيث لا بد أن تأخذ هذه الدراسة في الاعتبار الخلفيات السياسية التي ترتبط بالموضوع وبذلك تخرج عن دراسة علم الاقتصاد، والأمثلة الحدية على ذلك أصبحت كثيرة، منع طائرات معينة من التحليق فوق مناطق معينة بسبب ضجيجها، إزالة مناظر طبيعية جميلة لإقامة المصانع الضخمة، استهلاك أراضي زراعية لإقامة مطارات بجانب المدن، إقامة محطات توليد الطاقة النووي وما يترتب على ذلك من نقص في الرفاهية بالنسبة للبعض وزيادة في الرفاهية بالنسبة للبعض الآخر.

يربط الاقتصاد والرفاهية الاقتصادية بالدخل الاقتصادي فكلما زاد الدخل الاقتصادي كلما كان هناك رفاهية، ولم يمنع الإسلام مثل هذه الرفاهية، حتى أن الرسول (ص) قال (إن الله يحب

²⁴⁸ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 89.

²⁴⁹ احمد، زبير جعاطه. (1989) « تحليل اقتصادي لتفاوت مستوى الرفاهية الاقتصادية بين كل من الريف والحضر العراقي (خلال الفترة 1985/1971) » مجلة الإدارة الاقتصادية، جامعة المستنصرية، العدد العاشر، 25.

أن يرى أثر نعمته على عبده)، فطالما كان هناك دخل وفير فليس هناك مانع أن يتمتع الفرد بذلك المال وأن يحيا حياة مرفهة سعيدة²⁵⁰.

والرفاهية تعني لغويا²⁵¹ : وخاصة في معجم الصحاح المعني بالمصطلحات العربية ولمؤلفه العلامة إسماعيل بن حماد الجوهري والمولود في مدينة فراب وهو ابن أخت العلامة الكبير إسحق الفارابي صاحب ديوان الأدب " 1009م " وقد ذكر في الصحاح كلمة رفاه أي رفة الشخص عن نفسه وأسرته أو رفة الحاكم لرعيته، أو رعاية ورفاه الله لبني البشر، وهو أول تعريف لمفهوم الرفاهية في العربية.

ويعرف بعض الكتاب الرفاهية بأنها حالة تمس حياة الفرد والجماعة وتعمل على إشباع الحاجات البيولوجية الأساسية للإنسان من مأكّل وملبس ومسكن والحاجات التي تتطلبها الحياة الاجتماعية مثل التعليم والثقافة والخدمات الطبية والأمن الاجتماعي وهناك من يوجز هذه المتطلبات كلها بالقول أن الرفاهية هي تحقيق مستوى لائق للمجتمع في جميع وجوه حياته²⁵². أما من الناحية الاقتصادية؛ فإن الرفاهية ترتبط بالسعادة ورغد العيش، وقد عرف بيجو الرفاهية الاقتصادية بأنها، ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية الذي يتناوله المقياس النقدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة²⁵³.

²⁵⁰ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب 1698/3، المصباح 609/2، فقه الاقتصاد العام ²⁵¹ حسين، عمر. (1999) الرفاهية الاقتصادية "بحث في الأسس العلمية والتطبيقات العملية لرفاهية الفرد والمجتمع" دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ص 91.

²⁵² حسين، عمر. (1999) الرفاهية الاقتصادية "بحث في الأسس العلمية والتطبيقات العملية لرفاهية الفرد والمجتمع" مرجع سبق ذكره، ص 91.

²⁵³ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 84.

يذهب بيجو في هذا الشأن؛ بأن هناك فكرتين أساسيتين للدلالة على مستوى الرفاهية الاقتصادية الإجمالية للمجتمع، وهاتان الفكرتان اللتان استخدمهما " بيجو " في تحليله تقومان على فكرة "صافي الناتج الاجتماعي"، والتي تنطوي على إمكان تجميع إشباع الأفراد، والفكرتان اللتان قدمهما بيجو هما²⁵⁴:

أ. حجم الدخل القومي : وهذه الفكرة تعني أن زيادة الدخل القومي للمجتمع تؤدي إلى زيادة الرفاهية الاقتصادية، بشرط أن نصيب ذوي الدخل المنخفضة لا ينقص عما كان عليه قبل الزيادة، إذ يؤكد بيجو أن زيادة الدخل القومي سوف تؤدي إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية للمجتمع حيث تكون العلاقة طردية بين مستوى الدخل القومي ومستوى الرفاهية الاقتصادية²⁵⁵.

ب. توزيع الدخل القومي : حث بيجو على أن تكون هناك إعادة لتوزيع الدخل كل مده زمنية معينة؛ بحيث تؤدي هذه العملية إلى تحسين الوضع الاقتصادي لجميع أفراد المجتمع من خلال التوزيع العادل للدخل، وعلى أن يكون هذا التوزيع لصالح ذوي الدخل المنخفضة على حساب ذوي الدخل المرتفعة²⁵⁶.

تجدر الإشارة إلى أن الرفاهية الاقتصادية هي الغاية الرئيسة للتنمية الاقتصادية في أي مجتمع متقدم أو نامٍ وتتجسد بالمستوى المعيشي اللائق، الذي يفي بالاحتياجات المادية

²⁵⁴ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 84.

²⁵⁵ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 84.

²⁵⁶ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 84.

والمعنوية للإنسان تحقيق الرضا الاجتماعي وذلك بالاستناد، إلى توزيع عادل للدخل بين مختلف مناطق البلاد وبين مختلف شرائح المجتمع²⁵⁷.

وعليه يمكن تعريف الرفاهية على أنها مقدار المنفعة والسعادة التي تمكن وتساعد الفرد على الشعور بالرضا والاكتفاء والإشباع من استهلاك مجموعة من السلع والخدمات التي تؤدي إلى إشباع رغباته المتنوعة والمتزايدة²⁵⁸، في هذا الإطار نجد أن منحني²⁵⁹ "لورنز Lorenzs curve" يعد من أهم وأكثر مؤشرات الرفاهية²⁶⁰ الاقتصادية استخداماً منذ عام 1905 بسبب السهولة، التي يتصف بها، وهو عبارة عن منحني تكرر متجمع صاعد نسبي يرتبط ارتباطاً مباشراً بفكرة التوزيع التكراري التجميعي، ويقاس العلاقة بين التراكم النسبي للأسر / الأفراد مع التراكم النسبي للدخل/ الانفاق²⁶¹.

وعليه، تكون نقطة الارتكاز في الرفاهية هي المستوى، المعيشي الذي من شأنه أن يضمن تحقيق السعادة للفرد والمجتمع في ظل توزيع عادل للدخل . وخلاصة القول إن الرفاهية الاقتصادية تستند، إلى المنفعة الخاصة والعامة، وهكذا نجد إن مستوى الرفاهية الاجتماعية يختلف من بلد إلى آخر على وفق مستوى المعيشة العام من جهة والنظام الاجتماعي السائد

²⁵⁷ محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 84.

²⁵⁸ منى، يونس حسين. (2010)، الوصول إلى الرفاهية علاقة بعض المكونات الاقتصادية بتوزيع الدخل والثروة الوطنية، الطبعة الأولى، دار الخلود للنشر، بيروت، ص 40.

²⁵⁹ Kakwain Nonak C. (1980), **Income Inequality and poverty**, Oxford University press, P, 30.

²⁶⁰ أما الرفاهية من وجهة نظر الباحث فأنها تعني الحالة التي تمس حياة الفرد والجماعة التي تعمل على إشباع الرفاهية اقتصادياً: يعني اقتصاد الرفاهية بالنتائج الاجتماعية التي يمكن قياسها موضوعياً وتناولها في النظرية الاقتصادية، فالدخل القومي؛ أي تدفق السلع والخدمات يقترن اقتراناً مباشراً بالرفاهية وكلما أزداد الدخل القومي وازدادت المساواة في توزيعه عظمت رفاهية المجتمع الاقتصادية، كما يعني اقتصاد الرفاهية بدراسة وتقييم الكفاءة الاقتصادية والنظم المتعلقة في توزيع الموارد بما يؤدي إلى تحقيق أكبر قدر من المنفعة الاجتماعية وتوفير الظروف التي يمكن عن طريقها تقوم السياسات الاقتصادية في تحقيق الرفاهية للمجتمع وتستدعي هذه السياسات التدخل لتشجيع المشروعات المنتجة وعدالة التوزيع عن طريق الضرائب ما يزيد من الإنتاج ومن إشباع الحاجات.

²⁶¹ Kakwain Nonak C. (1980), **Income Inequality and poverty**, Op. Cit ; P 30.

من جهة أخرى، بل انه يتفاوت في الوقت نفسه في داخل البلد الواحد من منطقة إلى أخرى تبعا لنوع النشاط الاقتصادي؛ زراعة أو صناعة أو تجارة²⁶².

ويقابل دولة الرفاهية²⁶³ التي تقوم بأداء الخدمات، التي يتطلبها المجتمع والدولة الحارسة (Gendarme State) وهي التي تقتصر وظيفتها على وضع القواعد لصيانة النظام في المجتمع.²⁶⁴

أما مفهوم دولة الرفاه، فإنه يشير إلى قيام الدولة بتقديم خدمات وتأمينات اجتماعية، ومعونات إلى أفراد المجتمع بما يحقق ارتفاع مستوى المعيشة أو ضمان حد أدنى لها. وينطلق هذا المفهوم من: حق كل إنسان في الحياة الكريمة، ومن نظرة اجتماعية وإنسانية قوامها وجود رابطة قوية بين رفاهية (طيب العيش) الأفراد ورفاهية المجتمع، وتشمل الخدمات والتأمينات في دولة الرفاهية؛ التعليم، الصحة، ومستوى من الدخل، وتوفير العمل، والتأمين ضد العجز والشيخوخة على سبيل المثال لا الحصر، ولا تعتبر دولة الرفاهية إشتراكية بالضرورة على الرغم من وجود سمات مشتركة²⁶⁵.

التعريف المتقدم يصف دولة الرفاهية بالدولة، التي تقدم إلى أفراد المجتمع خدمات وتأمينات ومعونات وذلك إما لتحقيق ارتفاع مستوى المعيشة أو لضمان حد أدنى للمعيشة،

²⁶² محمد، حسن عوده. (2014) «دراسة وتحليل الرفاهية الاقتصادية في العراق للمدة: 2011/1975» مجلة الغري للعلوم الإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 84.

²⁶³ دولة الرفاهية : دولة الرفاهية هي ما يفترضه المجتمع في الدولة التي تتحمل مسؤولية رسمية وواضحة نحو تحقيق الرفاهية الأساسية لمواطنيها، وتوفير الخدمات الاجتماعية المتنوعة حتى يتسنى زيادة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ويظهر مثل هذه الحالة إذا أصبح المجتمع أو الذين يتولون أمورهم مقتنعين بأن رفاهية الفرد بجانب حفظ النظام والأمن القومي من الأهمية بمكان، حتى أنه لا يمكن تركها للتقاليد أو التنظيمات غير الرسمية والمشروعات الخاصة، بل هي مسؤولية الحكومة. وينطلق التزام دولة الرفاهية بتحقيق الرفاهية الأساسية لأعضاء المجتمع من قناعة الدولة أو الشعب بالحقيقة التي تؤكد على الدور الهام لرفاهية الفرد في حفظ النظام والأمن القومي.

²⁶⁴ احمد، زكي بدوي. (1982) ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ص 446

²⁶⁵ عبد الوهاب، الكيالي. (1981)، موسوعة السياسة، الجزء الثاني، دار الهدى للنشر والتوزيع، ص 713

وينطلق التزام دولة الرفاهية بتقديم تلك الخدمات والتأمينات والمعونات من حق كل إنسان في الحياة الكريمة، ومن نظرة اجتماعية وإنسانية تقوم على أساس وجود علاقة قوية بين رفاهية الأفراد والمجتمع²⁶⁶.

يركز أصحاب هذا التعريف على بعض الأمثلة لتلك الخدمات والتأمينات والمعونات مما يؤكد على اختلاف كم ونوع ومجال الخدمات والتأمينات والمعونات من دولة رفاة معينة إلى دولة رفاة أخرى، وينبئ التعريف إلى كون دولة الرفاهية لا تعتبر اشتراكية بالضرورة²⁶⁷، وهي إشارة تامة إلى كون الرفاه لا يرتبط بنظام سياسي دون آخر، على الرغم من وجود بعض السمات المشتركة بين الدولة الاشتراكية ودولة الرفاهية والتي تكاد تتلخص في أصل التزام الدولتين بتقديم الخدمات والتأمينات والمعونات المذكورة لكن من منطلقات وتفسيرات متباينة وتمويلات مختلفة لتلك الخدمات والمعونات ونظام اقتصادي مختلف²⁶⁸.

من خلال الدراسات والأبحاث، التي اطلع عليها الباحث، تبين أن هناك من يربط بين دولة الرفاه من جهة والاشتراكية أو الديمقراطية الاجتماعية أو اليسار أو اليسار الوسط أو اليسار الجديد أو الوسط أو الطريق الثالث أو الرأسمالية الخيرة أو الليبرالية أو النيوليبرالية اليسارية أو زيادة الضرائب أو حزب العمال في المملكة المتحدة أو الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية²⁶⁹.

²⁶⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 110.

²⁶⁷ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 110.

²⁶⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 110.

²⁶⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 110.

غير أن هناك من يربط بين الدولة الحارسة من جهة والرأسمالية أو اليمين أو النيوليبرالية اليمينية أو المحافظين الجدد أو تخفيض الضرائب أو الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة الأمريكية أو حزب المحافظين في المملكة المتحدة من جهة ثانية²⁷⁰، وما يستنتجه الباحث هو أن هذا غير صحيح على اعتبار أن هذا الطرح لا يتقاطع والتصورات المتحدث عنها سلفاً²⁷¹، وهو ما نجده في عند الباحث فؤاد عبا الذي يشير إلى أنه لا توجد دولة رفاهية مطلقة كما لا توجد دولة حارسة بالشكل المطلق للدولة الحارسة²⁷²

يلاحظ أن الكثير من المفكرين والباحثين، تبعاً للأسس الفكرية، التي ينطلقون منها، يقدمون مفاهيمهم أحياناً متعارضة أو متناقضة، حتى من داخلها على سبيل المثال، هناك من يعارض الليبرالية في داخل المدرسة واحدة، في حين يعتبر البعض منهم ناقلين لأفكار القدماء إلى الحديثين لأنهم سعوا للمزج بين الروح الوطنية والمصلحة الفردية بينما هي الإنسان والمواطن، بين الحرية والمشاركة في الشؤون العامة والصالح العام²⁷³.

لكنهم رفضوا إيلاء ثقة غير محدودة سواء للمصلحة الفردية أو للسيادة الشعبية، في حين أن النفعيين حاولوا المزج بين المصلحة الفردية والصالح العام؛ كالسعي للسعادة الشخصية، وكلاهما لا يرى تعارضاً بين المصلحة الفردية والتوحيد المجتمعي... وتاريخياً ساد الفكر الليبرالي من "هوبز" إلى ستيوارت مل مروراً بنيامين كونستان وتوكفيل، لكن الفكر النفعي

²⁷⁰ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 110.

²⁷¹ يرى القادري، علي. في كتابه. (2006) دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت أنه يمكن استثناء دول الرفاهية الحيادية الصغيرة الإسكندنافية، ديمقراطية اجتماعية ترشو طبقاتها العاملة لتخصصها أو لتذهب بها في نهاية الأمر إلى الحرب كما فعلت كثيراً منذ الحرب العالمية الأولى، ص 50.

²⁷² فؤاد، عباس. الإسلام مع الدولة الحارسة أم مع دولة الرفاهية، مرجع سبق ذكره، ص 78.

²⁷³ عباس، كاظم جواد الفياض. (2010)، الخصخصة وتأثيرها على الاقتصاد العراقي، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في علم الاقتصاد السياسي، ص 101.

"وهومن نفس المدرسة" فرض نفسه في القرن التاسع عشر "الرأسمالي" ومع الولفير ستيت Walfer State "دولة الرفاهية" في القرن العشرين²⁷⁴.

عارض "جيمس ستيوارت مل" في ملاحظاته على الحكم التمثيلي سلطة الاستبداد، التي كانت في عهده وراء أقنعة مختلفة، معارضاً أولئك الذين أيدوا هذا الشكل أو ذاك من أشكال السلطة الاستبدادية وعارض الكثير من فرضيات وأفكار "بنتام" النفعية²⁷⁵.

قدم "مل" تصورا للسياسة الديمقراطية، كونها آلية ممتازة للتنمية، الذاتية الأخلاقية، وكذلك بقى التوسع "الأعلى والمتناغم" للقدرات الفردية هاجساً محورياً، غير إن هذا الهاجس لم يقده إلى زيادة أي صيغة من صيغ الحكم الديمقراطي المباشر أو الديمقراطية اللاتمثيلية²⁷⁶.

لقد ظل "مل" شديد الارتباط، متطرف الشك بنماذج من الديمقراطية. إن ملاحظات "مل" حول الحكم التمثيلي يمكن إيجازها على النحو التالي: أمن الشخص والملكية والعدالة المتكافئة بين الأفراد هي حاجات المجتمع الأولى وغايات الحكم الرئيسية²⁷⁷.

انتقد كارل ماركس الصيغة الإصلاحية لجون ستيوارت مل ومحاولاته التوفيق بين أضداد لا يمكن التوفيق بينها فعمل "مل" يستوجب المحاولة إلى إذابة أمن الشخص والملكية، العدالة المتكافئة، ودولة ذات قوة كافية لمنع الحروب أو خوضها والحفاظ على المعاهدات²⁷⁸.

²⁷⁴ آلان، تورين. ترجمة حسن. (1995)، ما هي الديمقراطية حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، دار الساقى – الطبعة الأولى بيروت، لبنان. ص 12.

²⁷⁵ عباس، كاظم جواد الفياض. (2010)، الخصخصة وتأثيرها على الاقتصادي العراقي، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في علم الاقتصاد السياسي، ص 102.

²⁷⁶ عباس، كاظم جواد الفياض. (2010)، الخصخصة وتأثيرها على الاقتصادي العراقي، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات، مرجع سبق ذكره، ص 102.

²⁷⁷ عباس، كاظم جواد الفياض. (2010)، الخصخصة وتأثيرها على الاقتصادي العراقي، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات، مرجع سبق ذكره، ص 102.

²⁷⁸ ماركس، كارل. ترجمة: راشد الراوي. (1947)، رأس المال، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 126.

حولت السياسات الليبرالية الجديدة الضرائب المتصلة بجانب الإنتاج إلى ضرائب على الاستهلاك وأصبحت متغلغلة الكلمات مثل " استهداف الفوائد " و " التقدير المبني على الحاجات " تحت نواقص وانعدام توازن معلوماتي حول البيع والشراء, والاختيار العكسي والخطر الأخلاقي. وتعين على الدولة أن تعيد الرفاهية بأرخص تكلفة ممكنة، كما تعين عليها أن تتعامل مع مشكلة تواؤم في الحوافز يمكن أن تحل بطريقة بنوية قائمة على طبيعة المعلومات، وفي وقت حدوث النقطة الدنيا من هزيمة دولة الرفاهية، لم يذكر إلا القليل عن حقيقة أن معدلات الربح كانت صاعدة إلى مستويات تاريخية غير مسبوقة وأن تفاوت المداخل عالميا كان قد يصبح أكثر حدة، ويمكن تلخيص الحالة الذهنية السائدة بهذه التعريفات الجديدة لدولة الرفاهية²⁷⁹ ضمن المفهوم الدارج لبعض المفكرين وكالاتي:

يقترح سنور (Snower) فواتير للصحة والتربية من أجل تحقيق فوائد للسوق الحرة, ومع ذلك تناول انعدام التوازي المعلوماتي عن الانتماء في هذه القطاعات²⁸⁰.

يرى فيلبس (Phelps) دولة الرفاهية باعتبار أنها نظام من الاستحقاقات والفوائد, يبرره وجود معلومات غير موازية ونواقص في السوق، إنما لا يرى مع ذلك لماذا ينبغي أن لا يكون تأميننا من القطاع الخاص، وهو يشير علاوة على هذا إلى أن هذا الأمر يفضي إلى وضع من نوع وضع محنة السجن الذي فيه يتم تقويض الحوافز والدوافع إلى العمل، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع معدلات البطالة²⁸¹.

²⁷⁹ Welfare is the provision of a minimal level of well-being and social support for all citizens, sometimes referred to as public aid. In most developed countries welfare is largely provided by the government, and to a lesser extent, charities, informal social groups, religious groups, and inter-governmental organizations. The welfare state expands on this concept to include services such as universal healthcare and unemployment insurance.

²⁸⁰ - D. Snower, (1996), **What is the Domain of the welfare State**, London: Macmillan. P, 59.

²⁸¹ Ibid; P, 59.

يدمج ليندبيك وآخرون " عام 1999م" دراسة نفوذ الأعراف الاجتماعية التي يعنون بها أثر البرهنة الميكانيكية (أو بتعريف أدق- الوصمة أو الاستهلاك الغامض السلبي)، الذي فيه تزيد حوافز من يحصل على منافع أكثر (أو مضار أقل) من عمل ذلك: من المرجح أن تؤدي زيادة في عدد الأشخاص الذين يتلقون منافع الرفاهية إلى إضعاف الأعراف الاجتماعية التي تدفع إلى أن يعيش المرء على عمله بالإضافة إلى هذا فإن الأفراد الذين يعيشون على التحويلات العامة يمكن بمضي الوقت أن يقيموا وقت فراغهم أكثر²⁸².

كانت سياسات الدولة تتقرر بواسطة الناخب المتوسط، على الرغم من أن هذا يمكن أن يستكمل بنظرية عن النشاط السياسي توضع تكاليف اكتساب النفوذ ضد التيار الذي يتمثل في عمل هذا، وكما يشرح أزار ليندبيك، إن المحنة الأساسية لدولة الرفاهية هي انه كلما زاد سخاء المنافع كبر حجم الانحرافات الضريبية، ليس هذا فحسب، بل أيضا عدد المستفيدين من هذه المنافع، وذلك بسبب الخطر الأخلاقي والغش للحصول على المنافع²⁸³.

إن نزع الطابع الاجتماعي على نطاق واسع عن الإصلاحات الليبرالية الجديدة في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، والتسوية اللاحقة في الرفاهية، توفر دليلا إضافيا يدعم الرأي الذي يذهب إليه مياسو (Meillassoux) والقائل بأن أزمة رأسمالية في غياب بديل أيديولوجي في طبقة عاملة متماسكة يفضي إلى تسليع تام للحياة الإنسانية، تسليع سيرد فيه (العامل الحر) إلى حالة اغتراب كامل²⁸⁴.

²⁸² A. Lindbeck. (1997), «Welfare State Dynamics» in: European Commission, *The welfare State in Europe*, Luxembourg, P,35.

²⁸³ A. Lindbeck. (1995), «Hazardous Welfare-State Dynamics» *American Economic Review*, vol. 85. N° 2, P 9

²⁸⁴ Claude, Meillassoux. (1981) *Maidens, Meal, and Money: Capitalism and the Domestic Community*, Cambridge University, P,58.

إن الحرب العالمية الثانية وويلاتها المريعة التي عاشها مواطنو أوروبا الغربية والشعور بالمصير المشترك الذي نشأ خلال الحرب، إضافة إلى الرغبة في خلق مجتمع أفضل في أعقابها، أوجدت جميعها أرضية مواتية لمسألة دولة الرفاه بعدما وضعت الحرب أوزارها، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح الحديث ممكناً وبحق عن (عهد دولة الرفاه)²⁸⁵.

خاتمة الفصل الأول

الإنسان بطبعه متطلب ومتجدد ومتطور، يحب التحديث والتغيير ويسعى طوال عمره لذلك، فكلما حصل على شيء طالب بالأفضل سعياً وراء أمانه وأحلامه لتحقيقها، وهذا الطبع هو سبب رئيسي في ارتقاء البشرية، وهو سبب وصول البشرية إلى ما وصلت إليه اليوم من تقدم ورقي وحضارات وحریات وعدل ومساواة ورفاهية.

إن المواطن في أي بلد كان له حقوق على الحكومات تنفيذها ومنها العدل والمساواة والعيش الكريم والشعور بالأمان، وفي نفس الوقت عليه واجبات يجب تنفيذها، بذلك تتغير طبيعة المجتمع ككل، ويتحسن أداء الفرد لأن عمله يصبح نابع من القناعة والمحبة ويشعر أنه شريك في الوطن وشريك في المصنع والمكان الذي هو فيه، وبذلك يسعى لتطوير إمكاناته دائماً، فينهض المجتمع ويقترّب من حدود الرفاهية.

أما المجتمع الذي يصل إلى مستوى الرفاهية، هو مجتمع منتج وواعي ومثقف، ومشاكله تختلف عن مشاكل المجتمع المتخلف المستهلك فقط، هو مجتمع اجتاز أزمات الماء والكهرباء والسكن والصحة والبطالة بالقوانين الشفافة والتأمين الاجتماعي والصحي، وبترك العادات السيئة والاهتمام بجمال مدنه دون ينسى تاريخه وتراثه، وهو المجتمع الذي يشعر الفرد داخله

²⁸⁵ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 120.

بجمال الحياة وروعها، فيسعى أن يتمتع بها ويأخذ حقه الكامل منها، ويؤدي واجبه كغيره من المواطنين وأيضا يشعر انه حر قوي ومكتفي وغير تابع أو ذليل أمام رب العمل أو احد غيره، وكل هذا يزيد المواطن ثقته بنفسه أولا وبوطنه ثانيا.

الفصل الثاني

الرفاه الاجتماعي بدولة الإمارات العربية المتحدة

تقديم

منذ أن احتدام صراع بين النموذج الليبرالي والنموذج الاشتراكي، سعى كل التصور أن يرسم التصور لسعادة المواطنين في إطار ما يسمى بتحقيق الرفاهية الاجتماعي للمواطنين، على شكل سياسيات اجتماعية، تبرمجها دولة لتحقيق نوع من التوازن الاجتماعي، لكن سوف تتغير هذه سياسة بعد الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بمثابة سقوط نموذج الاشتراكي لدولة الرفاه، وانتصار النموذج الرأسمالية الذي يغلب عليه فلسفة السوق.

إن اختفاء البديل لفلسفة السوق أو الاقتصاديات الرأسمالية، في شكل نموذج الاشتراكي الذي يعتمد على إعادة توزيع رأس المال، جعل العولمة الاقتصادية تكتسح العالم وبات سؤال المطروح ما هي العضلات، التي سوف تواجهها دولة الرعاية الاجتماعية في علاقتها بفلسفة السوق؟ ثم إلى أي حد استطعت بعض الدول أن تحقق الرفاهية لمواطنيها في إطار نظام قائم على المنافسة والاحتكار؟

بعد أن كانت تجربة الدول الإسكندنافية²⁸⁶، تعمل على توفير الرعاية الشاملة لمواطنيها، أصبحت محط أنظار العالم تتجه إليها باعتبارها نموذج يتم الاحتذاء به ومحاولة الوصول إليه،

286 هادي، حسن. (2005) «النموذج الاجتماعي الديمقراطي، دراسة مقارنة بين السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا» مركز دراسات الوحدة العربية / المعهد السويدي بالإسكندرية، ندوة "دولة الرفاهية الاجتماعية" 28 - 30 تشرين الثاني/نوفمبر الإسكندرية - جمهورية مصر العربية، ص 2.

غير أن هذه التجربة، أضحى محل تقييم عميق لتقدير الآثار التي ترتبت عليها وتقرير إمكانية استمرارها في ظل التحديات المحلية والخارجية²⁸⁷.

لم تكن دول مجلس التعاون الخليجي بعيدة عن تلك التطورات²⁸⁸، بل عملت على تقييمها، بعد أن اتبعت هذه الدول ولعقود عديدة سياسيات الرعاية الاجتماعية والرفاه في ظل الوفرة المالية، في سياق اكتشاف النفط، فمثلا نموذج، الذي نحن بصدد دراسته (دولة الإمارات العربية المتحدة) اعتمدت على سياسة الرعاية الاجتماعية، ذات شمولي نظرا للوفرة المالية، التي حققتها من النفط، إلى أن هذه سياسيات أضحى محطة تساؤل.

ولا غرابة في القول أن هذا النموذج الذي انتصر لنموذج الليبرالي من خلال الاعتماد على فلسفة الاقتصاد الحر، والعائدات النفطية والعاملة الأجنبية من أجل تحقيق الرفاهية الاجتماعية، إلى أن عائدات نفط خاضعة لتقلبات السوق من خلال قانون العرض والطلب، بحيث مجرد تراجع الطلب على النفط يتراجع الاستثمار في الخدمات الاجتماعية، مما يؤثر على رفاهية المواطنين، يجعلنا نبحث في معظم البدائل التي تبنتها الدولة للاستمرارية في خدمة المواطن والمقيم.

وانطلاقاً من سياق الإشكالية، التي توطر عملنا هذا ما هي سياسات الاجتماعية، التي عملت عليها دولة الإمارات في تحقيق الرفاهية الاجتماعية، لمواطنيها. بمعنى أن الكثير من الدراسات في هذا الباب تربط بين ارتفاع عائدات النفط في الأسواق المالية بالنسبة لدولة الإمارات، أي كل ما ازداد طلب على النفط الإماراتي، ازداد حجم الرعاية الاجتماعي أو إعادة

²⁸⁷ R, Richard. (1992) Rethinking Priorities of the Welfare State Escaping from Absolute Dissatisfaction: a Trial-and-Error Model of Change in Eastern Europe pp.12-20.

²⁸⁸ صباح، عبد الرسول التميمي. (2009)، دور النفط العربي في تحقيق الأمن الاقتصادي العربي، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 20 (4) ص 3.

توزيع الريع، على الرعايا، كل ما تراجع الطلب على النفط تراجعت الخدمات الاجتماعية أو تراجع حجم ريع التي تقدمها الدولة إلى رعاياها، أو تحولت إلى سياسيات استهدافية تستهدف فئة اجتماعية معينة دون آخر.

هذه الفرضيات، والتي نستهدف من خلالها معرفة نوع دولة رفاه التي انتهجتها الإمارات منذ اكتشاف نفط، والتغيرات التي طرأت عليها في كل مرحلة، انطلاقاً من هذا السياق فإننا نهجنا منهاجاً تحليلياً وذلك من خلال الاعتماد على دراسات أنجزت حول الإمارات بشكل خاص أو الدراسات التي أنجزت في إطار مجلس التعاون الخليجي، أو في إطار الدراسات والإحصائيات، التي يصدرها صندوق النقد الدولي.

يتم التركيز على هذا النوع من تحليل يتطلب منا الاعتماد على أبحاث أكاديمية وذلك بغية الوصول إلى نوع دولة الرفاه مبنية بشكل علمي لدى اعتمادنا في دراساتنا في جمع المادة العلمية، على الدراسات التي يقدمها مركز الدراسات الوحدة العربية، باعتبارها مركز متخصص في الشؤون الاقتصادية، والخدمات الاجتماعية، في الشرق الأوسط إلى مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية والشبكة الالكترونية للبحوث ومقالات دراسة المنظومة وشبكة المنهل وجسور.

انطلاقاً من هذه المحددات المنهجية ورغبنا في تحديد الموضوعي للموضوع نظراً لحجمه فإننا ارتأينا إلى العمل على تقسيم الموضوع إلى مجموعة من الخطوات وذلك لتجاوز العشوائية والوصول إلى الهدف المركزي والذي سبق وأن أعلننا عليه.

المبحث الأول سوف نخصه إلى البنية الفكرية لدولة الرفاه الاجتماعي، انطلاقاً من التركيز على المفاهيم التالية الرأسمالية، الرأس المال، توزيع الطبقي بعدها سوف نتطرق، إلى مفهوم دولة الرفاه كتحديد مفاهيمي في سياق عام وليس في سياق الخاص للموضوع في علاقتها

بالسوق والدولة كمفاهيم محدد لدولة الرفاه، يليها المحور الثاني من الفصل الأول وهو أنماط دولة الرفاه.

أما المحور الثاني، الذي انتقلنا فيه من السياق العام إلى سياق المجتمعات العربية في رغبة لتعرف عن نمط دولة الرفاه الموجود في السياق العربي بالتركيز على الرفاهية الاجتماعية او الرعاية الاجتماعية.

أما المحور الثالث، فإننا ارتأينا أن نخصصه لدولة الإمارات كنموذج، لكن لبد من توضيح هو الاعتماد على الفصل الأول الذي يشمل سياق العام لدولة الرفاه ليس محض صدفة ولكن من اجل الانتقال إلى السياق الخاص في الإمارات فستعمل سياق العام هو ربط رفاهية المواطن الإماراتي برفاهية انتعاش مداخل النفط في سياقاتها العام في علاقته بسوق الليبرالي عن طريق الدولة واخير الاعتماد على المحور الثالث هو في سياق تنافسي بين الدول العربية حول إشكالية الرفاه الاجتماعي لمواطنيها. وفي الأخير سوف نقدم نمط الرفاه في الإمارات مع استنتاجات التي توصلت إليها دراسة.

الأسس الفكرية للرفاه الاجتماعي

بما أن الرأسمالية تقوم بالفصل بين العامل، ووسائل الإنتاج، ولا تقدر أن تؤمن فرص عمل لكل قوة العمل فإن دولة الرفاه تكون الميكانيزيم، الذي يؤمن للنظام الرأسمالي قدراته على التحول والتحمل من ناحية ويعطي الفئات الشعبية، التي حرمت من وسائل إنتاجها حقا مكتسبا من جراء نضال الفئات العاملة وبهذا تكون دولة الرفاهية مختلفة عن منظومة الصداقة كما هو

في المجتمعات العربية، حيث تعد المساعدات التي تقدمها الدولة بمثابة إحسان وهذا يتنافى مع دولة الرفاه التي تأسست في أوروبا²⁸⁹.

لان دولة الرفاه الاجتماعية، تأسست على أساس نضالي لكن، لكي تكون كذلك، لابد أن تكون دولة رفاه تتأسس على منطق دولة لأمة لان الدولة الأمة، شكل خاص من التنظيم الاجتماعي المتشابك مع نهوض مرحلة تاريخية محددة جدا من مراحل تطور الرأسمالية²⁹⁰ ويهذا لا يمكن أن نتصور دولة أمة مستقلة عن الرأس المال، حتى في الحالة التي فيها تطيح الطبقة العاملة بالبورجوازيات الحاكمة، فإن رأس المال كارتباط اجتماعي يبقى، ما دامت الدولة تصون الإكراه الناشئ من عملية العمل الرأسمالي ونظام الأجور²⁹¹.

لهذا، فإن الدولة الأمة تعمل على توحيد الأرض، ماديا و إداريا، أي تهيي المجال لرؤوس الأموال في المكان والزمان كي تتفاعل وتتنافس، بذلك العزم الأولي في رأس المال كعلاقة اجتماعية،²⁹² والبعد المنظم لرأس المال ينزع دوما، إلى التوسع وتخزين الموجودات، إلى قيمة نقدية ويثبت سعره لكن برغم كون دولة متصلة برأس المال، جوهريا فإنها تبقى متميزة ومستقلة في بعض الجوانب الغير الحاسمة واتصال خضوع الدولة لرأس المال²⁹³، مستمد من شمولية رأس المال كارتباط اجتماعي، ذلك حتى الدولة الأكثر تأميما في عصر الرأسمالية، تستمد سلطتها من استغلال التقسيم الدولي للعمل، والطريقة التي تحدد بها إعادة إنتاج رأس المال انطلاقا من²⁹⁴:

²⁸⁹ علي، القادري. (2006)، ندوة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 3

²⁹⁰ R. E. Goodin . (1998) **Social Welfare as a Collective Responsibility**, Cambridge University Press PP. 97-194

²⁹¹ علي، القادري. (2006)، ندوة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 3

²⁹² علي، القادري. (2006)، ندوة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 3

²⁹³ جون، كينيث جالبريت. (1978)، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، عالم المعرفة، الكويت، ص 227-

237

²⁹⁴ H. L. Zetterberg, (1995) *Before and Beyond the Welfare State*, Stockholm, P P. 43.45.

- علاقات الإنتاج من الاتصال الطبقي الوثيق بوسائل الإنتاج
- التقسيم الاجتماعي للعمل ووظيفة كل طبقة في إعادة الإنتاج المادي والاجتماعي
- توزيع الثروة الاجتماعية وشكل وكمية العوائد لكل طبقة وبالتالي حالة وجود أعضائه بالذات بهذا المعنى فان الراتب أو اجر كل عامل هو راتب أو اجر اجتماعي بشكل حاسم انه راتب اجر طبقة لا راتب اجر فرد مجمع ومعاد توزيعه بهذا يمكن أن نقول المنطلق الحقيقي للحالة الاجتماعية لدولة الرفاه وارتقائها.

انطلاقاً من هذا السياق تشكلت النواة الأساسية لدولة الرفاه الاجتماعي، انطلاقاً من تحديد علاقة الإنتاج بالانتماء الطبقي بوسائل الإنتاج انطلاقاً من التوزيع الثروة الاجتماعية، لان كل النظام الطبقي يعيد إنتاج نفسه بحكم القانون أو بالإكراه²⁹⁵ وقد كانت دولة الأمة منذ ولذاتها مسلحة بواجب الرفاه، وبالأخص بالوظيفة التي سابق وان أشرنا لها والتي تتمثل في إعادة إنتاج قوة العمل القابلة للتكيف والمطاوعة، خلافاً لما سبق وأن أشرنا إليه بأن الدولة الرفاهية لم تتأسس على شكل الصدقة بل تأسست على نضال اقتصادي ورغبة العمال في تحسين مستوى العيش والرفاهية،

هذا التطور سوف يجعل من نموذج دولة الرفاه مرهون بتطور الدولة، فتطور الدولة في إطار نزعة الإنسانية والفلسفية في إعالة الفقراء بصرف النظر عن مساهمتهم في الاقتصاد، إلى أن هذا التوجه الاقتصادي خلق جدل في الأوساط الاقتصادية، والذي يتجلى في رفض مالتوس²⁹⁶،

²⁹⁵ علي، القادري. (2006)، ندوة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 4.
²⁹⁶ توماس روبرت مالتوس ولد 14 فبراير 1766 وتوفي 23 ديسمبر 1834 باحث سكاني واقتصادي سياسي إنجليزي. مالتوس مشهور بنظرياته المؤثرة حول التكاثر السكاني. في العصر الحديث يتم منادته توماس مالتوس رغم أنه في حياته استخدم اسمه الأوسط، روبرت.

ولد مالتوس من أسرة إنجليزية ميسورة الحال، كان والده مالك أراضٍ مثقف وصديق شخصي للفيلسوف دافيد هيوم ومن معارف جان جاك روسو. ولقد تلقى مالتوس تعليمه في البيت حتى دخوله كلية "جيسز كوليدج (Jesus Collge)"، كامبريدج عام 1784. حيث تخصص في علم الرياضيات لكنه درس أيضاً العديد من العلوم وقد حصل على الجوائز التقديرية في الإنجليزية، واللاتينية، واليونانية. وحصل على لقب الماستر. والمعروف أن مالتوس لم يكن أول من بحث في نظرية نمو السكان، فابن

لقانون إعالة الفقراء مثلاً وما واكبه، من تطور في شكل الدولة من دولة الأمة إلى الصعود الدولة الليبرالية من خلال نموذج الجديد لدولة والذي يتمثل في دولة مستقلة ، أي تحولت الدولة الى مؤسسة العنف المنظم الذي تستخدمه الطبقة الحاكمة للحفاظ على شروط حكمها، لكن مع حلول القرن العشرين وما واكبه من صراع بين التصور الليبرالي والتصور الاشتراكي سوفيتي وما واكبه من مطالبة بتوزيع المنافع الاجتماعية²⁹⁷ رغم الأزمة الاقتصادية التي اجتحت أوروبا من هذا سياق سوف يعلن وليام تمبل في كتابه المواطن ورجال الكنيسة مصطلح دولة الرفاهية في طرفي القرن العشرين حيث استقرت دولة الرفاه بين حدي التكافؤ القطبين: تكافؤ الظروف وتكافؤ الفرص .

وبهذا تكون الدولة الرفاه تأسست في سياق تقاسم رأس المال والعمل بمدى ما تبلغه الضرائب على رأس المال في إنقاص حصة الأرباح من خلال الموازنة بين رأس المال والعمل الذي سوف يشير إلى تطور دولة الرفاه على المستوى النظري بالإضافة إلى التحديد المفاهيم لدولة الرفاه مع التمييز بين الرعاية الاجتماعية والدولة الرفاه خلافاً لما تم الإشارة إليه من خلال تحليل مفهوم الدولة وتناقضاتها الاجتماعية والاقتصادية التي أفرزت الدولة الرفاه كإفراز موضوعي لتقاسم رأس المال بين الدولة المحتكرة لوسائل الإنتاج وبين العامل الذي يوفر قوة

خلدون بحث في ذلك منذ القرن الرابع عشر حيث تحدث عن الصلة الوطيدة بين عدد السكان ومستوى الحضارة لان عدد السكان عامل هام في تقسيم العمل وفي النمو . وهذا ما اعتقده جميع من جاء بعده من علماء الاجتماع ولكن فضل مالتوس هو في كونه وضع نظرية متكاملة في السكان وقد فرضها على علم الاقتصاد عندما اشار إلى وجود عامل يجب دراسته إلى جانب الإنتاج والتوزيع والتبادل، ذلك لأن العلاقة وطيدة بين تطور عدد السكان وتطور كمية الإنتاج، ويكون مالتوس بذلك قد أدخل من خلال ذلك عنصري الزمن والحركة في دراسة الفعاليات الاقتصادية في وقت كانت هذه الفعاليات ما تزال تدرس وتحلل على أسس سكنوية راکدة، وكان لدخول عامل السكان في صميم السياسة الاقتصادية أن تشكل علم خاص يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الاقتصاد وهو علم السكان . والجدير بالذكر أن آراء مالتوس عن الأزمة الرأسمالية لا تعارض آراءه حول السكان وما أعلنه عن حتمية النقص في المواد الغذائية بالنسبة لزيادة السكان . إذ يعتبر أن عدد السكان يزيد وفق متواليه هندسية بينما يزيد الإنتاج الزراعي وفق متواليه حسابية كما سيؤدي حتماً إلى نقص الغذاء والسكن . ومن مؤلفاته (بحث في مبدأ السكان) وصاغ فيه نظريته حول السكان والتي تارت ضجة كبيرة حيث ورد فيها أن الرجل الذي ليس له من يعيله والذي لا يستطيع أن يجد له عملاً في المجتمع سوف يجد أن ليس له نصيباً من الغذاء على أرضه فهو عضو زائد في وليمة الطبيعة حيث لا صحن له بين الصحون فإن الطبيعة تأمره بمغادرة الزمن .

²⁹⁷ علي، القادري. (2006)، ندوة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 5

العمل لإنتاج الثروة وبين السوق الذي يحدد رأس المال الاجتماعي الذي يتم توزيعه على شكل سياسيات اجتماعية .

الرفاه: من بناء المفهوم إلى الأجر

يمكن القول أن تحديد مفهوم دولة الرفاه، يتميز بنوع من الصعوبة في تحديد الدقيق للمفهوم نظراً، لاختلاف المفهوم من سياق إلى سياق ومن تجربة إلى تجربة أخرى، لان مفهوم دولة الرفاه كمفهوم²⁹⁸ مرتبط بسياق تاريخي معين هذا سياق خاضع لمعطى تراكم وقابل لتغير فالتجربة التي راكمتها أوروبا في تأسيس دولة رفاه، تختلف عن تجربة، التي راكمتها المجتمعات العربية، فحتى التجربة، التي راكمتها أوروبا نفسها باعتبارها الحاضنة لمفهوم دولة رفاه تختلف عن التجربة الاشتراكية

إن سياسية الرفاه الاجتماعي غالباً ما تمثلت في التدخل المباشر من قبل الدولة لتوفير الرعاية الاجتماعية وللمواطنين عن طريق زيادة دورها في تحسين مستوى الرفاه، هذه سياسة كانت عبارة عن مجموعة من البرامج التي تلتزم بها الدولة لتوفير الحد الأدنى من متطلبات الحياة لضمان مستوى العيش لائق للمواطنين وتشمل هذه السياسة البرامج والخدمات ادنها:

- توفير فرص العمل أو أن تضمن الدولة حد أدنى من الدخل في حالة البطالة
- توفير التعليم العام

298 التطور يعني الانتقال من مرحلة إلى أخرى، كما أنه يعني التعديل والإضافة، بغرض التحسين، كما أنه يعني النمو والتقدم، والتطوير أو التنمية مفهوم معقد وشامل يهدف إلى تحقيق تحسن في مقومات النشاط إلى درجة بلوغ المستوى الأفضل، والتطوير مصطلح اقتصادي واجتماعي يستوجب تحسين مستوى العيش للسكان مما يؤدي إلى الرفع في مؤشر التنمية البشرية، فهو مقدار ما يضاف إلى المجتمع من تحسينات وما يعود على المجتمع ويسهل حركة الحياة ويحقق الخير والرفاه لأفرد المجتمع دون تمييز، وينسم التطور بالآتي:

1. أن يتناسب مع طبيعة المجتمع ودينه وعاداته وتقاليده وأخلاقياته.
2. أن يكون مفيداً للمجتمع ومساهماً في التنمية.
3. أن يكون الوسيلة المستخدمة غير متناقضة مع الدين والأخلاق.
4. التطور يحدث في الآليات والأجهزة والمعدات والآلات ويحدث أيضاً علي مستوى البشر فكر وسلوك وممارسة.

شكل: عدد طلاب المدارس حسب القطاع 2017-2018



المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

- توفير الرعاية الصحية
- المساعدة في توفير السكن المناسب

من هذا المنطلق سوف نميز بين الرفاهية الاجتماعية ودولة الرفاه الاجتماعي أي رفاهية

الاجتماعية وذلك بغية تجاوز الاختلاف،

الرفاه الاجتماعي

المقصود بدولة الرعاية هي نسق منظم من الأجهزة الحكومية والأهلية²⁹⁹، التي تضم عدد من المحتضنين الذين يسعون إلى توظيف طاقات المجتمع وأفراده لتوفير الخدمات وبرامج تساعد الانسان على اشباع احتياجاتهم ومواجهة مشكلاته والوقاية منها وتنمية قدراته بهدف تحسين احوله الانية والمستقبلية في إطار قانوني وتشريعي على أساس من العدالة والتكافل الاجتماعي.

دولة الرفاه الاجتماعي

رغم ما يحمل هذا المصطلح من مرونة لان تارة يسمى دولة الرعاية وتارة آخر يسمى دولة الرفاه ولكن على رغم من ذلك فإننا سنعينا إلى جمع المضامين في سياق عام واعتبارنا دولة الرفاه، ما يقدمه الإنسان من خدمات وإعانات لاسيما للضعفاء والمقصيين وسكان الهوامش، ولهذا غالباً ما توصف الدولة التي تتوسع بتقديم الخدمات الاجتماعية غالى مواطنيها، بأنها دولة الرفاه³⁰⁰.

ينطبق هذا التوصيف على كثير من الدول المتقدمة التي تسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، والحد من الصور المأساوية في المجتمع، والتي تحاول أيضاً تحجيم الآثار السلبية التي يفرزها منطق السوق على حياة الناس، على اعتبار أن الرفاه يفرض نوعاً من المساواة الإنسانية تقتزن بمبدأ العضوية الكاملة في المجتمع، والتي تنطوي على حقوق وواجبات³⁰¹، لدى تعمل الدولة على تحقيق الرفاهية الاجتماعية، لمواطنيها انطلاقاً من توفير الاحتياجات

²⁹⁹ جون، كينيث جالبريت. (1978)، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، عالم المعرفة- الكويت، ص 227-

237

³⁰⁰ سلام، عبد علي العبادي. (2011) «السياسيات الاجتماعية في العراق، جدل الدولة الرفاه واقتصاد السوق»، العراق،

مجلة كلية الآداب، ص 7

³⁰¹ T. H. Marshall. (1950) Citizenship and Class, Cambridge at University Press, P, 8.

للمرضى والعجزة والشيوخ وفقدان العمل وتقديم المعونة والدعم في مجالات التعليم والرعاية الصحية والإسكان ومساندة الدخل والبطالة والتقاعد .

ويظهر نموذج الرفاه في دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال توفير التعليم³⁰² للجميع وذلك من خلال تبني وزارة التربية والتعليم لإستراتيجيتين ما بين 2014 و2017 ثم ما بين 2017 و2021 وتروم الإستراتيجية الأولى إلى تحسين مستويات تعلم الطلبة وإتقانهم لمهاراتهم بهدف إنشاء مجتمع المعرفة وفق مناهج مطورة عالية الجودة، ثم تحسين كفاءة الهيئات القيادية والتعليمية المدرسية وتعميم التعليم للجميع وضمان إكمال جميع الطلبة للتعليم بما في ذلك التعليم ما قبل المدرسي مع توفير بيئة مدرسية آمنة وداعمة ومحفزة توفير خدمات تعليمية متكافئة وبعادلة للجميع ضمان جودة الأداء التعليمي والتربوي في المدارس الحكومية والخاصة تفعيل الشراكات المجتمعية في العملية التربوية والتعليمية. وتعزيز الهوية الوطنية وتنمية روح المواطنة³⁰³.

أما إستراتيجية 2017 / 2021 فإنها سعت من خلالها الوزارة إلى ضمان تعليم نوعي متكافئ للجميع بما في ذلك التعليم ما قبل المدرسة، تحقيق كفاءة متميزة للهيئات القيادية والتعليمية. ضمان جودة وكفاءة وحوكمة لأداء التعليمي والمؤسسي. ضمان بيئات تعليمية آمنة وداعمة ومحفزة للتعلم إستقطاب الطلبة وتأهيلهم للالتحاق بمؤسسات التعليم العالي داخل الدولة وخارجها بما يتناسب مع احتياجات سوق العمل وتطوير البحث العلمي والابتكار وفق

³⁰² من أقوال القيادة: "يجب التزود بالعلوم الحديثة والمعارف الواسعة، والإقبال عليها بروح عالية ورغبة صادقة في طرق كافة مجالات العمل، حتى تتمكن دولة الإمارات خال الألفية الثالثة من تحقيق نقلة حضارية واسعة" أنظر: وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة، منظومة التعليم الإماراتية، ص 2.

³⁰³ وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة، منظومة التعليم الإماراتية، 3 سنوات من الانجاز (2015 / 2017) ص 17.

معايير تنافسية عالمية ثم ترسيخ ثقافة الابتكار في بيئة العمل المؤسسي وضمن تقديم كافة الخدمات الإدارية وفق معايير الجودة والكفاءة والشفافية³⁰⁴. وتعكس معطيات الجدول أسفله حجم الاهتمام بالتعليم.

جدول رقم: 6 عدد الطلبة الجدد والمستمرين في مؤسسات التعليم العالي حسب التخصص والجنسية والنوع الاجتماعي 2017-2018.

التخصص	ذكور	إناث	إجمالي
إدارة الأعمال	8.451	11.949	20.400
الهندسة	8.316	8.205	16.521
سنة تأسيسية	2.560	5.013	7.573
العلوم الإنسانية	1.067	6.297	7.364
نظم المعلومات	2.495	4.179	6.674
الإعلام والعلاقات العامة	2.119	4.446	6.565
الشريعة والقانون	3.684	2.857	6.541
العلوم الصحية والبيئية	281	3.826	4.197
التعليم	115	2.166	2.281
العلوم	99	937	1.036
فنون وتصميم	25	937	962
العلوم الطبية	125	653	778
الأغذية والزراعة	26	348	374
اللغات الأجنبية	62	251	313
أخرى وغير محددة	93	100	193
المجموع	29.518	52.164	81.682

المصدر: الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء 2018

³⁰⁴ وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة، منظومة التعليم الإماراتية، 3 سنوات من الانجاز (2015/2017) ص 17.

التخصص	ذكور	إناث	إجمالي
إدارة الاعمال	7.000	7.938	14.938
الهندسة	8.074	4.500	12.574
العلوم الصحية والبيئية	757	4.338	5.095
العلوم الطبية	1.431	2.667	4.098
العلوم الانسانية	713	2.522	3.235
الإعلام والعلاقات العامة	1.128	1.979	3.107
الشريعة والقانون	1.425	1.384	2.809
نظم المعلومات	1.744	976	2.720
التعليم	495	2.109	2.604
فنون وتصميم	340	1.422	1.762
العلوم	248	548	796
سنة تأسيسية	334	311	645
أخرى وغير محددة	217	236	453
اللغات الاجنبية	37	244	281
الأغذية والزراعة	17	45	62
المجموع	24.898	30.281	55.179

إذا فدولة الرفاه هي دولة الإعانات ولكن غالباً ما يصاحبها حركة إصلاح الديمقراطية اجتماعية، وتستعمل الأمم المتحدة في هذا الصدد مفهوم (دولة الرعاية الاجتماعية) أو (دولة الرفاه) أو (الدولة الحامية) ووفقاً لمعجم اللغة العربية في القاهرة فإن دولة الرفاهية هي دولة هدفها رفع مستوى مواطنيها وتوفير أسباب الرفاه الاجتماعي.

الدولة واقتصاد السوق

قد يبدو الحديث عن دولة الرفاه بمثابة تلك الجنة التي يسهل تحقيقها، فجميع الدول تسعى لتحقيق رفاه لمواطنيها إلى أن الاختلاف حول إستراتيجية تطبيق رفاه الاجتماعي، يطرح عدة إشكالات متداخلة ومعقدة، خلافاً لما تم تقديمه حول تعريف الدولة، التي غالباً ما يتم ترجمتها إلى الحديث عن البرامج الاجتماعية: هناك نقطة مهمة والتي تضاف إلى مفهوم دولة الرفاه الاجتماعي هو مفهوم السوق، وسوف نشير إلى العلاقة بين الدولة والبرامج الاجتماعية والسوق في النموذج التي تدور عليه الورقة هو النموذج الإماراتي.

غالباً ما يتم تعريف السوق على المستوى التاريخي على أنه مؤسسة لتبادل سلع الاقتصاديات ، تلك السلع التي تحدد قيمتها انطلاقاً من التفاوض حول البضاعة، الاقتصادية أو انطلاقاً من المدة التي تما إنتاج فيها البضاعة، إلى أن جدل السوق الذي شغل منظري الاقتصاد السياسي من دافيد ريكاردو إلى آدم سميث وكال ماركس إلى الاقتصاد النيو لبرالي الحالي، إتمام لما قيل في ما سبق هو إن بمجرد سقوط الاتحاد السوفيتي صار النمط السائد هو نمط الرأسمالي ، أو ما يسمى اقتصاد السوق، السوق الحر أو اقتصاد السوق الحر³⁰⁵.

فالسوق بوصفه مفهوم وآلية موجودة في جميع الاقتصاديات لكن أدواره وخصائصه تتباين طبقاً لتباين النظام الاقتصادي والاجتماعي السائد ، فهناك السوق الحر كما هو سائد في الولايات المتحدة الأمريكية وهناك السوق الموجه والذي تقوم الدولة فيه بدور فاعل في مجال سياسات الأجور والدعم والخدمات الحكومية³⁰⁶.

الجدول رقم 7 : تحدي إيجاد فرص العمل : توقعات عدد الوظائف المطلوبة

المجموع (18 دول عربية فقط)	دول ذات اقتصاد يعتمد على الصادرات (4 دول)	دول النفط (6 دول)	دول ذات اقتصاد مختلط مع النفط (دولتان)	دول ذات اقتصاد متنوع (6 دول)	
100.3	22.8	13.7	15.5	48.3	القوى العاملة في 2005 بالمليون
12.97	18.68	4.53	15.61	11.82	نسبة البطالة في 2005
87.29	18.54	13.08	13.08	42.59	عدد الوظائف 2005 بالمليون
15.03	2.85	3.37	2.26	6.55	عدد الوظائف الجديدة في 2010 بالمليون
32.98	6.17	7.73	4.92	14.16	عدد الوظائف الجديدة في 2015 بالمليون

³⁰⁵ العبادي، سلام عبد علي مهوس. (2011) السياسة الاجتماعية في العراق جدل دوله الرفاه واقتصاد السوق، مجلة الآداب، بغداد العراق، ص9.

³⁰⁶ العبادي، سلام عبد علي مهوس، السياسة الاجتماعية في العراق جدل دوله الرفاه واقتصاد السوق، مرجع سبق ذكره، ص 9.

50.91	9.49	12.08	7.56	21.78	عدد الوظائف الجديدة في 2020 بالمليون
-------	------	-------	------	-------	---

المصدر : جامعة العربية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، بالإنجليزية.2008

عموماً اقتصاد السوق غالباً ما يتم ربطه بما يسمى الاقتصاد الرأسمالي، لأنه يستند إلى الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج والمبادرة الفردية³⁰⁷، ويخضع لتفاعل العرض والطلب داخل السوق وهذا يعني أن اقتصاد السوق هو اقتصاد العرض والطلب والمنافسة في الأسعار من دون قيد باستثناء ما تفرضه المنافسة الحرة غير الاحتكارية ويعتمد هذا النظام بشكل أساسي على الملكية الخاصة للأفراد والمؤسسات ومع ذلك فإن اقتصاد السوق لا يعني بأي شكل من الأشكال غياب القطاع العام ودور الدولة في تنظيم الحياة الاقتصادية³⁰⁸ إذاً اقتصاد السوق يقوم على المبادئ التالية³⁰⁹:

العرض والطلب

أي أن عملية الإنتاج تحكمها قوى السوق ويحددها المستهلك والقطاعات والمنتجات والوسطاء أي كل ما ازداد طالب على النفط كل ما ازدادت الخدمات الاجتماعية، في حالة كانت لدى الدولة رؤية لتحسين مستوى عيش مواطنيها، ولكن قد يقود إلى التضخم لدى العمل على التأقلم والمرونة مع تقلبات السوق بالإضافة إلى التنافس في المنتجات والجودة³¹⁰، عموماً فإن نظام السوق يعتمد على الخصخصة، وعدم التدخل الدولة إلى أن تدخل الدولة يختلف فعلياً على

³⁰⁷ العبادي، سلام عبد علي مهوس، السياسة الاجتماعية في العراق جدول دوله الرفاه واقتصاد السوق، مرجع سبق ذكره، ص 9.

³⁰⁸ العبادي، سلام عبد علي مهوس، السياسة الاجتماعية في العراق جدول دوله الرفاه واقتصاد السوق، مرجع سبق ذكره، ص 9.

³⁰⁹ العبادي، سلام عبد علي مهوس، السياسة الاجتماعية في العراق جدول دوله الرفاه واقتصاد السوق، مرجع سبق ذكره، ص 9.

العبادي، سلام عبد علي مهوس، السياسة الاجتماعية في العراق جدول دوله الرفاه واقتصاد السوق، مرجع سبق ذكره، ص³¹⁰ 9.

مستويات فالدول النفطية مثلا تترجم عائدات النفط على شكل سياسيات اجتماعية او ترجمة ريع الأسواق الى خدمات اجتماعية وهنا تتجلى علاقة الدولة بالسوق والرفاهية .

أنماط دولة الرفاه الاجتماعي
دولة الرفاه الاجتماعي الليبرالية

يؤدي فيها السوق دورا أساسيا في توفير الخدمات الاجتماعية، بينما تتكفل الدولة عبر سياسيات استهدافية بالاستجابة للحاجات الدنيا للفئات التي لا تستطيع الولوج لهذا السوق، ويطلق على هذا النوع كذلك دولة الحد الأدنى الاجتماعي ويسود هذا النظام في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا³¹¹

دولة نظام رفاه الاجتماعي محافظ

ترتبط فيها الاستفادة من الخدمات الاجتماعية باختلاف الطبقة والوضع المهني لذا تختلف الحقوق الممنوحة باختلاف الوضع المهني وتتأني الاستفادة من هذا النظام من طريق الشغل الذي يتم في إطار تعاون أرباب العمل والعمال تمويل نظام الرفاه الاجتماعي ويسود هذا النموذج في ألمانيا فرنسا وباقي الدول الغربية³¹²

ج. دولة نظام رفاه الديمقراطية الاجتماعية الشمولي

يقوم على أساس نزع صفة التسليع كليا عن الحقوق الاجتماعية التي تعتبر مضمونة بالنسبة إلى جميع المواطنين والتي تتحمل الدولة تكاليفها ويتم تمويلها من النظام الضريبي الوطني وتعد الدول الاسكندنافية نموذجا لهذا النوع من نظام الرفاه الاجتماعي³¹³

رشيد، بن بيه. (2018) «تصنيف نمط الرفاه الاجتماعي المغربي باعتماد منظور النوع الاجتماعي» إضافات، العدد40، ص³¹¹4

³¹² رشيد بن بيه، مرجع سابق، ص4

³¹³ رشيد بن بيه، مرجع سابق نفسه ص4

إن كانت الدول النفطية والتي تتجلى في دول مجلس التعاون الخليجي تبنت سياسة الاقتصاد الحر والعائدات النفطية واليد العاملة الأجنبية ، انطلاقا من هذه العائدات يتم التوزيع عائدات نطف او ترجمته على مستوى الخدمات الاجتماعية الصحة والتعليم والسكن فان هذا يجعلنا نأخذ مسارين: المسار الأول هو محاولة الدمج بين رفاهية الاجتماعية ورعاية الاجتماعية لتجاوز التميز الذي وضع حافظ زيد لكن هذا التجاوز لا يلغي تحليل حافظ زيد يل يتم إدراجه في إطار تحليل دولة الرفاه الاجتماعي لكن أي تعريف يواكبه التصنيف حول النمط المعتمد في دول الرفاه الاجتماعي :

الرفاه الاجتماعي في سياق العربي: المفهوم والاستراتيجيات
من الإشكالات الصعبة هي كيفية تنزيل المفهوم في سياق آخر غير السياق الذي تم إنتاجه في دولة الرفاه كمفهوم لم يتبلور في سياق المجتمعات العربية بل ولد وتبلور في سياق المجتمعات الغربية في القرن العشرين³¹⁴.

ورغم وجود اختلاف في سياق ولادة المفهوم ويرجع ذلك، إلى اختلاف النماذج وسياقات مثل السويد والنرويج ونيوزيلندا شهدت نمو مستمر للخدمات الاجتماعية في أوروبا الغربية وكندا وأستراليا باعتبار الخدمات الاجتماعية في أوروبا الغربية وكندا وأستراليا تعتبر الخدمات الاجتماعية في صلب دولة الرفاه الاجتماعية³¹⁵.

وفي الولايات المتحدة والتي توصف أحيانا بالدولة الرفاهية المترددة نظرا لتوجه الليبرالي الذي يسعى إلى نقص من الخدمات الاجتماعي، وأبرزها الجدال الدائر حول الضمان

³¹⁴ يونس، الفاروق زكي. (1990)، «الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي» الإمارات شؤون اجتماعي، ص 5 .
³¹⁵ يونس، الفاروق زكي. (1990)، «الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي» الإمارات شؤون اجتماعي، ص 5 .

الاجتماعي إلى أن مفهوم الرفاه الاجتماعي كما أشار إليه ريتشاد تموسي هي أن الدولة الرفاهية هي دولة غربية ديمقراطية حديثة تستخدم قوة الدولة بشكل مخطط لتعديل الأداء الحر للقوى الاقتصادية والسياسية من أجل إعادة التوزيع الداخل، وتحرص هذه الدولة على ضمان حكومي المستوى معين من الداخل الرعاية الطبية التعليم الإسكان الخدمات الاجتماعية الشخصية والتي تعتبر مصلحة المواطن ولذلك يطلق عليها دولة الرعاية التوزيعية من خلال إعادة التوزيع العادل للثروة³¹⁶.

أو يمكن القول أن الدولة تقوم بإعادة التوزيع الرأسمال بشكل عادل بدل احتكاره من فئة معين لان في دولة الرفاه الاجتماعية قائم على تعاقد اجتماعي كما أشرنا سابقا وليس على توزيع الرأس المال كخير أو إحسان كما هو في التمييز الذي أقامه حافظ جابر القائم على المستوى الاقتصادي لان المستوى الاقتصادي في الدول المتقدمة يختلف عن مستوى التقدم في المجتمع النامية مما يجعل من مستوى الرفاهية الاجتماعية يختلف من مجتمع إلى آخر³¹⁷.

رغم اختلاف التحليلات النظرية لمفهوم دولة الرعاية فإنها تتفق حول مسؤولية الدولة نحو رعاية المواطن من خلال الشبكة من البرامج والخدمات والمؤسسات، التي تساعد في إشباع حاجته وحل مشكلاته من البرامج والخدمات والمؤسسات التي تساعده في إشباع حاجاته³¹⁸.

وهذا يجعلنا نقول إن سياق ولادة دولة الرفاه الاجتماعية في سياق اكتشاف النفط في دول الخليج والتي تم ترجمة عائدات النفط إلى برامج اجتماعية إلى أن المهم والأساسي هو

³¹⁶ يونس، الفاروق زكي. (1990) «الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي» الإمارات شؤون اجتماعي، ص 5 .
³¹⁷ يونس، الفاروق زكي. (1990)، «الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي» الإمارات شؤون اجتماعي، ص 5 .
³¹⁸ يونس، الفاروق زكي. (1990) «الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي» الإمارات شؤون اجتماعي، ص 5 .

المعايير الذي يتم اعتماده في تحديد نمط الرفاه الاجتماعي والذي سوف نعتمده في تحديد نمط دولة الرفاه الاجتماعية المتوفرة في الإمارات العربية المتحدة .

أغلبية الدراسات اعتمدت نموذج أندرسون الذي يركز على جودة الخدمات، بعد النوع الاجتماعي، تحليل القطاع غير المنظم، وإدراج المؤسسات الأمان الاجتماعي التقليدية، أثر شبكة المحسوبة هذا النموذج تم تطبيقه في دراسة رشيد بن بيه تصنيف نمط الرفاه الاجتماعي المغربي باعتماد منظور النوع الاجتماعي، ودراسة عز الدين محب في سياق الندوة التي اعتمد فيها مقارنة اسبينغ اندرسون في إدراج مصر مثلاً في صنف من أصناف الرفاهية الاجتماعية لدى سوف ندرج دولة الإمارات في هذا التصنيف مع إدخال بعض التعديلات لملائمة لسياق تحليل³¹⁹:

الدولة الرفاه الاجتماعي الإمارات نموذجاً

ويرجع الحديث عن دولة الرفاه الاجتماعي في سياق العربي، إلى عدة اعتبارات أهمها هو أن بداية الحديث عن دولة الرفاه الاجتماعي، لم يكن إلا في سياق السبعينات وثالثمانينات لأن أغلب الدول العربية، كانت تعيش تحت وطأة الاستعمار، حيث يعد الاستعمار وبداية الاستقلال كمدخل لطرح سؤال أو نقاش التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، مركز اهتمام دول العالم الثالث كدول حديثة الاستقلال³²⁰.

إلا إن النهوض الاقتصادي اختلاف بين الدول ويتجلى هذا الاختلاف في الطبيعة السياسة، التي انتهجتها لتحقيق الرفاه الاجتماعي، لمواطنيها من خلال الدمج بين التصور النظري لدولة

³¹⁹ رشيد، بن بيه. (2018) «تصنيف نمط الرفاه الاجتماعي المغربي باعتماد منظور النوع الاجتماعي» إضافات، العدد40، ص 4
³²⁰ يونس، الفاروق زكي. (1990) «الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي» الإمارات شؤون اجتماعي، ص 6.

الرفاه والممارسات الواقعية، من خلال البرامج والخدمات الاجتماعية، التي انتهجتها الدول العربية في تحسين وضعية مواطنيها خلاف لما سبق، لما تمت الإشارة إليه لا على المستوى النظري لدولة الرفاه، في شكل الدراسات السابقة حول نمط سائد من الرفاهية الاجتماعي في المجتمعات العربية إلا أننا ارتأينا في هذا الفصل تخصيصه لدولة الرفاه الاجتماعي بدولة الإمارات كنموذج تحليلي³²¹.

اعتمادا على حالة دول الرفاه الاجتماعي في دولة الإمارات يرجع إلى الحالة الاقتصادية التي تعيشها، فمعظم الدول العربية في السياق الحالي بين دول خرجت للتو من حالة الفشل إلى محاولة إعادة البناء والهيكلة كنموذج تونس، العراق، مصر وبين دول فاشلة كليا مثل سوريا وليبيا وبين دول أخرى حولت رسم مسار معيار لتحسين وضعية مواطنيها إلا ان هناك اختلاف بين دول كدول مجلس التعاون الخليجي كالسعودية، قطر، الكويت، عمان، الأردن، الإمارات إلا أن هذه الأخيرة هي مركز اهتمام هذه الورقة البحثية³²².

يرجع انطلاق دولة الإمارات إلى عدة خصائص رئيسة تجعلها مختلف عن باقي الاقتصاديات الأخرى أو الاقتصاديات النامية، لدول العالم الثالث، فالإقتصاد الإماراتي كدولة تنتمي إلى الاقتصاد الصاعد اعتمدت على نظام الاقتصاد الحر ثم الاعتماد على النفط³²³ من أجل تنمية القطاعات الأخرى وبالأخص الخدمات الاجتماعية والبنية التحتية والاعتماد على القوى العاملة الوافدة وضيق السوق المحلي³²⁴، انطلاقا من هذا السياق سوف نتطرق، إلى الدراسات السابقة

³²¹ يونس، الفاروق زكي. (1990) «الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي» الإمارات شؤون اجتماعي، ص 6.

³²² يونس، الفاروق زكي. (1990)، الرفاهية وبناء الإنسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي، الإمارات شؤون اجتماعي، ص 7.

³²³ تصنف الإمارات إلى دول النفطية، وفق لتصنيف الذي أقام به حافظ زياد، في مداخلته التي نضمها مركز دراسات الوحدة العربية، بعنوان أوضاع الأقطار النفطية وغير النفطية في تحقيق رفاهية الاجتماعية.

³²⁴ محمد، سعد عميرة. (2008) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 1.

التي اهتمت بإشكالية الرفاه الاجتماعي بدولة الإمارات ثم إلى الخلفية التاريخية التي تأسست عليها دولة الإمارات مع الحديث عن التطور التاريخي لدولة الرفاه وربطه بسياق السوق والدولة في علاقته بالسياسات الاجتماعية الموجه للمواطنين سواء المقيمين بدولة الإمارات أو المواطنين الذين ينتمون إلى جنسيات أخرى.

الخلفية التاريخية لدولة الرفاه الامارات 1971

شكل اكتشاف نفط في الإمارات نقطة مهمة في التغير وضعية الإمارات لا على المستوى الاقتصادي (الاقتصاد الحر) وسياسي (التوجه الليبرالي) والاجتماعي (الخدمات الاجتماعية)، فمع اكتشاف النفط 1956 / 1971 تبنت الإمارات إستراتيجية الاقتصاد الحر الذي يعتمد على نظام السوق الخاضع لقوى الطلب والعرض، تم تركيز على فلسفة السوق الاقتصادية التي تركز على مواكبة الأسعار والاستثمار والتجارة في جميع المجالات مع إعطاء الريادة للقطاع الخاص مع عدم التدخل الدولة³²⁵

هذا التوجه الذي يعكس ترجمة الإمارات لي فلسفة السوق على مستوى الواقع من خلال جعل دولة تعمل على رسم سياسات اقتصادية على مستوى الكل، لكن هذا لا يجعل الدولة في موقع المشاهدة بالعكس فالدولة هي التي تنظم المجتمع والسوق كما هو معمول به في اليابان، كوريا الجنوبية، تايوان، سنغافورة، هونغ كونغ، الصين، ولذلك القول باقتصاد السوق هو طرح النظري فقط وايدولوجي³²⁶،

³²⁵ محمد، سعد عميرة. (2008) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 2.
³²⁶ عبد السلام، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مجلة شؤون اجتماعية/العدد 134، ص 228.

لان اقتصاد السوق الاجتماعي يعني اصطلاحاً الدولة الجاد والفعالة لمراعاة السلم الاجتماعي هذا السلم الذي يحرك الاقتصاد وتزداد معه الرفاهية الاجتماعية³²⁷ لهذا تبنت دولة الإمارات نظام الاقتصاد الحر مقارنة بالأنظمة الاقتصادية الأخرى التي اتبعت في الدول الاشتراكية من خلال انهيار الأنظمة الاشتراكية في روسيا الشرقية وتبنيها لنظم الاقتصاد الحر بدل من أنظمتها الاقتصادية السابقة .

في إطار هذا السياق تبنت الإمارات فلسفة الاقتصاد الحر الذي يركز على السوق في إطار التوجه الليبرالي الجديد دون أن ننسى انه تأسيس على نظام الرعاية الاجتماعية في الاتحاد السوفيتي لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وسعى إلى تلازم مبرمج بين تطوير الصناعة والاقتصاد عبر تطوير التكنولوجيا الإنتاجية من خلال التطوير الخدمات الاجتماعية والرعاية الاجتماعية³²⁸ عن طريق إعادة توزيع الرأس المال، وهذا ما عملت عليه الإمارات بترجمة عائدات النفط كدعامة أساسية في بناء مجتمع أي التركيز على الربح النفطي والذي يتم ترجمته، إلى تنفيذ المشاريع الإنمائية والإنتاجية والخدماتية ومشاريع البنية التحتية الطرق الموانئ والمطارات والاتصالات والمستشفيات المدارس³²⁹.

أضف إلى ذلك، الإنفاق الجاري على رواتب والأجور والمشتريات من السوق المحلي وتقديم الدعامات والتحويلات بدون مقابل في مختلف المجالات وبالتالي تفعيل سياسة القطاع الخاص في جميع الميادين الاقتصادية³³⁰

³²⁷³²⁷ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مجلة شؤون اجتماعية/العدد 134، ص 228.
³²⁸ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مجلة شؤون اجتماعية/العدد 134، ص 228.
³²⁹ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مجلة شؤون اجتماعية/العدد 134، ص 228.
³³⁰ محمد، سعد عميرة. (2008) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 2 .

جدول 4-2 : الاستعداد لتبني تطبيقات الحكومة الإلكترونية في الدول العربية

الدولة	2005 مؤشر العام	مؤشر العام 2008	الترتيب عام 2005	الترتيب عام 2008	الفرق بين العامين 2005 و 2008
الإمارات	0.572	0.630	40	32	10
البحرين	0.528	0.572	53	42	11
الأردن	0.464	0.548	68	50	18
قطر	0.490	0.531	62	53	9
الكويت	0.443	0.520	75	57	18
السعودية	0.411	0.494	80	70	10
لبنان	0.456	0.484	71	74	3-
مصر	0.379	0.477	99	79	20
عمان	0.341	0.469	112	84	28
سورية	0.287	0.361	121	119	13
ليبيا	..	0.355	..	120	..
الجزائر	0.324	0.352	123	121	2-
تونس	0.331	0.346	121	124	3-
المغرب	0.277	0.294	138	140	2-
العراق	0.333	0.269	118	151	33-
جيبوتي	0.238	0.228	149	157	8-
السودان	0.237	0.219	150	161	11-
اليمن	0.213	0.214	154	146	-10
موريتانيا	0.172	0.203	164	168	-4
جزر القمر	0.197	0.190	155	170	-15
العالم	0.427	0.451

المصدر: الامم المتحدة، 2008

هذا الجدول يقدم مؤشر يقيس مدى استعداد الدول العربية لتبني تطبيقات الحكومة الإلكترونية في العامين 2005 و 2008. ويوضح كذلك أن خمس دول من مجلس التعاون؛ وهي الإمارات و البحرين و قطر و الكويت و السعودية، تتصدر الدول العربية في استعدادها لتبني تطبيقات الحكومة الإلكترونية، كما تحتل الأردن و لبنان مراكز متقدمة في هذا المضمار .

و قد اقتصر حوسبة التطبيقات الحكومية خلال العقد الماضي على الجدولة واستخدام الحاسوب كآلة تابعة تحلى بمزايا متفوقة لاستخراج الوثائق و إعداد الجداول الإحصائية وتخزينها. وقد ظهرت خدمات الحكومة الإلكترونية في العالم مع بدء انتشار الانترنت، وهي ترمي عموماً إلى غايتين: تسير شؤون المواطنين ، وتحسين كفاءة .

و على الرغم من أهمية البني الأساسية للاتصالات والمعلومات، إلا أن العوامل ذات الطابع المعرفي و السلوكي، كمهارات المستخدمين و الإرادة السياسية و التزام الأطر القيادية في الإدارات المعنية، هي اكبر اثر على مبادرات الحكومة من العوامل التقنية³³¹.

ويمكن القول أن اكتشاف النفط تمت ترجمته، إلى خدمات اجتماعية أي تحويل عائدات النفط إلى مشاريع اقتصادية واجتماعية وهذا من خلال تأسيس وزارة الشؤون الاجتماعية في عام 1971 والتي أدمجت معها وزارة العمل لتصبح وزارة العمل بشؤون الاجتماعية هذه الوزارة التي تأسست لترجمة العائدات المالية على مستوى الخدمات الاجتماعية و العمل على التنمية الشباب ومساعدة أصحاب الهمم ووضع الخطط والبرامج والمشروعات اللازمة لمواجهة المشكلات الاجتماعية المختلفة والتنمية المجتمعات المحلية لتوفير الخدمات الاجتماعية للمجتمع والأسرة³³².

هذه الترجمة، كانت بمثابة بداية لتأسيس دولة الرفاه الاجتماعي بدولة الإمارات من خلال الاعتماد على عائدات النفط لتنمية البنية التحتية والخدمات في الفترة التي عرفت ازدهار النفط (1975/ 1984) والتي واكبها ارتفاع الناتج الإجمالي المحلي من 39.6 مليار درهم في عام 1975 إلى 101.9 مليار درهم عام 1985 لمعدل سنوي مقداره 15.7³³³ خلال هذه الفترة وهي المرحلة التي تضمنت فترة تأسيس الدولة ومتطلباتها الإنمائية والاقتصادية والاجتماعية أي

³³¹ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مجلة شؤون اجتماعية/العدد 134، ص 228.

³³² عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مجلة شؤون اجتماعية/العدد 134، ص 233.

³³³ محمد، سعد عميرة. (2008) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 2 .

بداية تأسيس دولة رفاة الاجتماعي كما اشرنا سابقا إلى أن طبع الرفاهية الاجتماعية التي تأسس في الإمارات يتميز بنوع من المرونة³³⁴.

ونظرا لكونه رفاهية خاضعة لقانون العرض والطلب لأنها تعتمد على إيرادات النفط وعلى طلب الأسواق العالمية وتقلبات الأسعار مما يؤدي إلى تدفق الإيرادات لينعكس ذلك سلبا على الإنفاق الحكومي والكلي بالإضافة إن اليد العاملة في الإمارات هي يد عاملة أجنبية لتنفيذ المشاريع الإنمائية والإنتاجية والخدماتية وذلك بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعي وهذا ينعكس بالسلب على اليد العاملة المحلية بالإضافة إلى الضرورة إدماج اليد العاملة الأجنبية في البرامج الاجتماعية لأنه هي المنتج للنفط باعتباره رأس مال والذي يتم ترجمته على الوقع في شكل خدمات اجتماعية³³⁵، لكن هذه سياسة سوف التغير من سنة 1985 إلى 2000 كنقطة نوعية في الاقتصاد الإماراتي من خلال تراجع في العائدات النفطية من 43.8 في المائة إلى 33.9 في المائة عام 2000 الأمر الذي يعكس تنامي مساهمة القطاعات غير النفطية نتيجة، لتبني إستراتيجية تنويع مصادر الدخل في محاولة لتقليل من الاعتماد على النفط هذه النقطة المهمة في الاقتصاد الإماراتي والتي ترجمتها في الرؤية المستقبلية 2012/2021 والتي اتجهت إلى التوجه اجتماعي بالأساس من خلال التركيز على البناء العلمي للمواطن الإماراتي، في إطار التكوين يد عاملة محلية متطورة بالإضافة إلى التركيز على الزواج بين الإماراتين لرفع من المستوى الديمغرافي ولتجاوز استقطاب اليد العاملة الأجنبية وتمكن المرأة في المشاركة في جميع المجالات³³⁶.

³³⁴ محمد، سعد عميرة. (2008) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 2.

³³⁵ محمد، سعد عميرة. (2008) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 3.

³³⁶ محمد، سعد عميرة. (2008) «اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية» مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص 3.

دولة رفاهية بالإمارات: من بناء المفاهيم إلى اجراءات الاهتمام بالمواطن الرعاية الاجتماعية

يقصد بالرعاية الاجتماعية في سياق دولة الإمارات هي نسق المنظم من الأجهزة الحكومية والأهلية، التي تسعى إلى توظيف العائدات المالية في تقديم رعاية اجتماعية للمواطنين الإماراتيين انطلاقاً من تقديم برامج للدعم الاجتماعي والتكافل العائلي في إطار قانوني وذلك لضمان العدالة الاجتماعية³³⁷.

التنمية الإنسانية:

وهي العملية التي يتم توسيع بها خيارات البشر وبناء القدرات البشرية التي توصل الى مستوى راق من الرفاهية الإنسانية والتوظيف الكفاء للقدرات البشرية في جميع مجالات النشاط الإنساني³³⁸

السياسة الاجتماعية:

السياسة الاجتماعية: السياسية بمفهومها المحض تعني تبني اتجاه للعمل من بين عدة اتجاهات ولهذا فهي تستند بصورة طبيعية إلى افتراضات أو حقائق وأهداف للوصول إلى غرض أو أغراض معينة أما السياسية الاجتماعية فتعني مجموعة المبادئ والقرارات التي تتوصل لها الحكومة والتنظيمات والجماعات والقوى السياسية والمهنية والاجتماعية في المجتمع والتي يتحدد بمقتضاها الغايات والأساليب من أجل تلبية الحاجات النهائية للسكان المجتمع³³⁹.

وعليه، فالسياسة الاجتماعية ليست عملية ارتجالية وإنما هي عملية مخطط لها تهدف إلى إحداث تغير مقصود إيجابي تصاغ وفقه محددات اقتصادية واجتماعية وحاجته نابعة من

³³⁷ عثمان، سراج الدين فتح الرحمن. (2013)، الرعاية الاجتماعية مسؤولية دولة ومجتمع، مكتبة الجامعة، الشارقة، ص

³³⁸ عثمان، سراج الدين فتح الرحمن. (2013)، الرعاية الاجتماعية مسؤولية دولة ومجتمع، مكتبة الجامعة، الشارقة، ص

³³⁹ عثمان، سراج الدين فتح الرحمن. (2013)، الرعاية الاجتماعية مسؤولية دولة ومجتمع، مكتبة الجامعة، الشارقة، ص

أيدولوجية ولأجل أن تكون السياسة ناجحة فأنها تعمل على ازدواجية شمولية واستهدافية وهذا حال الدولة الرفاه في الإمارات³⁴⁰.

طور دولة الرفاه في الإمارات العربية المتحدة:
لا شك أن هناك علاقة بين دولة الرفاه الاجتماعي وبرامج الرعاية الاجتماعية اعتماداً على المفهوم التنموي للرعاية الاجتماعية التي تعمل على تنمية المجتمع وبناء قدراته وقدرات أفرادها لتحسين مستوى العيش.

وبالنظر إلى البرامج، التي تبنتها دولة الإمارات لتحسين مستوى عيش مواطنيها وفق المفهوم التنموي للرعاية الاجتماعية³⁴¹ انطلاقاً من إنشاء مؤسسات لتقديم الخدمات الاجتماعية، وذلك من خلال الانتقال من المفهوم التقليدي الذي كان يقتصر على تقديم مساعدات عينية ومادية وعلاجية إلى فئة معينة.

أيضاً، لا بد من الأخذ بالأساليب الوقائية والتنموية إلى جانب الأسلوب العلاجي بعد أن انتقلت إلى تبني دولة الرفاه أو رعاية انطلاقاً من اعتبارات إنسانية واجتماعية واقتصادية ودينية، من خلال تقديم خدمات جديدة لحسين مستوى مواطنيها³⁴² وذلك من خلال تأسيس مؤسسات تعمل بهذه المهمة.

الرفاه الاجتماعي بالإمارات العربية ما بين 1971/ 1975:
شكل اكتشاف النفط في دولة الإمارات، نقطة انطلاق مهمة لتحقيق الرفاه الاجتماعي للمواطنين، لكن في هذه الفترة لم تكن السياسات الاجتماعية حتى في حالة وجودها لم تكن بالشكل

³⁴⁰ عثمان، سراج الدين فتح الرحمن. (2013)، الرعاية الاجتماعية مسؤولة دولة ومجتمع، مكتبة الجامعة، الشارقة، ص 8

عثمان، سراج الدين فتح الرحمن. (2013)، الرعاية الاجتماعية مسؤولة دولة ومجتمع، نفس المرجع السابق ذكره، ص 8³⁴¹.

³⁴² عبد السلام، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 232.

المتعارف عليه الحالي³⁴³، لان الاهتمام بمجال الرفاه الاجتماعي جاء من خلال استثمار عائدات نפט الأول 1971. 1975 في مجال إنشاء المؤسسات من هذا المنطلق أسست دولة الإمارات القوانين والتشريعات لتأسيس دولة الرفاه انطلاقاً من دستور 1977 والذي كلف كل من وزارة الشؤون الاجتماعية للقيام بهذه المهام³⁴⁴.

❖ توفير الخدمات الاجتماعية للأسرة وتشجيع الادخار العائلي وذلك لتحقيق تماسك الأسرة وترابطها وتوفير الاستقرار لها³⁴⁵.

❖ توفير الرعاية اللازمة لحماية الطفولة وحسن تنشئتها.

❖ وضع خطط والبرامج اللازمة لتنمية المجتمعات البدوية والارتفاع بمستواها الحضاري.

❖ تشجيع الصناعات البيئية والمنزلية للاستفادة من المهارات والخدمات الموجودة بالبيئة ولزيادة دخل الأسرة.

❖ التعاون مع الهيئات والأجهزة المختلفة التي تعمل في حقل الدفاع الاجتماعي وذلك عن طريق توفير الوسائل الوقائية لمنع الانحراف وتأهيل المنحرفين ووضع البرامج والتدابير اللازمة لمقاومة الإدمان على المخدرات والمسكرات وغير ذلك من الآفات الاجتماعية.

❖ تشجيع الدعم التطوع للخدمات الاجتماعية بما يتماشى مع احتياجات المجتمع وتقييم نتائجها وتنظيم المؤتمرات والحلقات الدارة الاجتماعية.

❖ وضع وتنفيذ برامج التدريب المهني للمعاقين بهدف ضمهم إلى المجتمع.

³⁴³ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 232.

عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 236

³⁴⁵ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 235.

❖ الإشراف على الهيئات والمؤسسات المحلية والأجنبية والدولية التي تقدم مساعدات مالية أو معنوية وتشتغل بالرعاية الاجتماعية وأعمال البر والإحسان داخل الدولة أو تشرف عليها واتخاذ ما يلزم نحو جهودها بهدف خدمة المجتمع³⁴⁶.

ويمكن القول إن في هذه المرحلة من الخدمات الاجتماعية التي سبقت عملية التنمية في الإمارات انطلاقا من سنة 1971 إلى سنة 1990 اهتمت بالجانب الأسري من خلال توفير الخدمات الاجتماعية³⁴⁷، للأسرة وتشجيع الادخار العائلي أو مراكمة الثروة وتشجيع المنتوجات المنزلية في محاولة لخلق اقتصاد عائلي قائم على إنتاج رأس المال مع الاهتمام برعاية الأطفال وذلك من اجل توفير الطاقة الشابة لتتغل مناصب في دولة الإمارات لأن معظم اليد العاملة هي يد عاملة أجنبية تم الاهتمام بالمعوقين وتجنيد الشباب من الانحراف بالإضافة، إلى تقديم مساعدات مالية القائم على البر والإحسان في هذا الصدد نقول: أن دولة الرفاه الاجتماعي بالإمارات استثمرت في رأس المال البشري كعنصر أساسي لبناء الاقتصاد الوطني، بالإضافة إلى تقديم مساعدات مالية للأسرة، أو إعادة توزيع الريع أو عائدات النفط على مواطنيها³⁴⁸.

وهذا الذي جعل الكثير من الباحثين يقرون بأن معظم الدول العربية هي دولة قائمة على إعادة توزيع الريع إلى إن الاختلاف الجوهرى بين سياق الأوربي وسياق العربي سياق الأوربي في مرحلة الثورة الصناعية وما بعدها لديها فنة شابة قوية قادرة على إنتاج الثروة هذه الثروة، التي تم إنتاجها والتي اتجهت نحو المراكمة والاحتكار في شكل فنة بورجوازية الصغيرة تحتكر

عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق نكره، ص 233.
³⁴⁷ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق نكره، ص 233.
³⁴⁸ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق نكره، ص 233.

رأس المال مما أدى إلى الصراع، الذي أدى إلى بداية التفكير في الخدمات الاجتماعية للطبقة العمالية³⁴⁹.

بينما تميز السياق العربي بكون لديه في تلك الفترة اليد العاملة لإنتاج الثروة بل اكتشاف الثروة في الأرض والتي تحتكرها فئة وتوزعها على شكل خدمات قائمة على المحسوبية في توزيع الخدمات والمساعدات الاجتماعية³⁵⁰.

لكن البعد الغائب في الخدمات الاجتماعية في المرحلة الأولى هو الاهتمام بالجانب العلمي لأن معظم الدراسات المحلية تركز على خبراء من الأجانب كما أشرنا سابقاً في القيم بدراسة محلية أو حتى في التسيير قطاع النفط بالإضافة إلى غياب المرأة في سياسة الاجتماعية في المرحلة الأولى يمكن إرجاع الأمر إلى كون المجتمع الإماراتي في بدايته مجتمع محافظ لهذا نرى أن معظم الخطوات التي ركز عليها وزارة الشؤون الاجتماعية هي خطوات محافظة من خلال إدماج المرأة في الأسرة بدون إعطاء المرأة الحق في أخذ المبادرة³⁵¹.

دولة الرفاه في الإمارات ما بين 1979 إلى 1990
المرحلة الثانية تجاوزات الإطار المؤسسي في رعاية الاجتماعية، الذي يركز على إدارة الضمان الاجتماعي الرعاية الاجتماعية إدارة التدريب والتخطيط الاجتماعي إدارة التعاون إدارة الشؤون المالية والإدارية والذي يركز على فكرة أساسية تنمية المجتمع وتطويره في

³⁴⁹ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 234.

³⁵⁰ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 234.

³⁵¹ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 233.

نطاق القيم الإسلامية والتقاليد العربية ورعاية الأسرة وحماية الطفولة وتوجيه الشباب المحتجين والدعم التعاونيات والجمعيات النفع العام³⁵²

لكن في حدود 5 سنوات سوف يتم تغيير هذه الإجراءات والتدابير التي تتكفل بها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية فأصبح قطاع الشؤون الاجتماعية دائرة عامة يرأسها مدير إدارة الضمان الاجتماعي ويتبعها قسم المساعدات الإنتاجية ثم إدارة التنمية والرعاية الاجتماعية يتبعها قسم التنمية الاجتماعية وقسم النشاط الأهلي وقسم الرعاية والتأهيل والذي تم تحديد أهدافه الأساسية في سنة 1990 العمل على³⁵³:

❖ تطوير المجتمع كنظام اجتماعي متكامل يستقي جذوره من القيم الإسلامية والتقاليد العربية الأصيلة.

❖ العمل على توفير الظروف الملائمة للنهوض بالوضع الاجتماعي للمرأة وتنميتها

❖ العمل على توفير التأمينات الاجتماعي بوضع التشريعات اللازمة والإشراف على تنفيذها والعمل على توفير الظروف الملائمة للنهوض بها

يمكن القول أن المرحلة 1991 شكلت قفزة جديد من خلال إدماج المرأة في مركز اهتمام السياسة الاجتماعية بمقاربة النوع الاجتماعي من خلال العمل على توفير الظروف الملائمة للنهوض بوضع المرأة وتنميتها بالإضافة إلى العمل على توفير تأمينات الاجتماعية يمكن القول

³⁵² عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 234

³⁵³ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 234.

أن هذه المرحلة عرفت نقلة نوعية في العمل بالإعانات الاجتماعية والضمان الاجتماعي أو يمكن القول بداية العمل ببرامج الرفاهية الاجتماعية³⁵⁴.

برامج الرفاهية الأساسية في الإمارات في الفترة 1985 / 2000
برنامج لإعانة الاجتماعية بدولة الإمارات:

في هذا السياق عملت الإمارات على نظام الإعانات المالية لتحقيق الرفاهية الاجتماعية انطلاقاً من الزيادة في حجم المساعدات المالية بمعدل 25 في المائة بحيث أصبحت المساعدات المالية على الشكل التالي³⁵⁵:

❖ 1000 درهم شهرياً لرب الأسرة

❖ 600 درهم للزوجة أو الفرد الثاني في الأسرة

❖ 300 درهم لكل فرد من أفراد الأسرة من الفرد الثالث في الأسرة وما يليه مع شرط

عدم تحديد عدد الأفراد³⁵⁶

يمكن القول أن هذه السياسة أي سياسة الإعانة الاجتماعي هو استمرار لسياسة الإعانات الاجتماعية انطلاقاً من توزيع عائدات النفط على المواطنين في شكل توزيع الربح الاجتماعي حيث يتم توزيع 1000 درهم شهرياً على الرجل و 600 على المرأة و 300 على الفرد هذا التوزيع القائم على المفاضلة والتميز وعدم المساواة في توزيع الربح بين الرجال والنساء لكن يمكن القول بأنها سياسة اجتماعية تستهدف رفاهية الإماراتي ودعم الإنجاب للرفع من المستوى

³⁵⁴ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 235.
³⁵⁵ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 238.
³⁵⁶ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 238.

الديمغرافي من خلال تخصيص 300 للأفراد اللذين يتم إنجابهم إلا أن هذه الإعانات لم تستمر لأنه سوف يتم إعادة برمجتها من جديد:

• برامج استهدافية للإعانات الاجتماعية³⁵⁷:

❖ دعم الأراامل: كل سيدة لا يتجاوز سنها ستين عام وتوفى زوجها ولم تتزوج وليس لها عائل مقتدر .

❖ المطلقات كل سيدة لا يتجاوز سنها ستين عاما وانقضت عدتها الشرعية ولم تتزوج وليس لها عائل مقتدر .

❖ ذوو العاهات كل ذي عاهة تعجزه كليا او جزئيا عن كسب عيشه أو عيش أسرته، التي يعولها ولم يتجاوز الستين عام وليس له عائل مقتدر .

❖ المسنون : كل من يتجاوز الستين عام من عمره وليس له عائل مقتدر .

❖ الأيتام كل من توفى والده أو كان مجهولا وتزوجت أمه كذلك مجهول الوالدين ممن لا تزيد سنهم عن ثمانية عشر عاما إلا إذا ثبت استمرارهم في التعليم وحتى إتمام تعليمهم وبشرط ألا يكون لهم عائل مقتدر .

❖ البنات الغير المتزوجات كل بنت يزيد سنها عن ثمانية عشر عاما ولا تتجاوز الستين عام ولم تتزوج أو تعمل ليس لها عائل مقدر .

❖ الطلبة كل طالب ذكر متزوج يثبت التحاقهم بمعهد التعليم وليس له عائل مقتدر .

❖ أسر المسجونين كل أسرة صدر حكم قضائي بسجن عائله وليس لها داخل أو كان

دخلها يقل عما كان يستحق عائلها فيما لو تقاضى مساعدة اجتماعية وفقا لهذا القانون

³⁵⁷ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 238.

- ❖ المهجورات كل سيدة يثبت شرعا هجر زوجها لها وليس لها عائل مقتدر .
- ❖ المتزوجة من مواطن وأنجبت منه أبناء تم انفصلت عنه بالطلاق .

يمكن القول أن هذه المرحلة تميزت بتوجه دولة الإمارات إلى سياسة استهدافية، في المجال الأسري وفي الصحة والتعليم، على المستوى الأسري شملت مجموعة من الخدمات أهمها الاعتناء بالأرمل والمطلقات والمسنين واسر السجناء بالإضافة إلى الاهتمام بالفتيات الكبار غير المتزوجات والمهجورات والأيتام أما على المستوى الصحي الاهتمام بالأشخاص ذوي الإعاقة وبالمرضى المسنين ثم على المستوى التعليمي الاهتمام بالطلبة الذين ليس لهم معيل لكن هذه الخدمات الاجتماعية ليست خدمات شمولية كما كانت في فترات ازدهار النفط بل خدمات استهدافية تتوجه إلى فئة معينة³⁵⁸،

لكن بشرط، التمتع بجنسية دولة الإمارات المتحدة- الإقامة الدائمة في دولة الإمارات العربية المتحدة لكن هناك استثناء يتمثل في شرط قانون الضمان الاجتماعي لعام 1981 في حالتين أبرزهما في حالة المواطنة المتزوجة من أجنبي المساعدة الاجتماعية عن نفسها وأسرتها في حالة إصابة الزوج بعجز أو مرض أو عاهة، والمواطنة الأرملة التي توفي زوجها الأجنبي تستحق المساعد، هذين الاستثنائيين يأتي إضافة إلى استهداف الأسرة ذات الجنسية الإماراتية³⁵⁹.

ويمكن إرجاع هذا إلى سياق أزمة النفط لان في منتصف الثمانينيات جاءت رياح العولمة مما دفع حكومات هذه الدول إلى إعادة النظر في جدوى النمو الاقتصادي الذي يقوده القطاع العام

³⁵⁸ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 238.

³⁵⁹ عبد السلام ، بني حماد. (2017)، «السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الإمارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الإمارات» مرجع سبق ذكره، ص 238.

والحكومات في هذه الدول تواجه الآن قيوداً شديدة على الميزانية بسبب العولمة التي ضيقت المدى الذي يمكن أن تؤثر فيه السياسات المالية والنقدية والموازنة العامة لم يعد وسيلة سهلة الاستخدام لتحفيز النمو وتمويل الإنفاق الاجتماعي السخي والموارد المحدودة وزيادة حجمه على سبيل المثال لهذه المراحل التاريخية التي مرت بها دولة الرفاه الاجتماعية بدولة الإمارات أود تقديم جدول يعزز تحليلنا لدولة الرفاه الاجتماعي:

الجدول رقم 8: الإنفاق على الخدمات الاجتماعية كنسبة من الإنفاق العام من 1975 إلى 2001

الدولة	1975	1985	1995	2000	2001
السعودية	28.8	13.6	29.2	22.5	21.7
الإمارات	18.4	5.1	9.2	22.8	22.8
الكويت	41	33.4	22.6	–	–
عمان	6.3	9.9	24.2	12	19.2
البحرين	25.6	25.5	21.1	18.5	18.5
قطر	30.1	23.5	24.9	10.1	10.8

المصدر جامعة الدول العربية، الأمانة العامة وآخرون التقرير الاقتصادي العربي الموحد أعداد

مختلفة

من خلال الجدول أعلاه يتبين أن دولة الإمارات في سنوات الأولى 1975 إلى حدود سنة 1985 تميزت بالاستثمار في الخدمات الاجتماعية وذلك راجع إلى عائدات النفط وبالأخص الدفعة الأولى من اكتشاف النفط من 1971 إلى 1975 كما اشرنا سابقاً هي، التي مهدت لاستثمار في الخدمات الاجتماعية انطلاقاً من التركيز على البنية التحتية، وتوزيع ريع النفط على المواطنين في هذه الفترة شملت السياسة الشمولية للخدمات الاجتماعية الشمولية مثال الصحة والتعليم والإنجاب وتشجيع التزاوج بين الإماراتيين نظر للوفرة في اليد العاملة الأجنبية لكن في حدود سنة

1985 سوف يكون هناك تراجع كبير في الخدمات الاجتماعية³⁶⁰ من 18.4 في المائة في سنوات الأولى من اكتشاف النفط أي: في حدود 1985 إلى 5.1 في ذات سنة الأخير بسبب تدني الأسعار في أسواق النفط بالإضافة إلى الحرب الخليج المكلفة بالنسبة لدول التعاون الخليجي.

لكن مع حلول سنة 1995 سوف تبدأ الخدمات الاجتماعية بالارتفاع لتتحول من 5.1 إلى 9.2 هذا التحول هو تحول من الاعتماد على سياسة اجتماعية ذات الطبع الشمولي إلى سياسة اجتماعية ذات طابع استهدافي كما اشرنا سابق (انظر ص 41) تستهدف فئة معينة دون أخرى حيث استهدفت الأسرة والمطلقات والأرامل والطلبة بدون عائل نظرا للسياق المالي والأمني جعلت الإمارات تتبنى سياسية استهدافية لكن سوف ترتفع تدريجيا من 9.2 إلى 22.8 في حدود سنة 2000 و2001 رغم توفير دولة الإمارات رفاهية الاجتماعية إلى مواطنيها إلا أن الإشكال الذي يطرح نفسه هو إشكال اليد العاملة الأجنبية في مقابل اليد العاملة الوطنية.

الجدول رقم 9: اليد العاملة الأجنبية وسؤال الرفاهية الاجتماعية بالإمارات
نسبة البطالة من اليد العاملة الوطنية ونسبة العمالة الأجنبية في دول المجلس

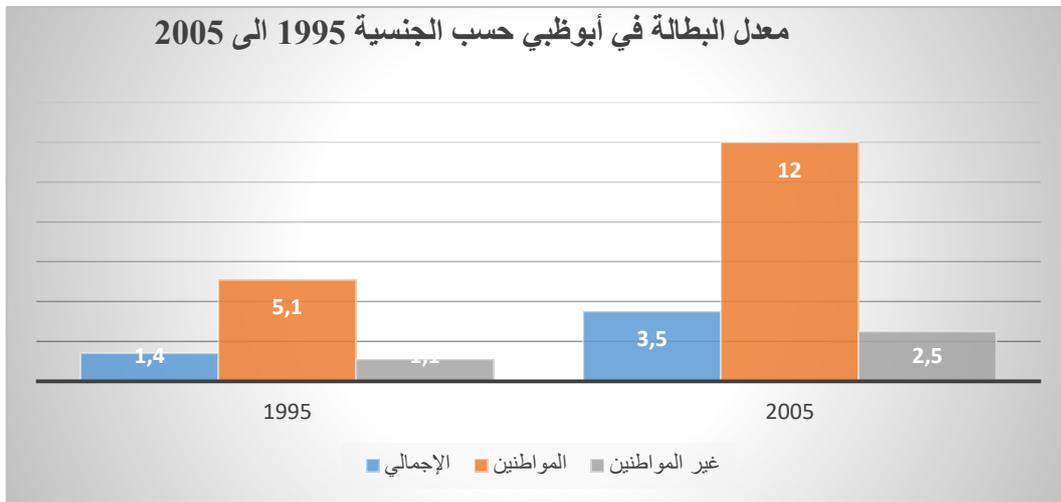
الدولة	نسبة البطالة من اليد العاملة الوطنية	نسبة العمالة الأجنبية
السعودية	17.6	61
البحرين	15	65
قطر	8	86
عمان	6	67
الإمارات	6	93
الكويت	4.5	94

World développement tradicators 2003

مع بداية التسعينيات من القرن الماضي انتهى عصر الازدهار الاقتصادي ليبدأ عصر الاضطراب والتوتر مع بداية تراجع وبطء معادلات النمو وانخفاض عائدات النفط والركود

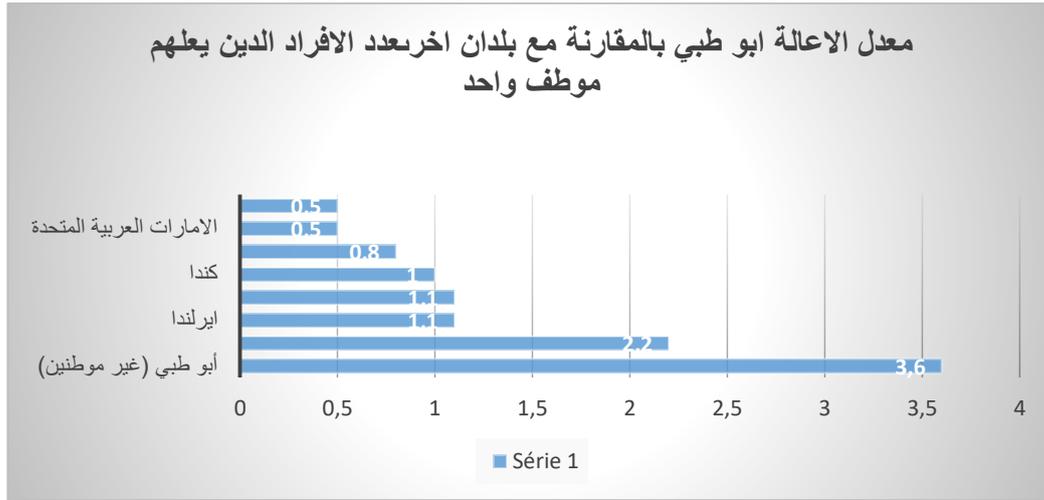
³⁶⁰ عبد الرزاق، فارس الفارس. (2004)، «العولمة ودور الرعاية في أقطار مجلس التعاون» تحرير سمير أمين و آخرون، المجتمع والاقتصاد أمام العولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 22.

الاقتصادي والمديونية العالية التي خرجت بها دول مجلس التعاون الخليجي جراء حرب الخليج وزيادة الإنفاق العسكري بالإضافة إلى ارتفاع معدل النمو السكاني، وارتفاع حجم الديون ليس في الدولة الإمارات فقط بل معظم الدول مجلس التعاون الخليجي الأمر، الذي اثر على مستوى المعيشة في دول المجلس وبالتالي على دخل الفرد والذي لم يزداد لعقدين كل ذلك أدى إلى تراجع دور دولة الرفاه في الخليج وتقلص أهميتها وضعف قدرتها على الإنتاج المباشر للسلع والخدمات بالإضافة إلى الضغوط التي مارسها الصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية أخذت دول الخليج تتخلى تدريجيا عن مسؤوليتها التنموية من خلال سحب الدعم المقدم للفقراء تحت ما يسمى الثبات الاقتصادي وفتح الباب أما سياسة التكيف الهيكلي وبيع المؤسسات العامة لصالح القطاع الخاص مما أدى إلى ارتفاع اليد العاملة الأجنبية وزيادة نسبة البطالة في اليد العاملة الوطنية. انظر الرسم المباني التالي:



المصدر: انظر رؤية الاستراتيجية لدولة الامارات 2030 ص 94

معدل الإعالة في الإمارات بي الأجانب والمواطنين:



تتفاوت قيم ومعدلات الإعاقة بين عامي 2003 و2005 المصدر الكتاب الإحصائي السنوي لدبي 2005 وزارة الاقتصاد في دولة الإمارات العربية المتحدة الكتاب الإحصائي السنوي لأبوظبيي 2005 الإحصاء السكاني في أبو ظبي 1995 و2005 مؤشرات التنمية العالمية البنك الدولي تحليلات فريق الرؤية الاقتصادية 2030 لإمارة أبو ظبي ³⁶¹.

ارتفاع معدل الإعاقة الاجتماعية بالنسبة للمواطنين الأجانب بنسبة 3.6 بالمقارنة مع دول أخرى مثل لبنان وايرلندا في مقابل انخفاض معدل الإعاقة الاجتماعية بالنسبة إلى المواطنين حيث بلغت نسبة الإعاقة إلى 0.8 على مستوى أبوظبي و0.5 بالنسبة إلى الإمارات العربية المتحدة هذا التباين

³⁶¹ أنظر رؤية الاستراتيجية لدولة الامارات 2030 ص 92



المصدر: الرؤية الاقتصادية 2030

على مستوى الإعالة الاجتماعية يمكن إرجاعه إلى ارتفاع اليد العاملة الأجنبية على حساب اليد العاملة المحلية.

نسبة المواطنين في أبوظبي ومقارنة النوع :

وفق للإحصاء العام للسكان 2005 وتحليلات الرؤية الإستراتيجية يتبين أن 20.2 في المائة من الأطفال الذكور بينما الإناث بالنسبة 19.2 بينما الفئة النشيطة تهيمن عليها الإناث بالنسبة 29.2 في المائة في مقابل الفئة الذكور 28.8 في المائة بينما الفئة كبار السن 2.2 في المائة في صنف الذكور بينما الفئة الإناث تقدر بالنسبة 0.9 في المائة يمكن القول أن الفئة التي تهيمن هي فئة الأطفال.

وبنسبة 66.6 في المائة لفئة الشباب وهناك نقاط أخرى مهمة هي مقارنة النوع التي نلتمسها في التفوق في نسبة الإناث على الذكور، هذه الهيمنة تجعلنا نتساءل عن دور النساء في العمل و نسبة مساهمة النساء في الاقتصاد مساهمة النساء أبوظبي 18.5 في المائة وفي الإمارات العربية المتحدة 13.0 في المائة وفي أبوظبي 18.5 من النساء هذا على مستوى دولة

الإمارات، أما على المستوى العالمي فدولة الإمارات الثاني في المرتبة 9 بالنسبة للإحصائيات التي بين أيدينا على مستوى ابوظبي أما على مستوى الإمارات العربية فهي في المرتبة 11 بعد السعودية وفي للمعطيات أعلاه .

تطور الخدمات والبرامج الاجتماعية بدولة الإمارات انطلاقاً مما سبق يمكن القول أن دولة الإمارات عرفت عدة تغيرات على مستوى السياسة الاجتماعية وذلك راجع إلى عدة اعتبارات أهمها ارتفاع عائدات النفط في السنوات التي تم اكتشاف النفط بها مما جعل دولة الإمارات تتبنى سياسة الشمولية على مستوى الخدمات الاجتماعية، في الفترة الممتدة من 1971 إلى 1985 بعدها سوف تعمل على سياسة استهدافية تستهدف فئة معينة دون أخرى وذلك راجع إلى انخفاض الطلب على النفط بالأسواق بالإضافة إلى عامل الحرب، حرب الخليج، فمن خلال الجدول سابق (الإنفاق على الخدمات الاجتماعية 1990 إلى 2001) يتبن أن دولة الإمارات أنفقت أموال على الحرب مقارنة بالدول العربية الأخرى مثل السعودية وقطر لان دولة الإمارات تراجعت فيها الخدمات الاجتماعية إلى أقصى الحد إلى 5 في المائة في سنة 1985 فترة أزمة النفط، وأزمة الدولار 1976 وحرب الخليج 1980 كل هذه العوامل أدت إلى تدهور المستوى الخدمات الاجتماعية المقدمة إلى المواطنين .

لكن مع حلول الألفية الثانية سوف تعرف السياسة الاجتماعية تغير كبير وذلك من خلال العمل على سياسة استهدافية ابتداء من 1995 انطلاقاً من حزمة من الإجراءات، التي اتخذتها دولة الإمارات وذلك بتوجيه سياسة استهدافية إلى فئة معينة محددة مما أدى إلى ارتفاع معدل الإنفاق على الخدمات الاجتماعية إلى 9.2 ليصل إلى 22 في مطلع الألفية الثانية كل هذا يسجل بداية التحسن على مستوي الخدمات الاجتماعية المواجه للمواطنين.

ولتفادي الأزمة التي وقعت فيها في الثمانينيات والتسعينات عملت الدولة الإمارات على تبني عدة إجراءات أبرزها العمل على تقديم مجموعة من البرامج الاجتماعية للتطوير سياسة الخدمات الاجتماعية الموجهة للمواطنين.

مؤشرات إحصائية حول التطور الرعاية الاجتماعية بدولة الإمارات

المصدر: التقرير التنمية البشرية 2008/2007 التقرير التنمية البشرية لعام 2008/2007 احتلت الإمارات المركز 39 عالمياً في مؤشر التنمية البشرية وفق المؤشرات الآتية³⁶²:

انطلاقاً مما سبق من معطيات ومؤشرات إحصائية حول الخدمات الاجتماعية بدولة الإمارات، التي تميزت بالارتفاع في البدايات الأولى من سياسة رعاية الاجتماعية بعدها تميزت بالانخفاض إلى إن مطلع الألفية الثانية وبالأخص بداية 2006 و2007 و2008 سوف تعرف الدولة الإمارات تحسن في الخدمات الاجتماعية وذلك باحتلالها المرتبة 39 عالمياً حيث شهدت ارتفاع في مؤشر التنمية البشرية مقارنة بلحظة الأزمة التي عرفت في 1985 و1995 وتحسن

مؤشر التنمية البشرية	العمر المتوقع عند الولادة بالأعوام 2005	نسبة محو الأمية للبالغين من عمر 15 وما فوق (1995/2005)	نسبة الالتحاق الإجمالي بالمدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية (2005)	الناتج المحلي الإجمالي للفرد تعادل القوة الشرائية بالدولار الأمريكي	مؤشر متوسط العمر المتوقع بالأعوام (2005)	مؤشر التعليم	مؤشر إجمالي الناتج المحلي	نسبة إجمالي الناتج المحلي للفرد تعادل القوة الشرائية بالدولار الأمريكي ناقصة الترتيب في التنمية البشرية
0.868	78.3	88.7	59.9	25.514	0.889	0.791	0.925	12

في مستوى الاستثمار في التعليم بالنسبة 88.7 في محو الأمية و59 في المائة في تسجيل

عثمان، سراج الدين فتح الرحمن. (2013)، الرعاية الاجتماعية مسؤولية دولة ومجتمع، نفس المرجع السابق ذكره، ص 8³⁶².

بالمدارس هذه الأرقام التي تدل عن تحسن مستوى الخدمات الاجتماعية يرجع إلى الارتفاعات السبع التي سطرتهها الدولة الامارات:

- ❖ قطاع خاص فاعل ومؤثر
- ❖ اقتصاد مرتكز على المعرفة المستدامة
- ❖ بيئة تشريعية مثلي تتسم بالشفافية والكفاءة
- ❖ المحافظة على العلاقات المتميزة مع بقية دول العالم على مختلف الأصعدة
- ❖ الاستخدام الأمثل للموارد
- ❖ نظام تعليمي ورعاية صحية وبنية تحتية على مستوى العالمي
- ❖ استقرار أمني على الصعيدين الداخلي والخارجي

هذه الرؤية التي تهدف إلى تحقيق تنمية اجتماعية وبشرية وصحة وتعليم عالية الجودة وتشجيع اليد العاملة الوطنية وذلك لتفادي بطالة اليد العاملة الوطنية إن كانت إحصائيات 2003 أكدت على ارتفاع اليد العاملة الأجنبية، فإن إحصائيات 2005 تؤكد على استمرار ارتفاع اليد العاملة الأجنبية 93 في المائة بالمقارنة مع دول الخليج وبعض دول الغربية ككندا وايرلندا 363

التقرير التنمية البشرية لعام 2010 احتلت الإمارات المركز 32 عالميا في دليل التنمية البشرية وفق المؤشرات الاتية³⁶⁴

مؤشر التنمية البشرية	متوسط العمر المتوقع عند الولادة بالسنوات	متوسط سنوات الدراسة بالسنوات	متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي بالدولار الأمريكي (2005)	ترتيب نصيب الفرد من الدخل القومي ناقصا الترتيب في مؤشر التنمية البشرية	مؤشر التنمية البشرية غير مرتبط بالدخل

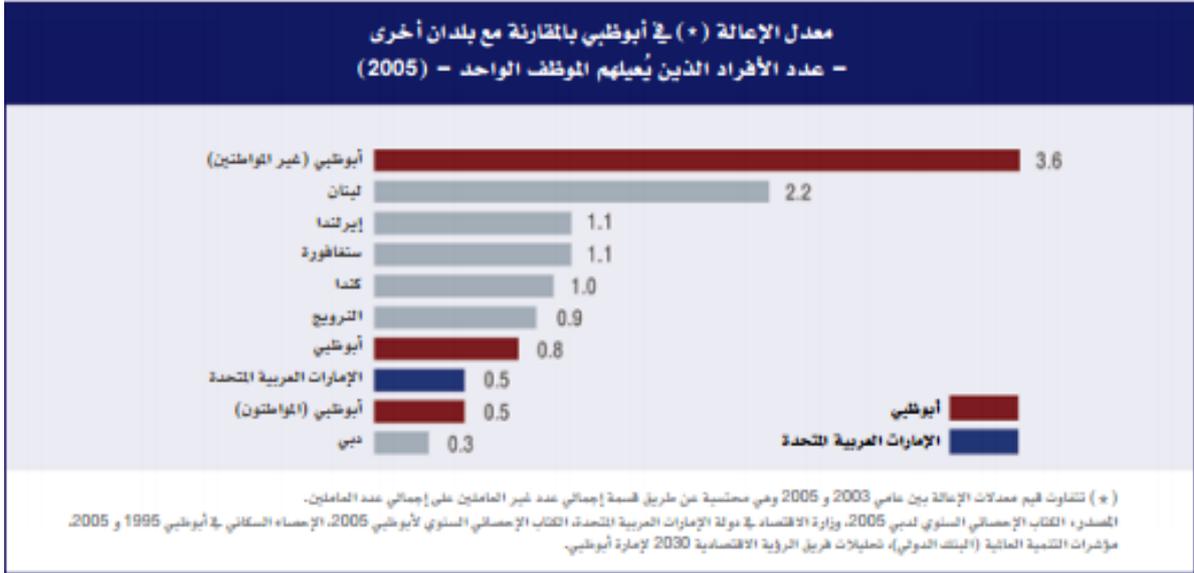
³⁶³ أنظر الرؤية الاقتصادية صادر عن الدولة الامارات 2030 ص 8
عثمان، سراج الدين فتح الرحمن. (2013)، الرعاية الاجتماعية مسؤولية دولة ومجتمع، نفس المرجع السابق ذكره،
³⁶⁴ص9

0774	28_	58.006	11.5	9.2	77.7	0.815
------	-----	--------	------	-----	------	-------

التقرير التنمية البشرية لعام 2011 احتلت الامارات المركز 30 في مؤشر التنمية البشرية:

مؤشر التنمية البشرية	ترتيب نصيب الفرد من الدخل القومي ناقصا الترتيب في مؤشر التنمية البشرية	نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي بالدولار الأمريكي 2005	متوسط سنوات الدراسة المتوقعة بالسنوات	متوسط سنوات الدراسة بالسنوات	متوسط العمر المتوقع عند الولادة بالسنوات	مؤشر التنمية البشرية
0.813	27	59.993	13.3	9.3	76.5	0.846

معدل الإعالة في دولة الإمارات :



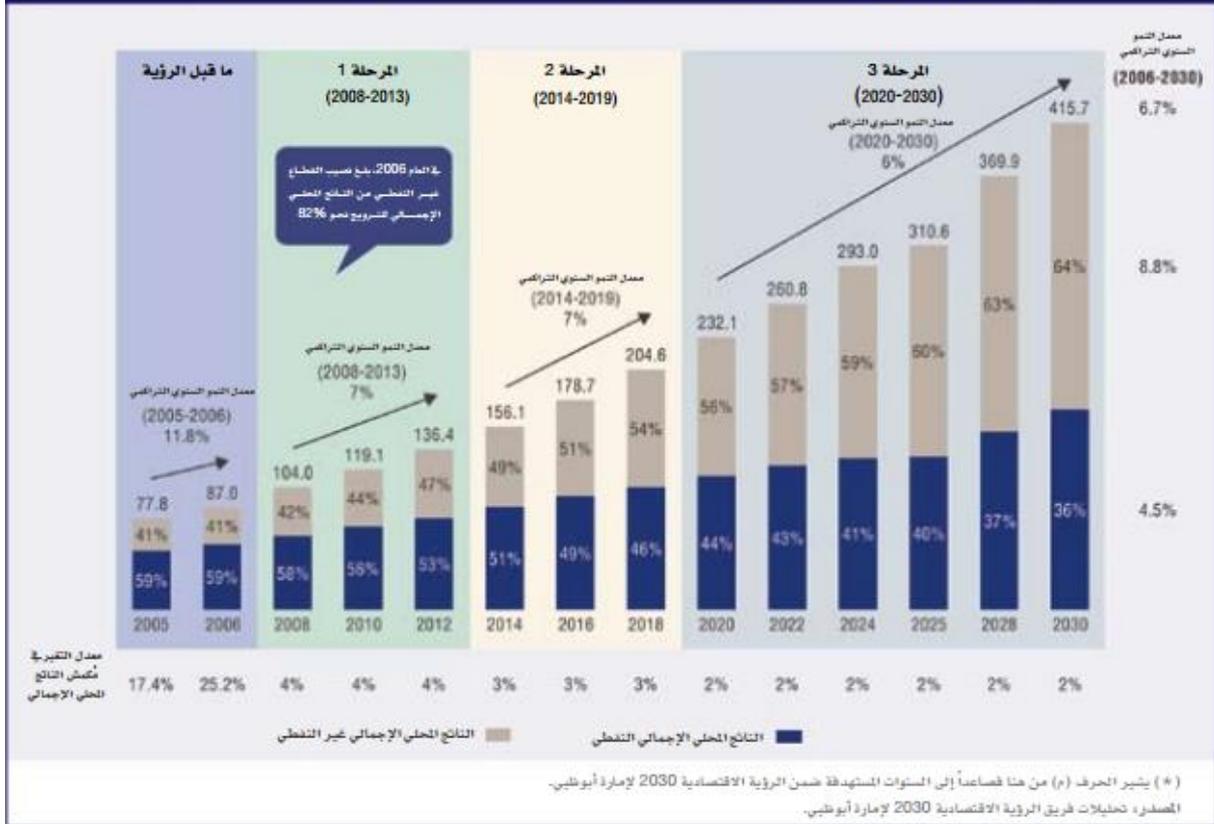
المصدر : الرؤية الاستراتيجية في افق 2030

معدل الإعالة في أبوظبي بالمقارنة مع بلدان أخرى يتبين من خلال التحليل إن أبو ظبي تأتي في الصدارة من حيث الإعالة ولكن الأفراد الذين يعيلون أكثر من فرد واحد ليس المواطنين الإماراتيين بل المواطنين للأجانب بمعدل 3.6 ويمكن التفسير هذا بالرجوع إلى عامل الهجرة التي عرفتها أبوظبي حيث نجد معدل الإعالة بالنسبة للمواطنين الأصليين من امارة ابوظبي 0.8 بالمقارنة مع بعض الدول الأخر كالبنان 2.2 وايرلندا بمعدل 1.1 وسنغافورة 1.1 وكندا 1.0 والنرويج 0.9 وابوظبي 0.8 والإمارات العربية المتحدة 0.5 بعدها تأتي أبو ظبي كما تحدثنا عنها في ما سبق

1 : التباين المحلي الإجمالي الحقيقي المستهدف لأبوظبي:

المباين رقم 1

الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي المستهدف لأبوظبيي - مليار دولار بأسعار 2005 - (2005-2030 م) (*)



المصدر: الرؤية الاستراتيجية في أفق 2030

بعد سنة 2005 نهجت دولة الإمارات سياسة مخالفة عن تلك التي نهجتها في الماضي من خلال الاعتماد على سياسة ثنائية أي دعم القطاع الغير النفطي بغرض تحقيق التوازن بين الناتج المحلي الإجمالي النفطي والناتج المحلي الإجمالي الغير النفطي بعد أن كانت تعتمد على سياسة النفطية في دعم الخدمات الاجتماعية مثلا في سنة 2005 و 2006 كان الناتج المحلي الإجمالي النفطي بالنسبة 59% بينما كان الناتج الإجمالي غير النفطي 41% بمعدل النمو 11.8 استمرار هيمنة الناتج النفطي إلى حدود 2014 بالنسبة 51 مقابل القطاع الغير النفطي 49 ليصل الى هيمنة القطاع الغير النفطي على القطاع النفطي حيث كانت النسبة في 2018 . 46% بينما

وصل القطاع الغير النفطي إلى 54 % ومن المتوقع أن يصل إلى 64 % في حدود سنة 2030 مقابل 36 % في القطاع النفطي.

الدخل الفردي بالنسبة للفرد في دولة الامارات :

بعد الحديث عن التباين بين الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي المستهدف لأبوظبي بين سنة (2030/2005) على المستوى العام فان نصيب الفرد عرف التغير من ناحية الاستفادة بين النصيب

الفرد بين القطاع النفطي والقطعي الغير النفطي حيث كان الفرد يستفيد من عائدات النفط في حدود 2005 بالنسبة 33.0 ألف دولار مقابل 22.6 ألف دولار في القطاع الغير النفطي ويمكن القول إن السياسات التي كانت تعتمد على دولة الامارات في هذه الفترة مرتكزة على النفط لكن في



حدود 2016 سوف تعرف التغير حيث سوف تصبح نسبة الفرد من عائدات القطاع الغير النفطي 34.3 ألف دولار في المائة بينما 32.4 ألف دولار في القطاع النفطي ومن المتوقع ان يرتفع

نصيب الفرد في أفق 2030 بالنسبة 53.1 ألف دولار في المائة من عائدات القطاع الغير النفطي مقابل 29.5 ألف دولار من عائدات القطاع النفطي.

من هنا يتبين أن دولة الامارات انتقلت في السياسة الاجتماعية ذات الطبع النفطي الى سياسة ذات الطبع الغير النفطي، حيث كانت من سنة 1972 مع اكتشاف النفط اعتمدت على سياسة النفطية

التعليم وسوق الشغل



من خلال الرسم البياني فان قوة التحصيل العلمي في دولة الامارات شهدت ارتفاع على مستوى التعليم الجامعي مقابل انخفاض في المعدلات الآخر من قبيل الأمية والمرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية حيث كان التعليم الجامعي على سبيل المثال 16 في المائة سنة 2005 بينما التعليم الثانوي 39 % و 30 % بالنسبة للابتدائي و 27 و 15 % بالنسبة للأمية ، لتكون 2005 بمعدل تحصيل العلمي في 0.50 ليعرف التطور في ما بعد بالنسبة 0.05 لتصبح 0.55 في سنة 2010 ليشهد تعليم الجامعي ارتفاع بالنسبة 18 % ويمكن تحليل هذا الارتفاع من خلال

القيمة المترفة لتعليم الثانوي في المرحلة الما قبل 2010 وهي 2005 نفس الأمر ينطبق على باقي المرحل لتكون سنة 2010 محصلة بالقوة العمل 0.55 والتي سوف تعرف في سنة 2015 ارتفاع بالنسبة 0.59 % ومن المترقب إن تصبح في سنة 2020 بالنسبة 0.63 ومن المترقب إن تصل في سنة 2025 0.67 مع الاستمرار بنفس المعدل في سنة 2030 وفق ما تم التخطيط له في إستراتيجية 2030.

خاتمة

من خلال البحث والتنقيب حول دولة الرفاه الاجتماعية في دولة الإمارات، يتبين أن دولة الإمارات في المرحلة الأول اشتغلت على سياسة اجتماعية شمولية من أجل تحسين مستوى عيش مواطنيها في سياق اكتشاف النفط بعدها عملت على سياسة استهدافية في سياق أزمة النفط وحرب الخليج 1985 هذا يجعلنا نقول بان نموذج دولة الرفاهية في الإمارات خاضع لتقلبات السوق³⁶⁵ أي كلما ازدادت عائدات النفط كلما ازدادت الخدمات الاجتماعية التي تترجم على شكل سياسة اجتماعية بهدف التنمية البشرية أي أن الدولة هي التي تعمل على توجيه هذه السياسات أي توزيع رأس المال الذي يتم مراكمته انطلاقاً من عائدات النفط أي أن دولة الرفاه في الإمارات تختلف عن الدولة الرفاه التي ظهرت في أوروبا لان دولة الرفاه التي ظهرت في أوروبا ظهرت من خلال التعاقد المجتمعي بين الأفراد والدولة أما دولة الرفاه التي ظهرت في الإمارات قائمة على توزيع عائدات النفط على المواطن او إعادة توزيع عائدات النفط على الرعايا.

³⁶⁵ Franck Ackerman, "National Development: From Basic Needs to the Welfare State", Franck Ackerman, David Kiron, Neva R. Goodwin, Jonathan M. Harris, and Kevin Gallagher, Human Well Being and Economic Goals, (Washington D.C., Island Press, 1997), p. 281.

الفصل الثالث

مقارنة الرفاه الاجتماعي بين الإمارات العربية والدول الاسكندنافية

مقدمة

يندرج التأمل في موضوع الرفاه الاجتماعي في الإمارات العربية و الدول الاسكنديناوية في إطار الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، التي أحدثها الطور الأخير للعلومة الرأسمالية³⁶⁶، بحيث عندما نتحدث عن الرفاه الاجتماعي لابد لنا من تناول الاقتصاد من نواحي تطوره ودوره وأثره في تحقيق الرفاهية ولو جزئيا في زمان ومكان معينين³⁶⁷. (وبدءا من البيت أو العائلة) نبحث الوضع الاقتصادي كعامل مهم في رفاهية تلك العائلة بنظام اقتصادي واجتماعي منظم، وإذا ما درسنا تاريخ الاقتصاد وتطوره عبر العصور نلمس بان الإنسان كان يحاول دوما على حفظ الذات، وهو القانون الوضعي الأول في الطبيعة.. ولكي يحافظ الإنسان على ذاته ضمن هذا القانون لابد له من العمل الجاد، وكان محرك ذلك العمل هو الجوع الذي كان يقوده دوما إلى العمل، والذي نسميه حاليا وفق المصطلحات الاقتصادية بالحاجات الإنسانية والذي يحتاج ذلك الإنسان إلى إشباعها، وانتقالا من نظام المشاعة البدائية التي كانت الطبيعة هي مصدر العمل المعنوي في إنتاج المحاصيل والفواكه والولادات في الفصيلة الحيوانية. استطاع الإنسان سرقة عمل الطبيعة العفوي ليتعلم كيف ينتج وكيف يهتم بمصدر الموارد الطبيعية مثل الأشجار ورعي الحيوانات، ليكون هو العامل الحقيقي في الطبيعة وفي عمله هذا شارك معه الحيوانات الدجنة مثل الأبقار والحمر والحصن، كمولد للطاقة الحركية في التنقل والأمان³⁶⁸.

³⁶⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمرك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص 140.
³⁶⁷ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمرك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص 140.
³⁶⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمرك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص، ص 26-27.

فمنذ منتصف الثمانينات عم حديث الاقتصاديين حول مسألة أزمة نموذج المساومة الاجتماعية الذي كان ميزة المراحل الأربعة التالية لإعلان المبادرة الكينزية المتمثلة ب(سياسة الصفقة الجديدة)؛ أي أن الخطاب السائد حتى منتصف السبعينات كان في المجتمعات الأوروبية الغربية يتأرجح بين الرأسمالية الإصلاحية والمطالب الاشتراكية³⁶⁹.

ولم تكن إمكانية تفكيك هذا النموذج مطروحة سوى في بعض الأوساط الأكاديمية التي تناولت نقض مقومات الاقتصاد الكينزي. أما نموذج المساومة الاجتماعية والتي تمت تحت سقف الرأسمالية، فقد انعكست على عدة مستويات مثل مستوى تنظيم العمل وعلاقات الإنتاج ومستوى إعادة توزيع الدخل القومي الذي شكّل الأساس الأول لمهمات دولة الرعاية بالمعنى الضيق للكلمة ومنها مستوى الاستثمار في النظام التربوي الذي هدف إلى إعادة النظر إلى احتكار الطبقات الميسورة للتعليم العالي.³⁷⁰

إن الرفاه الاجتماعي³⁷¹ كفكر وبنيته ضمن أدبيات العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية قد أخذ مفاهيم عديدة.. وهذه المفاهيم تميل إلى موضوع تناول الرفاهية فيه، فمثلا العلوم الاقتصادية تتناولها من منظور الإنتاج وزيادته مما يسهل زيادة العرض وبالتالي إلى

³⁶⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجاً، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص، ص 26-27.
³⁷⁰ فؤاد، نهارا. (2006)، «النموذج الدولي الفرنسي والنموذج التعاوني الألماني، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص، 215.

³⁷¹ في الأثر الصحيح، إضافة إلى حوادث ثماني عشرة التي وقع فيها عام الرمادة، الذي أجديت فيه أرض الحجاز ثم تحول الحال إلى الخصب وانتشر الناس عن المدينة إلى أماكنهم. المعنى: أن الناس عادوا إلى الحال الأول من الرفاهية. تأسيساً على ما سبق من أحوال وإجراءات، نقول: الرفاهية هي: "سياسة أو إجراءات حكومي يُتخذ في أحوال ضائقة أو (أزمة) اقتصادية (نقص السلع)، لأجل إعادة التوازن في توزيع الدخل (السلع)." أنظر في هذا الصدد: إسماعيل بن كثير: (ت: 220 هـ :) البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتّيح، دار الحديث، القاهرة، 1010 هـ 1880 م، 50/2.

انخفاض الأسعار وزيادة درجات الإشباع ايجابيا عن طريق الاستهلاك، ومن الجانب القانوني فيتناولها بأنها حق من حقوق الإنسان في التمتع بالرفاهية وإشباع حاجات الإنسان المتعددة³⁷².

أما العلوم الاجتماعية فتتناولها من منطلق حق الفرد في الرفاهية وانه يعمل ويكد كي يحصل على كفايته من إشباع الرغبات، كل هذه المفاهيم تصب في مفهوم موحد ألا وهو الرفاهية حق من حقوق الفرد الأساسية بالتمتع بإشباع حاجاته الإنسانية المتعددة³⁷³.

يعد الرفاه الاجتماعي في الإمارات العربية والدول³⁷⁴ الاسكندنافية نموذجا لمجتمع رأسمالي متقدم، نضجت فيه التكوينات الطبقية والتنظيمات الحزبية وحققت مستوى مرتفعا من النمو الاقتصادي والإنتاجية، ولكنه كان مصحوبا بفوارق واسعة في توزيع الدخل والثروة، صارت تشكل تهديدا للتقدم الاقتصادي ذاته، ومن هنا بحثت الرأسمالية عن حل لا يمس الأركان الأساسية للنظام الرأسمالي، فظهرت دولة الرفاه، ويتضمن هذا النص ثلاث مباحث رئيسية.

الإمارات العربية المتحدة: من التدبير الاجتماعي إلى الرفاه

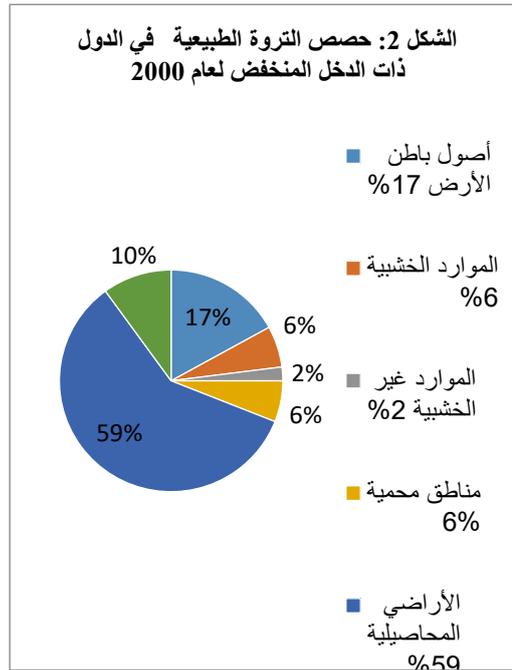
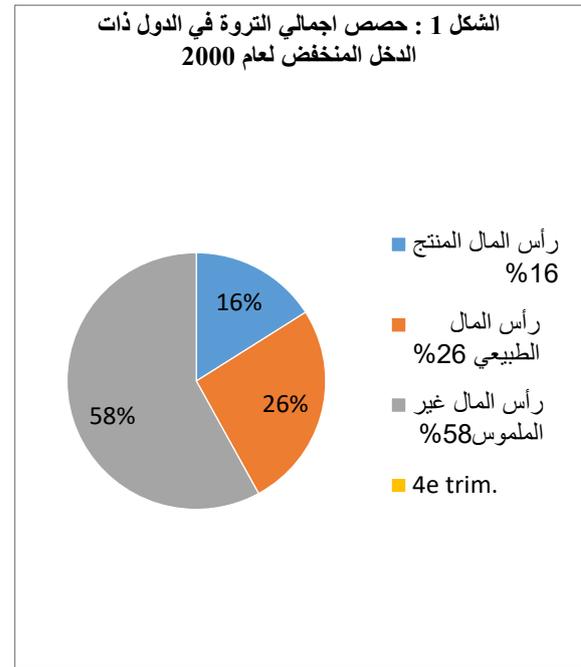
شهدت الإمارات العربية المتحدة تحولات طرأت على عناصر أو سمات اجتماعية واقتصادية محددة، ولكنها امتدت لتشمل الكل العام، الذي نسميه بالرفاه الاجتماعي، والذي يتكون من مجموعة من الأجزاء المرتبطة فيما بينها بمجموعة من العلاقات والروابط، والتي تسهم بدورها في تمايز الرفاه الاجتماعي وتعزيز التماسك بين أعضائه، الذين يحتل كل منهم مركزاً معيناً، ويؤدي دوراً محدداً في الحياة الاجتماعية.

³⁷² عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص، 106.

³⁷³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمرك نموذجا، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص، 106.

³⁷⁴ حسب المادة الأولى من دستور الإمارات العربية المتحدة، فإن نظام الدولة هو: الإمارات العربية المتحدة دولة اتحادية مستقلة ذات سيادة، ويشار إليها فيما بعد في هذا الدستور بالاتحاد. ويتألف الاتحاد من الإمارات التالية: أبو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، الفجيرة.

مصدر الشكلين 1 و 2 : أين تكمن ثروة الأمم قياس رأس المال القرن الواحد والعشرين، البنك الدولي، مركز الإمارات والبحوث الإستراتيجية 2008 ص 13.



ويعرض الشكلان (1) و (2) تصورا مهما للدور الذي تؤديه الثروات الطبيعية لدا الدول ذات الدخل المنخفض) باستثناء الدول النفطية التي تزيد فيها العائدات الريعية لمواردها

على % 20 من الناتج المحلي الإجمالي، والرسالة المهمة الأولى هنا، ممثلة بأن رأس المال الطبيعي يشكل نصيباً مهماً من إجمالي الثروة: أي أكبر من نصيب رأس المال المنتج³⁷⁵.

يُوحى أن إدارة الموارد الطبيعية ينبغي أن تكون ركناً أساسياً من أركان الاستراتيجيات التنموية. ومع أن تركيبة الثروة الطبيعية في الدول الفقيرة تشدد على الدور الأساسي الذي تلعبه الأراضي الزراعية، إلا أن أصول باطن الأرض وموارد الغابات من المواد الخشبية وغير الخشبية تشكل ريعاً آخر من إجمالي الثروة الطبيعية³⁷⁶.

برزت تغييرات كثيرة لا تطراً على أنماط معينة من العلاقات والنشاطات دون غيرها، وإنما تشمل كل الأنماط السائدة في المجتمع ونشير هنا إلى الأسرة، الصلات الاجتماعية، العادات والتقاليد³⁷⁷.

تظل الأسر المتماسكة المزدهرة نواة المجتمع الإماراتي، فالزواج بين الإماراتيين أساس بناء الأسر المستقرة والتمتية وإقامة الصلات بينها، لذا علينا تعزيز هذه الروابط وتقليص نسب الطلاق المرتفعة ولما كانت الأسر دعامة رئيسية في عالمنا الدائم التغير، فإن أواصرنا الأسرية المتجذرة والمستديمة تعزز نجاح وطننا في المستقبل³⁷⁸.

الأسرة هي نسيج ثقافتنا الحي وحافظة قيمنا، فهي ملاذ يحضن ناب أمنه، وبيئة تحفز النمو حيث ينشأ الأطفال الإماراتيون ويستعدون لمواجهة معترك الحياة ويحققون

³⁷⁵ مركز الإمارات والبحوث الإستراتيجية، (2008) أين تكمن ثروة الأمم قياس رأس المال القرن الواحد والعشرين، البنك الدولي، مركز الإمارات والبحوث الإستراتيجية، قياس رأس المال القرن الواحد والعشرين، البنك الدولي، الطبعة الأولى، ص 13.

³⁷⁶ نفس المرجع السابق ذكره، ص 13.

³⁷⁷ عبد الله العوضي، (2018) مجتمع الإمارات العربية وتغير البناء الاجتماعي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2 يوليو 2007

http://ecssr.ac.ae/ECSSR/appmanager/nd/42;ECSSR_COOKIE=pJXhhpn2hkX3jpmTJj1xHn12X1p7LZnM6yN GnwvyhJ4nM0h2sw!236088646!- اطلع عليه 2018/09/27

³⁷⁸ رؤية 2021، متحدون في الطموح والعزيمة، ص 5.

إمكاناتهم كاملة لكي يصبحوا مواطنين صالحين ذوي شخصيات متكاملة لكل فرد في الأسرة دور يقوم به في تثقيف النشء بالقيم المجتمعية وبأهمية الاتصال بالمجتمع، إذ لا بدّ من التواصل القوي بين الأطفال والآباء والأجداد لضمان تناقل العادات والتقاليد عبر الأجيال بهدف ترسيخ الهوية الوطنية، ويحظى كبار السن بمكانتهم المحترمة ضمن الأسر والمجتمع الإماراتي، فهم قدوتنا وحماة تقاليدنا، يذكرنا وجودهم بمسيرتنا الماضية ويحضنا على التمسك بهويتنا في المستقبل³⁷⁹.

إن احترام العادات والتقاليد الإماراتية يدعم الدور المتنامي للمرأة دعماً تاماً، مما يجعلنا نستمر في تمكين المرأة الإماراتية للمشاركة في المجالات كافة، كما تسنح فرص أكبر للمرأة لتجمع بين المشاركة النشطة في الحياة العملية ونعمة الأمومة، وبهدف تحقيق هذه الأهداف السامية يجب أن تتم حماية المرأة من أشكال التمييز في العمل والمجتمع³⁸⁰.

تمثل الصلات الاجتماعية القوية دعامة رئيسية للمجتمع الحيوي، فضلاً عن أنها توفر شبكة أمان أساسية ضدّ التهميش الاجتماعي، حيث تشكل المناطق السكنية المترابطة مساحة مشتركة تتيح للأطفال الانفتاح على العالم خارج حدود الأسرة والقيام بخطواتهم الأولى في المجتمع، كما أنها مجال ينمي فيه الشباب هويتهم الإماراتية، ويتعلمون احترام الآخرين، ويسيرونها بخطى ثابتة ليصبحوا مواطنين ملتزمين تجاه وطنهم³⁸¹.

يساهم الإماراتيون في المشهد الاجتماعي النشط، الذي يوفر الحيوية للمجتمعات، ويقومون باحتضان كافة الفئات لضمان اندماجهم في مجتمع متضامن³⁸²، كما تنمي المبادرات

³⁷⁹- نفس المرجع السابق ذكره ص 5.

³⁸⁰- نفس المرجع السابق ذكره ص 5.

³⁸¹ مجلة رؤية 2021 الإمارات العربية المتحدة متحدون في الطموح والعزيمة: ص 12
³⁸² تذهب بعض الكتابات إلى أن النصف الثاني من القرن الفائت، انتهى الجدل التقليدي حول الدور الاقتصادي للدولة إلى ترويج الرؤية النيو ليبرالية؛ عقب " أزمة العالمية والمشروعية " التي نخرت أسس الدولة الراحية بالمقابل، انعكس الاتجاه في

الأصيلة والأعمال الخيرية والأنشطة التطوعية حسًا مشتركًا بالوعي والمسؤولية الاجتماعية³⁸³.

يعبر الإماراتيون عن تضامنهم ويعززون تلاحمهم كشعب واحد، فالثقة المتبادلة والتفاهم من أساسيات نسيجنا الاجتماعي، وهكذا تمنحنا هويتنا المشتركة القوة على التعاون وتبادل المعلومات والتعلم من بعضنا البعض بطريقة تثري حياة كل فرد منا. إن التضامن هو المكون الأساسي الذي يَكُن المجتمع الإماراتي من العمل بتناغم يضمن حياة أفضل للجميع³⁸⁴.

الحوار مع الجنسيات الأخرى يعزز قوة النسيج الاجتماعي الإماراتي، حيث أن روح الاحترام والاعتبار بين الفئات الثقافية المتنوعة الموجودة على أرضنا ضرورية للحفاظ على التعايش المنتج والمتناغم، وهذا من شأنه أن يعزز تقاليدنا في التفاهم المتبادل في المجتمع³⁸⁵.

تستمد دولة الإمارات قوتها من تقاليدنا في الانفتاح والتفاهم والتعايش السلمي، وهذا يساعدنا على تسخير إيجابيات العولمة لصالحنا ومواصلة الاستفادة من انفتاح الدولة على العالم عوضاً عن اعتباره خطراً يهددها. تواصل دولة الإمارات دورها المحوري في المنطقة كمركز رئيسي للأعمال، توفّر مؤسساته وبنيتها التحتية همزة وصل تربط إقليمنا بالعالم وتخدمه كنموذج يحتذى به، أما على الساحة الدولية فتبني الإمارات على النجاحات التي

العقد الموالي؛ حيث عاد الحديث مجدداً عن ضرورة تدخل الدولة. هذا التآرجح يستدعينا اليوم حول مقاربات جديدة، باتجاه إعادة الاعتبار لوظيفة الضبط، وإعادة النظر في أطر وأشكال تدخل الدولة. أنظر في هذا الباب: عبد الله، مولة. (2009) **التحكم في التبادل الحر والتنمية: من الدولة الراعية إلى الدولة التنموية**، مجلة التواصل، العدد 24، ص 1. غير أنه من الصعب إسقاط هذا التصور على دولة الإمارات العربية المتحدة لأنها تتميز بتضامن قوي بين القيادة والمواطن.

³⁸³ مجلة رؤية 2021 الإمارات العربية المتحدة متحدون في الطموح والعزيمة: ص12

³⁸⁴ مجلة رؤية 2021 الإمارات العربية المتحدة متحدون في الطموح والعزيمة: ص12

³⁸⁵ مجلة رؤية 2021 الإمارات العربية المتحدة متحدون في الطموح والعزيمة: ص12

حققتها في الدبلوماسية والمساعدات التنموية والإنسانية و استضافة المؤتمرات والمؤتمرات الدولية³⁸⁶.

وتبرز الإمارات أيضا كمرجعية مهمة في الفضاء الثقافي؛ بحيث يشكل التفاعل المتواصل بين الثقافة الإماراتية والثقافات الأخرى عنصرا أساسيا في تعزيز التفاهم والإثراء المتبادلين. "مهما كانت إنجازاتنا عظيمة فلن تتأخر الإمارات في سعيها نحو الأفضل، إذ سننمي القطاعات الاقتصادية المتميزة لن صدها إلى الخارج مع مواصلة تطوير ميزاتنا التنافسية، كما سنعمل على إطلاق المهارات الفردية في شتى المجالات، من العلوم إلى الثقافة إلى الرياضة، فمن واجب كلّ إماراتي أن يسعى إلى أن يكون بطلا في مجاله"³⁸⁷.

للتعرف على واقع القطاع الصناعي العربي يتطلب دراسة الآثار المترتبة على هذا الواقع من جراء المتغيرات الدولية المعاصرة لیتسنى لنا التعرف على الآثار فيما بعد بصورة موضوعية. لذا سوف يتم التطرق إلى دراسة القطاع الصناعي من حيث مساهمة هذا القطاع في الناتج المحلي، وهيكلية الصناعة التحويلية العربية، وصادرات السلع الصناعي العربية و وارداتها، وإلى ضعف القاعدة التكنولوجية للقطاع الصناعي العربي³⁸⁸.

تشير البيانات المتوفرة إلى انخفاض طفيف في القيمة المضافة للصناعة التحويلية العربية سنة 2001 وذلك بنسبة بلغت 0.5% مقارنة بالسنة السابقة التي حققت ارتفاعا في القيمة المضافة لتصل إلى أكثر من 79 مليار دولار. لقد ازدادت القيمة المضافة للصناعة التحويلية العربية خلال المدة 1985 – 2001 الجدول رقم 1.

³⁸⁶ مجلة رؤية 2021 الإمارات العربية المتحدة متحدون في الطموح والعزيمة: ص12

³⁸⁷ مجلة رؤية 2021 الإمارات العربية المتحدة متحدون في الطموح والعزيمة: ص12

³⁸⁸ مجلة رؤية 2021 الإمارات العربية المتحدة متحدون في الطموح والعزيمة: ص12

الأمر الذي نجم عنه ارتفاع نصيب الفرد من الصناعة خلال المدة ذاتها إلا انه انخفض في عام 2001 نتيجة لانخفاض القيمة المضافة. على الرغم من انخفاض القيمة المضافة, ارتفعت نسبة مساهمة الصناعة التحويلية العربية في الناتج الإجمالي لتصل غالى 11.1% سنة 2001. ومن الملاحظ إن مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الإجمالي خلال المدة 1990 – 2001 شبة ثابتة وتراوحت ما بين 10.3% و 11.1%.

إن ارتفاع مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الإجمالي رغم انخفاض قيمتها المضافة, تدل على تأثر هذه الصناعة والناتج المحلي ككل سلبا أو ايجابيا بالتطورات في القيمة المضافة للصناعة الاستخراجية.

تتباين نسبة مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الإجمالي على مستوى الأقطار العربية فتتراوح ما بين 2.3% في جيبوتي و 18.6% في مصر وتتجاوز نسبتها 10% في كل من الاردن والامارات والبحرين وتونس والسعودية والمغرب وهي اقل من ذلك في باقي الاقطار العربية.³⁸⁹

جدول رقم 10: القيمة المضافة للصناعة التحويلية العربية ومساهمتها بالناتج المحلي الاجمالي خلال المدة 2001 – 1985

السنة	القيمة المضافة مليار دولار	نصيب الفرد من الصناعة دولار	المساهمة في الناتج المحلي %
1985	34,5	181	9,2
1990	48,1	230	10,3
1995	57,5	225	10,9
2000	79,1	289	10,8
2001	78,7	284	11,1

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة 1998 ص 43, وسنة 2002 ص 54 ابو ظبي

³⁸⁹- صندوق النقد العربي. التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2002, ابو ظبي 2002, ص 53

تشتمل الصناعة العربية على عدد من الصناعات منها الغذائية والمنسوجات والملابس والجلدية ومنها المعتمدة على النفط والغاز، والصناعات الهيدروكربونية (كالصناعات التكريرية للنفط وصناعة البتر وكيمياويات) إضافة إلى الصناعات الكيماوية الأخرى غير الهيدروكربونية.

تساهم الصناعات الغذائية بنسبة 13% للقيمة المضافة للصناعات التحويلية لعموم البلدان العربية وذلك سنة 2001، وهي أقل من مساهمتها في العام السابق والتي بلغت حينها 17%. أما على مستوى الأرقام المطلقة فقد ارتفعت القيمة المضافة لهذه الصناعة من 7.6 مليار دولار عام 2000 إلى حوالي 10 مليار دولار عام 2001. واختلفت نسبة مساهمة هذه الصناعة في القيمة المضافة لعموم الصناعة التحويلية على مستوى الأقطار العربية حيث تراوحت ما بين 4% كما في الكويت و 45% كما في موريتانيا، وتجاوزت نسبة المساهمة عن 20% في كل من عمان، المغرب، لبنان، سورية، وتجاوزت ال 10% في كل من السعودية، الجزائر، الأردن، تونس ومصر. وكانت مساهمة هذه الصناعة في القيمة المضافة للصناعة التحويلية أقل من 10% في بقية الأقطار.³⁹⁰

يشير الهيكل السلعي للتجارة الخارجية العربية استمرار الفجوة ما بين الصادرات والواردات الصناعية العربية على الرغم من التحسن المتواضع في انخفاض نسبة الصادرات من المواد الخام والوقود المعدني من 72.4% في عام 1997 إلى 70.6% من إجمالي الصادرات العربية لسنة 2001. وعلى الرغم من هذا التحسن إلا أن العجز مازال شاسعا بين الصادرات والواردات الصناعية العربية. فقد بلغت نسبة الصادرات إلى الواردات 17.7%،

³⁹⁰- صندوق النقد العربي. التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2002، ص256

34.7% , 37% , 30.8% , 33.3% , وذلك للأعوام 1990 ، 1995 ، 2000 ، 2001 أي أن نسبة تغطية الواردات في الانخفاض وذلك من خلال مقارنة سنوات 2000 و 2001 بعام 1995. يشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2001 إلى عدم حدوث تغير بالنسبة للشركاء الرئيسيين في التجارة العربية عام 2000 فالنسبة للصادرات إلى الاتحاد الأوروبي زادت حصتها لتبلغ 27.9% وحافظت الصادرات العربية اتجاه اليابان على حصتها في إجمالي الصادرات العربية الإجمالية بنسبة 18.6% للعام نفسه³⁹¹.

هناك دراسات توصلت إلى أن التكنولوجيا لم تبرز خلال العقود الأخيرة من التنمية العربية كعنصر إنتاجي أو مساعد له، وإنما ظهرت كعنصر استهلاكي. وفي ذلك الإثبات القاطع على عدم فعالية النشاطات المبذولة لتشجيع الصرح الصناعي المطلوب لتحقيق الاعتماد التكنولوجي على الذات³⁹².

يتسم واقع العلم والتكنولوجيا في الأقطار العربية بالمحدودية، إذ يتضح من المؤشرات الأساسية أن سكان الوطن العربي يشكلون أكثر من 4% من إجمالي سكان المعمورة تحتل المرتبة الأخيرة بين المجموعات السكانية في العالم في عدد من المؤشرات مثل الإنفاق على البحث العلمي وعدد براءات الاختراع وحقوق التصنيع، ولم تتمكن الأقطار العربية خلال العقد الأخير من القرن الماضي من تنفيذ إستراتيجيتها لزيادة حجم الإنفاق على البحث والتطوير بصورة تدريجية لتصل إلى 0.5% من الناتج المحلي كحد أدنى و2% كهدف منشود لعام 1999 وذلك لأسباب عدة منها انخفاض نسبة النمو الاقتصادي وضعف دور القطاع الخاص في الاقتصاد

³⁹¹ التقرير الاقتصادي العربي لسنة 2001، ص 171- 172
³⁹² نوزاد، الهيتي. (2000) «فعالية نقل التكنولوجيا في التنمية العربية» مجلة التنمية الصناعية العربية، المنظمة العربية للصناعة والتعدين المغرب العدد 38، ص 38.

العربي عامة, واستمرار التوجه نحو شراء المعرفة والتقنية من الخارج في المشاريع الصناعية الكبيرة.³⁹³

مما تقدم يتضح تدني مساهمة القطاع الصناعي العربي في الناتج المحلي الإجمالي وانخفاض إنتاجية العامل العربي ولازالت الصناعة العربية متواضعة من حيث تلبيتها للاحتياجات العربية, كذلك ضعف القاعدة التكنولوجية للصناعة العربية من خلال ضعف حجم الاستثمارات واعتمادها على التمويل الخارجي وانخفاض الإنفاق على البحث والتطوير وانحسار المؤسسات الهندسية وضعف برامج التعليم والتدريب³⁹⁴.

واقع القطاع النفطي العربي, نشأت صناعة النفط العربية في منطقة غير متطورة صناعيا, وفي بلاد لم تتشكل فيها العلاقات الصناعية بعد, لذا كان باستطاعة قطاع النفط توفير الموارد المالية فقط, وهي موارد تتيح رفع حجم الاستثمارات بشكل نسبي ومطلق معا, وتتجه هذه الموارد إلى الخزانة العامة أساسا مما يتيح للقطاع العام توظيف استثمارات ضخمة يجب توظيفها أساسا في بناء القاعدة المادية للصناعة العربية, وتتيح موارد النفط أيضا رفع قيمة الاستهلاك العام, أي أبواب الموازنة العادية, التي ينالها نصيب من الأموال النفطية. وبعض هذه الأبواب ذو أثر إنمائي كإنفاق وزارة التربية, والوزارات ذات الصلة بالاقتصاد كالزراعة والصناعة والمواصلات.

ان هذا الوجه الاول لعلاقة النفط بالتنمية يشكل للوهلة الاولى دليلا قاطعا على اسهام النفط اسهاما كبيرا في التنمية الاقتصادية, ان دوره في التنمية الاقتصادية قد تعدى الحدود القطرية ليشمل الإطار القومي, وتستطيع الموارد النفطية دفع عجلة التنمية إلى الإمام في البلدان

³⁹³ التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2002 ص73
³⁹⁴ التقرير الاقتصادي العربي لسنة 2001 ص 171 - 172

العربية غير النفطية بواسطة القروض والمشاريع المشتركة والذي بدأ منذ ارتفاع أسعار النفط عام 1973، كذلك الحصول على الربح الخارجي عن طريق الأيدي العاملة للبلدان غير النفطية والتي هاجرت للعمل في البلدان العربية المنتجة للنفط وكذلك من خلال القروض التي تمنحها صناديق التنمية في الإمارات العربية المتحدة والكويت والمملكة العربية السعودية وغيرها.

وقد شهدت دول الخليج العربية تغيرات اقتصادية واجتماعية مهمة خلال عصر النفط كان من تأثيراتها الايجابية ارتفاع مستوى المعيشة، وانتشار التعليم وتحسن المستوى الصحي وزيادة الاتصال بالخارج، والاحتكاك بثقافات مختلفة والتمتع بمنتجات العالم وانجازاته التكنولوجية، وقد نقلت هذه التغيرات أقطار الخليج العربي من حال العسر إلى حال اليسر، فقد تدفقت منذ عام 1973 إلى دول الخليج العربية ثروة مالية غير مسبوقه بدلت كل مجالات الحياة فيها، وقد كان تأثير تلك التغيرات الايجابي تأثيرا كبيرا جدا، وان كان معظمه ينصب على الاستهلاك بسبب توزيع ريع النفط ونمط تخصيصه.

تعتبر الدول النفطية العربية النموذج الأهم لدول الربح، فالصادرات النفطية تشكل أكثر من 90% من واردات الموازنات وأكثر من 95% من واردات التصدير.³⁹⁵ أما نسبة اليد العاملة في القطاع النفطي ضئيلة جدا لا تتعدى اثنين أو ثلاثة في المائة سواء كانت في إنتاج الثروة النفطية أو في توزيعها. وتشكل هذه الثروة المنتجة ما بين 60 و 80% من الناتج القومي لتلك الدول³⁹⁶.

³⁹⁵- Beblawi.- The Rentier State in the Arab World – p. 89.

³⁹⁶- (المصدر نفسه)

إن الاعتماد الشديد على عائدات النفط يفق تلك الدول (المرونة اللازمة لمواجهة الأوضاع الاقتصادية والتكيف معها)³⁹⁷، إن السمة الأساسية لهذه الدول هي توزيع الربح وفقا إلى معايير سياسية اجتماعية محددة، ولاسيما طبيعة الأنظمة المعمول بها.

فالمنتفعون من التوزيع هم رعايا الدولة من دون سواهم، أما المقيمون فيها كعاملين في مختلف القطاعات الاقتصادية ومن جنسيات مختلفة، فلا حق لهم في الربح إلا في الأجور التي يتقاضونها، فعلى سبيل المثال، اليد العاملة الآسيوية في مختلف دول الجزيرة العربية حقها في الخدمات الاجتماعية هو أقل من حقوق رعايا الدول، وإن اليد العاملة الأجنبية سواء كانت آسيوية أو عربية أو غربية؛ هي أكثر عددا من مواطني الدول، التي يقطنونا وهذا قد يندرج بمشاكل سياسية واجتماعية في مستقبل قد لا يكون بعيدا.

فدول اليد العاملة الآسيوية كإندونيسيا وباكستان، قد تطالب في مستقبل قريب بتحسين الأوضاع الاجتماعية لرعاياها العاملين في دول الجزيرة العربية، وربما تمهد لتكريس حقوق سياسية فيها تؤثر في سياسات تلك الدول، بل قد تضطر إلى دعوة دول رعاية اليد العاملة إلى المشاركة في توزيع الربح.³⁹⁸ وهناك مستوى آخر من الربح في تلك الدول ألا وهو الربح الناتج داخليا عن الامتيازات الممنوحة للمقربين (وإذا ابتعدنا عن علاقة الثروة الخاصة بالخدمة العامة، فإن القطاع الخاص بمؤسساته الكبيرة وبخاصة العائلية منها كونت ثرواتها من قيم وقوانين الدولة الربعية، التي ساعدت على خلق ظروف تسمح لهذه المؤسسات باكتساب أنواع متعددة من الربح)³⁹⁹.

- الامم المتحدة , مسح للتطورات الاقتصادية في منطقة الاسكوا: 2002-2003 (نيويورك: الامم المتحدة، 2004)
397ص28
- زياد حافظ – دولة الرفاهية الاجتماعية – اوضاع الاقطار النفطية وغير النفطية- مركز دراسات الوحدة العربية. 2005 –
398ص433
399- جناحي، العقابية الربعية وتعارضها مع مقومات الدولة الديمقراطية- ص57

ثانياً: الرفاه الاجتماعي في الدول الاسكندنافية

لا يعد النمط الاسكندنافي متميزاً من بقية أنماط الرفاهية الاجتماعية، لأنه يمثل النموذج الأمثل (*An Ideal Type*) للنمط الشامل وحسب، بل بسبب التوليف الذي يعتمد: فهو يولف ما بين الاشتراكية والليبرالية من ناحية؛ وما بين السوق والاستخدام من ناحية ثانية. إن الشمول والتوليف اللذين شاعا وطبقا في البلدان الاسكندنافية: السويد، الدنمرك، فنلندا، النرويج، وأخيراً أيسلندا، أعطيا هذه المجموعة من البلدان الصغيرة سمات مشتركة للرفاهية الاجتماعية، لتستحق ما يمكن تسميته "الطريق الوسط" للتطور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وما يميز النمط الاسكندنافي من بقية البلدان الإمارات العربية، هو كون برامج الرفاهية في الأولى كانت قد قامت على أساس تحالفات واسعة بين الأحزاب السياسية والطبقات الاجتماعية، من ناحية؛ كما أن تدخل الدولة في كافة ميادين الرفاهية قام على أساس التعبئة من القاعدة، من ناحية أخرى، فكل من تعويضات المرض النقدية وضمانات البطالة نظمت على شكل صناديق ضمان طوعية مستقلة، غالباً ما أنشأتها النقابات ودعمتها الدولة في ما بعد. هذا النمط من الحركة الشعبية المنطلقة من القاعدة، كانت الأساس الذي قامت عليه، في ما بعد، التغطية الشاملة للسكان بالضمانات الاجتماعية⁴⁰⁰.

إن رسوخ وتطور نمط الرفاهية الاسكندنافي قد يعود إلى استناده إلى قاعدة شعبية واسعة، تلعب فيها مؤسسات المجتمع المدني دوراً نشيطاً، فالعمال والفلاحون والعمال الزراعيون والطبقات المتوسطة في هذه البلدان تنتمي إلى نقابات وأحزاب وجمعيات تمثل مصالحهم بكيفية واضحة وقوية. ولعب المفكرون دوراً بارزاً في بلورة المشاكل الاجتماعية التي عانى منها مواطنو هذه البلدان، ففي السويد، على سبيل المثال لا الحصر، ساهم المفكرون في

⁴⁰⁰ Olli Kangas and Joakim Palme, *Statism Eroded* ([n. p.: n. pb.], ?1993), pp.3-24.

كافة وجوه المسألة الاجتماعية، والجدول رقم (1) أدناه يوضح هذا الإسهام. لقد أخذ الخطاب الذي يتناول المسائل الاجتماعية يتزايد، منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين.

لكن إيقاع هذا الخطاب أخذ يتصاعد في أوائل القرن الماضي: تناول هذا الخطاب مسألة العمل والعمال، والأوضاع النفسية للمجتمع، والصحة الاجتماعية، والثقافة الشعبية، ومسألة الإسكان، والقضايا الاجتماعية العامة، والمسألة النسوية، والاشتراكية، والضرائب، والجمعيات التعاونية الاستهلاكية. والواقع، كان دور الانتلجنسيا مهماً سواء على مستوى نشر الوعي بالمسائل الاجتماعية أو على مستوى تفعيل منظمات المجتمع المدني.

إن انخراط المفكرين والمثقفين في الحركة الجماهيرية الواسعة وفي مؤسسات المجتمع المدني أعطى أبعاداً عقلانية للمطالب، ونشر الوعي بالحقوق الاجتماعية التي كان مواطنو الدول الاسكندنافية يقفون على عتبة تحقيقها، وهذا درس ينبغي التوقف عنده.

يطلق على النمط الاسكندنافي للرفاهية سمات كثيرة، والشائع منها: الطريق الوسط، والنمط الشامل، والرعاية السخية، ونمط تحقيق حقوق المواطنة الاجتماعية، ونمط ثنائية الكسب، ونمط السياسات الفعالة للاستخدام، ونمط الخدمات الواسعة... الخ. لكن من بين أهم هذه السمات هي شمولية الرفاهية الاجتماعية الاسكندنافية (*Universality*)، لأن هذه الأخيرة تتعلق أولاً بالعدالة الاجتماعية كمسألة ذات بعد إنساني وأخلاقي، وثانياً لأنها تتعلق بنزع سلعية الإنسان وتحريره من رقبة السوق (*De-commodification*) كمسألة تتعلق بكينونة الإنسان وازدهار شخصيته.

بدأ النمط الاسكندنافي، في أواخر القرن التاسع عشر، تطوعياً، بمعنى أن الجماعات أقامت مؤسسات للضمان الاجتماعي تعتمد على مساهمات أعضائها، وحصلت هذه المؤسسات،

لاحقاً، على دعم الدولة، لذلك كانت التعويضات متواضعة. هذه النشأة التطوعية، وليست الإلزامية كما في غالب البلدان الأوروبية، أعطت للرفاهية الاجتماعية طابعاً ودياً ينزع الى التعاون وليس الى الصراع، ولهذا تساهم كافة الطبقات الاجتماعية وفئاتها بتطوير الرفاهية الاجتماعية: يعتمد، هذا النمط، ويقوي آليات التحالفات الطبقية والسياسية⁴⁰¹، كما سنرى في ما بعد.

من الملك حتى المتسول، كما يقول كانغاس (*Kangas*) وبالمي (*Palme*)⁴⁰²، تشمل برامج الرفاهية الاجتماعية جميع مواطني البلدان الاسكندنافية: بدأت متواضعة، منذ أواخر القرن التاسع عشر، بفضل التحالف في ما بين العمال الزراعيين والعمال، وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية، لتصبح شاملة، بفضل التحالفات بين البرجوازية المتوسطة والعمال والفلاحين. هذه السياسة الاجتماعية أصبحت أيضاً مكوناً أساسياً من التكامل السياسي لهذه البلدان وتنسيق شروط سوق العمل المشتركة فيها، فبرامج الرفاهية ومستوى الضرائب تتفاعل مع التغيرات التي يشهدها سوق العمل. هذا التوسع في البرامج الشاملة يضم:

1- نظام التقاعد الأساس: فبعد الحرب العالمية الثانية، بدأت برلمانات كافة البلدان الاسكندنافية بالتخلص من أنظمة التقاعد السابقة: بدأت في السويد في الأربعينيات من القرن الماضي، ثم استمرت حتى منتصف الخمسينيات في بقية الدول الاسكندنافية، باستثناء أيسلندا

⁴⁰¹ Joakim Palme, *The Nordic Model and Modernization of Social Protection in Europe* ([n. p.: n. pb., 1999).

⁴⁰² Olli Kangas and Joakim Palme, "The Development of Occupation Pensions in Finland and Sweden: Class Politics and Institutional Feedbacks," in: Michael Shalev, ed., *Privatization of Social Policy* ([n. p.: n. pb.], 1996), pp. 211-240.

التي شرعت النظام الشامل في عام 1960 - 1970 مع بعض الشروط التي تقلل من الشمولية، بحسب أولفاسون (Olfasson) ⁴⁰³.

هذا النظام يضمن تقاعد أساس لكل المواطنين من كبار السن، ثم تضاف مبالغ وفقاً لسنوات الخدمة، وقد جاء هذا التطور استجابة للتطور الاقتصادي الذي شهدته هذه البلدان، حيث أصبحت في المنتصف الثاني من القرن أكثر تصنيعاً، مع تزايد أعداد العاملين برواتب والعاملين بالخدمات، هذا في الوقت الذي تناقصت فيه نسبة العاملين في القطاع الزراعي. هذه التغيرات البنيوية في قوة العمل تطلبت الاعتماد على النظام الشامل، من أجل تجنب قيام نمطين من الرفاهية، أحدهما يعتمد التقاعد الوطني الضئيل، والآخر على التقاعد المهني السخي الذي يقدم من قبل أصحاب العمل. كما أن نمط الإصلاح في سياسة التقاعد الشامل كان يستهدف خلق أوسع أساس سياسي لدعم الحماية الاجتماعية، لأنه يشمل الفلاحين والعمال الزراعيين والعمال الصناعيين بالنظام نفسه من الحماية، إلى جانب شموله للعمال اليدويين والعاملين برواتب في القطاعين العام والخاص على حد سواء.

2- شهدت المدفوعات النقدية للبطالة وللمرض تطوراً هاماً بعد أن اتخذت أساسها القانوني، خصوصاً بعد أن تقرر مستوى نسبتها من الأجر من ناحية، والفترة الزمنية التي بمقدور المريض أن يستفيد منها من ناحية ثانية. لكن الأهم في هذا الميدان هو كون تعويضات البطالة والمرض مسألة تتعلق بالدولة، وليست بأرباب العمل. تدفع دولة الرفاهية، في البلدان الإسكندنافية، التعويضات المرضية حتى بدون تقارير مرضية في الأسبوع الأول من غياب العاملين، كما هو الحال في السويد، ثم يصبح التقرير الطبي الذي يثبت الحالة المرضية ملزماً بعد ذلك. يبلغ التعويض 90% وأحياناً 100% بالنسبة إلى بعض التخصصات والمهن، وعلى

⁴⁰³ Stefan Olafsson , *The Icelandic Model of Welfare* ([n. p.: n. pb.], 1998).

الرغم من التعديلات التي أجريت على هذه النسب مؤخراً، إلا أن هذه التعويضات لا تزال عالية بالنسبة الى مستوياتها في البلدان الأوروبية الأخرى. بيد أن نظام التعويضات المرضية هو من مسؤولية دولة الرفاهية في النمط الاسكندنافي، الأمر الذي يجعل من هذا النظام وسيلة غير مكلفة لإعادة تأهيل العمل في أوقات الركود الاقتصادي من ناحية، وتحقيق زيادة الاستخدام المؤقت وتقليل نسبة البطالة من ناحية أخرى. يرى منتقدو هذا النظام أنه يشجع على التهرب من العمل ويشيع الكسل⁴⁰⁴، في حين يرى مؤيدوه أنه يمثل العلاقة السليمة بين العمل والترريح التي تنقرر بشبكة معقدة من أنشطة دولة الرفاهية وبرامجها⁴⁰⁵.

3- الخدمات الاجتماعية ونمط الكسب الثنائي: تقدم كافة البلدان الاسكندنافية دعماً شاملاً على أساس المواطنة، فكل برامج هذه الدول تؤكد استقلالية المرأة، لأن دعم العائلة يدفع للأمهات، بعكس ما هو قائم في باقي الدول الأوروبية، حيث يتمثل دعم الأطفال إما بمدفوعات للآباء مع الأجور أو بسماحات ضريبية من دخولهم⁴⁰⁶. الواقع، أدت برامج الدعم المتنوعة والشاملة إلى تحولات جذرية بوضع العائلة في الدول الاسكندنافية، فالقليل من النساء يعتمدن، في هذه البلدان، على دخل أزواجهن، وفي الوقت نفسه زادت مشاركة الآباء في تربية الأطفال، من أجل ترسيخ علاقة أبوية حميمة معهم في صغرهم من ناحية، وتحقيق المساواة بين الجنسين في تحمل المسؤوليات من ناحية أخرى. تقدم البلدان الاسكندنافية أفضل مثال للتحوّل من نمط العائلة التي تعتمد على الرجل المعيل إلى نمط ثنائية الإعالة، حيث اكتسبت المرأة، من خلال التعليم، المهارات والموارد التي تؤهلها للمساهمة في سوق العمل.

⁴⁰⁴ Zetterberg, *Before and Beyond the Welfare State*, pp. 51 -59 .

⁴⁰⁵ Esping – Andersen , *The Three Worlds of Welfare Capitalism*, pp. 155-157 .

⁴⁰⁶ Irene Wennemo , *Sharing the Costs of Children* ([n. p.: n. pb.], 1994).

إن التوسع في برامج رعاية الأطفال والمسنين هي حوافز للنساء المتزوجات للدخول في سوق العمل المدفوع، فنظام الرعاية الاجتماعي ونظام الضرائب القائم على الأساس الفردي شجعا على نشوء نظام الإعالة الثاني.

4- الخدمات الصحية: طورت البلدان الاسكندنافية نظاماً شاملاً للعناية الصحية، ومن حق كافة المواطنين، الأغنياء والفقراء، التمتع بهذه الخدمات على حد سواء، هذا النظام يقدم خدماته بمستويات راقية وبما يناسب أذواق الفئات الاجتماعية الغنية، لكن يستفيد منه الجميع. إن الخدمات الصحية الراقية تعد إحدى الوسائل التي ترضي تفضيلات دافعي الضرائب وتكسب قناعتهم بجدوى ما يدفعونه. يلقي نظام الرعاية الصحية الشامل دعماً واسعاً من مواطني هذه البلدان، الأمر الذي يفسر ضعف القطاع الخاص بهذا الميدان، هذا علماً أن الإنفاق على هذا القطاع هو قليل نسبياً بالمقارنة مع مثيله في البلدان الغربية، لذلك هنالك اهتمام شعبي واسع بشأن الموارد المخصصة لهذا القطاع من ناحية، وتمسك جماهيري عريض بضرورة الإبقاء على مستويات كافة عناصر الخدمات الصحية.

هنالك في الواقع العديد من برامج الرفاهية الاجتماعية في ميادين متنوعة تؤثر في مستويات الحياة في البلدان الاسكندنافية كالإسكان والتربية والتعليم، والكثير من التحويلات غير النقدية (*Non-cash income*)، تؤثر بدرجات متفاوتة في دخول المواطنين، حيث تظهر الدراسات المقارنة أن مستوياتها أعلى من مثيلاتها في الدول الغربية الأخرى⁴⁰⁷.

دفع العرب ثمنا باهظاً نتيجة التغيرات والتحويلات السياسية والاقتصادية التي حدثت في العالم، والتي من أهمها العولمة وتداعياتها على واقع عربي ممزق أصلاً يواجه كثيراً من

⁴⁰⁷ Elisabeth Steckmest , *Noncash benefits and income distribution*. ([n. p.: n. pb.], 1996), pp. 40 -58 (LIS).

الصراعات والتناقضات الداخلية ومزيديا من التحديات الخارجية, وكما يقول بعض خبراء الاقتصاد, فإنه لاشك في وجود مؤامرة على العالم العربي تستهدف إبقائه في حالة تخلف اقتصادي, وتآمر مماثل على الثروات العربية لجعلها ضعيفة مفتتة. لذا يرى الباحث أن الاقتصاد العربي أبعد ما يكون في تحقيق الرفاهية لشعوبها.

فقد فشلت التجارب العربية في إيجاد تكامل اقتصادي عربي بالرغم من ان فكر العمل العربي المشترك كان سابقا لمعظم الأفكار التي قادت التجارب العالمية للتكامل الاقتصادي, فعلى الرغم من إقرار جامعة الدول العربية لاتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دولها الأعضاء في عام 1957م ودخول الاتفاقية حيز التنفيذ عام 1964م وقيام مجلس الوحدة الاقتصادية العربية وإقامة السوق العربية المشتركة وتحقيق تلك السوق للكثير من النجاحات في مجال تعزيز التبادل التجاري في الستينات وبداية السبعينات, غير إن هذه التجارب تعرضت لنكسات وسلبيات عديدة أدت إلى تعطيل مؤسسات العمل العربي المشترك وتدهور معدلات التجارة وتراجع عملية التكامل الاقتصادي العربي.⁴⁰⁸

وقد ثبت أن هناك خلا هيكليا في أنظمة الاقتصاد العربي أدى إلى تراجع حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي, وزيادة معدلات البطالة بأشكالها المختلفة, وتفشي الأمية بين ما يزيد عن 40% من سكان العالم العربي, فكل من البطالة والأمية يهدر طاقة هائلة من سكان هذه الأمة, إلى جانب تفاقم مشكلة المديونية الخارجية إلى حد أثقل كاهل اقتصاديات معظم الأقطار العربية, باستثناءات محدودة جدا.

⁴⁰⁸ - لبنى وجدي الطحلاوي - مقالات - مجلة عالم الاقتصاد - 1 - 8 - 2002

كما أدى الى تطبيق برامج اصلاح هيكلية في عدة دول عربية في عقدي الثمانينات والتسعينات في مصر والمغرب وتونس والاردن على سبيل المثال, وليس من المتوقع أن يزيد معدل النمو في الناتج المحلي الاجمالي للعالم العربي عن 6.3% في المتوسط سنويا, وتحسن في نصيب الفرد بمعدل 3.1% سنويا, و1.1% من معدل الاستهلاك سنويا⁴⁰⁹.

ولغرض الايفاء بدراسة واقع الاقتصاد العربي, يجب التطرق الى اهم مفاصل القطاعات الاقتصادية المهمة في الوطن العربي :

1 – واقع القطاع الزراعي العربي...تبلغ مساحة الرقعة الجغرافية للوطن العربي حوالي 1402.45 مليون هكتار وتبلغ مساحة الاراضي القابلة للزراعة 198.20 مليون هكتار وفي عام 1996م بلغت مساحة الاراضي المزروعة 69.24 مليون هكتار, وتبلغ مساحة الاراضي الحراجية (الغابات) 74.31 مليون هكتار, وهي تشكل أقل من 5% من الرقعة الجغرافية للوطن العربي. أما بالنسبة للمراعي فتبلغ مساحتها 502.69 مليون هكتار. وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية المروية 11.13 مليون هكتار.⁴¹⁰

لقد بلغ متوسط الفرد من القوى العاملة الزراعية من الناتج المحلي الزراعي على مستوى الوطن العربي في عام 1980م نحو 1116 دولار. وبدرجة متفاوتة من قطر عربي لآخر, كما بلغ متوسط الناتج المحلي الزراعي من الاراضي المزروعة في عام 1980م على مستوى الوطن العربي حوالي 527 دولار للهكتار الواحد, وفي عام 1995م بلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي 2167.47 دولار, كما بلغ متوسط الفرد من الناتج الزراعي 284.04 دولار.⁴¹¹

409- فليح حسن خلف – أقتصاديات الوطن العربي – مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - 2004
410 - المنظمة العربية للتنمية الزراعية, قطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسلمكية في الوطن العربي عام 2000
411- من التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2000

يمثل سكان الريف في الوطن العربي حوالي 48% من مجموع السكان, تعتمد الغالبية العظمى منهم في نشاطها الاقتصادي على الزراعة. وكانت نسبة العمالة الزراعية في عام 1995م حوالي 36% من إجمالي القوى العاملة ويلاحظ تراجع هذه النسبة بسبب تزايد الهجرة من الريف الى المدينة الناجمة عن ضعف الخدمات الاساسية في الريف وتدني عوائد القطاع الزراعي بالمقارنة مع القطاعات الاقتصادية الاخرى.

تفاوتت نسبة العاملين في القطاع الزراعي الى إجمالي القوى العاملة من دولة الى اخرى, حيث ترتفع هذه النسبة في كل من الصومال وموريتانيا لتصل الى أكثر من 53% من إجمالي القوى العاملة, وفي بلدان اخرى كالسودان واليمن يمثل العاملون في الزراعة أكثر من نصف عدد القوى العاملة فيها, وفي مصر 30% وفي السعودية 15% وفي المغرب 40% وفي العراق 26% وتنخفض هذه النسبة في الاردن لتصل الى 15% ولا تتجاوز تلك النسبة 7% في الدول العربية ذات الموارد الزراعية المحدودة مثل الكويت والبحرين والامارات وقطر.

ويمكن قياس أوضاع التنمية الزراعية في الوطن العربي من خلال المؤشرات التالية :

1- متوسط قيمة انتاج العامل في القطاع الزراعي ويتم تحديد متوسط قيمة انتاج

العامل في القطاع الزراعي بالإستناد على عدد من العوامل أهمها :

سياسات تدريب العمالة والتركيب العمري للقوى العاملة.

مدى توفر عناصر الانتاج.

طبيعة علاقات الانتاج.

الاسعار الزراعية المحلية والعالمية.

علاقة قطاع الزراعة بقطاعات الاقتصاد الوطني الاخرى.

2- معدل نمو الانتاج الزراعي..... لقد تناقضت الاهمية النسبية للقطاع الزراعي في الناتج المحلي الاجمالي للاقتصاد القومي على مستوى الوطن العربي, ويرجع ذلك الى ان معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي الزراعي كان أقل من معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي في القطاعات الاقتصادية الاخرى, ووصل معدل نمو الناتج الزراعي خلال الفترة 1970 – 1980 أعلى مستوى له في ليبيا 11.1% تليها سوريا 8.3% ثم الكويت 7.4% وأقل من 5% في الدول الاخرى, واستمر هذا الاتجاه خلال حقبة الثمانينات والتسعينات من القرن السابق ولكن بنسب أقل. وكانت مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الاجمالي لمجموع الدول العربية في الاعوام 1990, 12.20%, وفي عام 1998, 13.83%. وفي عام 1999, 12.76%, وفي عام 2000, 11.32%.⁴¹²

3- الميزان التجاري للسلع الزراعية..... وصلت قيمة الواردات الزراعية العربية في عام 1981 حوالي 21.2 مليار دولار وقد تزايدت بمعدل سنوي قدره 26% خلال الفترة 1970-1980, في حين بلغت قيمة الصادرات الزراعية في عام 1981 حوالي 3.1 مليار دولار. وتجدر الاشارة الى ان نسبة قيمة الصادرات الزراعية الى قيمة الواردات الكلية قد بلغت حوالي 5% في عام 1979 ثم انخفضت الى نحو 2% في عام 1980, الامر الذي يشير الى ضآلة مساهمة الصادرات الزراعية في تمويل الواردات الكلية على مستوى جميع الدول العربية. وفي عام 1995 وصلت قيمة الواردات الزراعية العربية الى 23,117 مليار دولار.⁴¹³

ويمكننا تحديد اهم عوامل وأسباب تدني الانتاج الزراعي والانتاجية في الوطن العربي بحيث؛ معظم البلاد العربية يتم الاعتماد في على الزراعة المطرية, والتعرض لقسوة الظروف

⁴¹²- مصدر سابق (المنظمة العربية للتنمية الزراعية)

⁴¹³- منظمة الزراعة والاغذية للامم المتحدة, بيانات الحاسب الالي 2001

المناخية وتقلباتها وهذه مشكلة عامة لجميع البلاد العربية، محدودية المياه المستخدمة للري، خاصة في الاردن وفلسطين وتونس والجزائر وسوريا واليمن وجيبوتي والامارات والبحرين والسعودية وقطر والكويت، ازدياد ملوحة التربة والمياه الجوفية بسبب الاستنزاف الجائر للموارد المائية، وبالاخص في البحرين وعمان وفلسطين وموريتانيا.

زد على ذلك تدهور خصوبة التربة بسبب الزراعة والرعي الجائر، وهذه مشكلة عامة في جميع البلاد العربية، وموجودة في مصر في الاراضي الزراعية القديمة. استمرار وجود الضرائب المباشرة على الزراعة في بعض البلاد العربية، وكذلك الضرائب غير المباشرة الناجمة عن التأخر في تحرير أسعار العملات في بعض الحالات ايضا، ومن الامثلة على الضرائب المباشرة ضرائب العبور التي لاتزال تفرض في السودان على السلع الغذائية بالرغم من قرار الغائها.

، تخفيض الدعم المقدم الى المزارعين بسبب السياسات غير المدروسة، استمرار وجود الاسعار غير المجزية لبعض المنتجات الزراعية، مما ينعكس سلبا على قرارات المنتجين. ارتفاع تكاليف مستلزمات الانتاج، وبالاخص في مصر والاردن واليمن ولبنان. انخفاض مستوى المكنة الزراعية في جميع البلاد العربية لافتقارها للتكنولوجيا الحديثة. عدم توفر التقاوي والبذور المحسنة والمبيدات بالشكل الكافي، كما هو الحال في السودان والعراق وليبيا وموريتانيا والصومال واليمن. وكذا استمرار وجود الآفات الزراعية والامراض الحيوانية،

كما في السودان وموريتانيا والصومال، وعدم اعتماد برامج وقائية للحماية منها في بعض المواسم في باقي البلاد العربية. نقص توفر الاعلاف الحيوانية والمركزات منها، خاصة في المغرب والسودان والعراق واليمن. واخيرا استمرار الضعف في البنيات الخدمية والتسويقية للنشاط الزراعي.

ثالثا : النموذج التعاوني في الرفاه الاجتماعي بين دولة الامارات العربية والدول

الاسكندنافية

ان خصوصية كل دولة ليست بالضرورة ناجمة عن تاريخها ولا هي دائمة مستقرة الى غير رجعة, انما يأتي النموذج الطاغي في فترة تاريخية ما نتيجة لموازن القوى السياسية ونتيجة للتناقضات الخاصة بالنموذج الذي سبقه, فأصبحت المشاركة بين العمال وأرباب العمل هي أساس قانون العمل والضمان الاجتماعي. ونجد ايضا أن اعتماد النموذج الليبرالي لم يكن بالضرورة إرثا تاريخيا أنكلوساكسونيا بقدر ما جاء نتيجة لأزمة السياسات العمالية المتتالية, وبقدر ما جاء مزعزا لأسس الدولة الراحية السائدة في السبعينات⁴¹⁴.

في ميدان الإنفاق الاجتماعي نشهد تقاربا بين النموذجين الاسكندنافي والإمارات العربية اللذين يعتمدان على المؤسسات التي يمولها الانتاج ودخل العاملين الأجراء, والتي يديرها اطراف علاقات الانتاج بحيث تتضمن في صيغة تعادلية المؤسسات ممثلين عن نقابات العمال وممثلين لأرباب العمل. وتتبع هذه المؤسسات الادارية من إرادة الطرفين العمالي والرأسمالي الممثلين على صعيد الدولة والأقاليم بأعضاء النقابات الممثلة والمنتخبة من قبلهما. لكن الدولة وضعت لها اطارا تشريعيًا ينظم العلاقة بين الاطراف المتدخلة في إدارة صناديق الضمان الاجتماعي, وضوابط مالية لتأمين الشفافية في إدارة النفقات, والمتضمن في (قانون الضمان الاجتماعي), وقد ساهمت المؤسسات المركزية والدولة في توحيد أنظمة ضمان أجراء القطاع الخاص مهما اختلفت انتماءاتهم المهنية, وكذلك في توحيد شروط اقتطاع القسائم وشروط الانفاق وكيفيته وفقا الى جداول محددة⁴¹⁵.

⁴¹⁴- فؤاد نهرا, النموذج التعاوني لدولة الرفاه, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 2006, ص 211 بتصرف
⁴¹⁵- نفس المرجع سبق ذكره. ص 214

والجدير بالذكر أن ميزانية صناديق الضمان الاجتماعي تعتمد اساسا على الحصص المقتطعة من الاجور, وتعتمد على مصدر أساسي هو العمل, فعلى سبيل المثال يظهر كشف الاجور الفارق بين الأجر الإجمالي (أي قبل أقتطاع الحصص) وبين الأجر الصافي (بعد اقتطاعها, كما انه يظهر مدى اشتراك رب العمل في هذه الحصص. وفي قائمة الحصص المقتطعة تظهر نسبة كل نوع من أنواع التأمين, ولا سيما أن كل واحد منها يرتبط بصندوق ضمان مستقل له ميزانيته الخاصة⁴¹⁶.

يشكل هذا النموذج بديلا للنموذج المعتمد في الكثير من الدول الاوروبية ذات النهج الليبرالي أو الإجماعي الديمقراطي, حيث تقتطع ميزانية الضمان الاجتماعي من الميزانية العامة للدولة وتمولها شتى أنواع الضرائب ولا سيما الضريبة على الدخل, كما انه يتميز عن أنماط أخرى لامركزية من الضمان الاجتماعي ومنها: ⁴¹⁷

*- نمط التعاونيات المحلية والمهنية المتخصصة الذي أعمدته دول أوروبا الجنوبية في مرحلة أولى والتي أنتشرت في ظل الحكومات الفاشية السابقة متسببة في تفاوت بالغ بين أصناف الأجراء.

*- نمط الضمان الذي توفره المؤسسة الإنتاجية مباشرة, والذي يتميز أيضا باعتماده على الوحدات الصغيرة.

أما مبررات هذا النظام فمصدرها النظرية القائلة إن العمل هو مصدر الدخل والثروات, وهي مقولة يعود أصلها الى نظريتي ريكاردو وماركس, وغايتها إظهار الطبقة العاملة للمجتمع

⁴¹⁶- نفس المرجع سبق ذكره ص 214

⁴¹⁷ - Bruno Palier, Gouverner la securite sociale: Les Reformes du systeme francais de protection sociale depuis 1945.

أن الدخل الذي يقتطع لتأمين المخاطر الاجتماعية ما هو الا نتاج لعملها. أما الغاية التالية فتتمثل في الاصرار على إمتلاك هذا تدخل بصورة مباشرة عن طريق الصناديق ذات الطابع التعاوني الخاضعة لإدارة وإشراف المؤسسات التعادلية العمالية – الرأسمالية.

ولهذا النظام التعاوني أثر مهم وهو إرتباط الإنفاق الاجتماعي بمستوى الدخل, وتحديد مستواه ومعدله نسبة الى مستوى الأجور. وبمقتضى هذا المنطق يحدد مستوى الإنفاق على البطالة كنسبة معينة من مبلغ الاجور, على مدى فترة محدودة, كذلك الامر بالنسبة الى معاش الشيخوخة. لكن الإنفاق الصحي لا يرتبط بمستوى المعيشة وإنما بمقدار الحاجة الى المعالجة الطبية والاستشفائية.

وأستطرادا لا تتبنى الدولة إصلاحا ما لنمط الإنفاق أو الإدارة إلا وتستشير المؤسسات التعادلية التي تسير صناديق الضمان الاجتماعي, وإن كانت صلاحية هذه الأخيرة استشارية في الكثير من الامور في مثال فرنسا, إلا ان الدولة تستطيع ان تلعب دورا محوريا في حال تراكم عجز ميزانية صناديق الضمان الاجتماعي, ففي فرنسا اعتمدت هذه الاخيرة عام 1990 تشريعا يقر بلاستقلالية المالية لتلك الصناديق, مما يجعل تدخل الدولة لإنقاذها عملا استثنائيا غالبا ما يقابله ضغط عليها تمهيدا لمطالبتها بإصلاحات جديدة. إذا ليست استقلالية الضمان الاجتماعي عن ميزانية الدولة العامة ضمانا للحفاظ على حقوق الأجراء, وكذلك على مستوى الإنفاق الاجتماعي المرتجى, ولا سيما ان العجز أصبح مطردا في كل واحد من صناديق الضمان, وقد تجاوز عجز ميزانية الضمان الصحي في فرنسا 13,2 مليار يورو وهو رقم قياسي لم يشهد من قبل⁴¹⁸.

⁴¹⁸- التقرير التمهيدي لإصلاح ميزانية الضمان الاجتماعي الذي أعده مجلس الشيوخ الفرنسي في تشرين الثاني/ 2004.

نكتفي هنا بالمثل الفرنسي في ما يتعلق بالنموذج التربوي⁴¹⁹ لنبين كيف أنه كان شديد المركزية حتى منتصف الثمانينات, فوفقا لنموذجه الاصلي يعتبر هذا النظام من أشدها مركزية في أوروبا لأسباب هي:

*- أن تعيين الأساتذة والإنفاق عليهم وحتى تبديل مواقعهم يتم على مستوى الدولة المركزية التي تتولى هذه المهام بأسرها.

*- أن الإنفاق على المباني والمعدات كان يقع على عاتق الدولة المركزية حتى عام 1982 (الى حين المصادقة على قانون اللامركزية).

*- أن البرامج الدراسية للتعليم الابتدائي والثانوي تحدد بقة على مستوى وطني من قبل وزارة التربية.

*- إن شهادة نهاية التعليم الثانوي هي واحدة للجميع ولها قيمة مهما كانت المدرسة التي تخرج منها التلميذ.

*- إن الشهادات الجامعية تعتبر نظريا متساوية مهما كان موقع الجامعة.

وتعتمد الجامعات الرسمية على انفاق الدولة الذي يستمد مباشرة من الميزانية العامة المعتمدة في مجلس النواب وكذلك على إنفاق المجالس الإقليمية, لكنها لا تعتمد إلا بصورة جزئية على الاقساط الجامعية, كون هذه الاخيرة متواضعة نسبة الى تلك التي تفرضها الجامعات البريطانية والأمريكية.

يبقى أن ثمة اصلاحات أتت لتحث المؤسسات التربوية المدرسية والجامعية, للبحث عن شراكة مع المؤسسات الرسمية المحلية والإقليمية (المجالس الاقليمية والبلدية) والقطاع

⁴¹⁹- مرجع سبق ذكره (فؤاد نهرو)

الخاص. ويبقى أن مستوى تطور هذه الأخيرة لم يبلغ مستوى الشراكة التي تعرفها الجامعات الأنكلوساكسونية, وتظل هذه الشراكة هامشية, ولكن الفكرة ليست مستبعدة.

يبقى ان النظام التربوي أصبح الحقل الأساسي الذي توفر فيه الدولة الرعاية خدماتها الكاملة لأوسع شرائح المجتمع. إذ تنفق الدولة مباشرة على المدارس والجامعات والمعاهد الرسمية, وتتبنى سياسة نشطة في ازدياد قدرة الجامعات على استيعاب الأعداد المتزايدة للتلامذة والطلاب, لقد تأخر النظام التربوي الفرنسي عن الدول المجاورة في إصلاحاته الديمقراطية, إذ إنه لم يوفر بالفعل فرصة إكمال الدراسة الثانوية للجميع إلا بعد إصلاحات عام 1989, ولاسيما القانون الاطار الذي يدعو الى ضرورة حصول 80 % من الشباب على مستوى البكالوريا. يبقى ان الازدياد السريع لأعداد الطلاب الذي نتج عن هذا الاصلاح لم يقابله سياسة مناسبة للجامعات, إذ إن هذه الاخيرة ظلت تستوعب هؤلاء من دون شرط ولا امتحانات مسبقة, ما أدى الى تضخم عدد الطلاب وإلى الانخفاض التدريجي لمستوى هؤلاء, فعلى سبيل المثال ازداد عدد طلاب الجامعات في فرنسا بنسبة تفوق 250 % بين عامي 1970 و 1995. لقد أدى ذلك الى ارتفاع الكلفة الاجمالية للتعليم العالي في فرنسا, كما ان نسبة مردودية الطالب انخفضت بسبب ارتفاع معدلات الخروج والضياع, وإذ تبين الإحصاءات الاخيرة أن كلفة الطالب الواحد المتوسطة تقارب 7500 يورو.

ويشهد النظام الجامعي الفرنسي التناقضات التالية :

*- ارتفاع الكلفة الاجمالية للتعليم العالي مع انخفاض مستوى الاتفاق على الطالب الواحد الذي يظل أدنى من معدلات الدول الاوروبية الكبرى (6800 يورو للطالب مقابل ما لا يزيد على 1,000 يورو للطالب في دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية)⁴²⁰.

*- المستوى المتدني (نسبة الى الدول الأوروبية المجاورة مثل بريطانيا والمانيا) لرواتب الأساتذة الجامعيين والذين تدنت قدرتهم الشرائية بسبب التضخم والتجميد النسبي لرواتب الموظفين.

*- طغيان النزعة البيروقراطية في إدارة بعض الجامعات, وطيغان الحسابات الشخصية والسياسية (بالمعنى الاوسع للكلمة) وغياب آلية موضوعية لقياس الإنتاجية في ميدان التعليم والبحث العلمي, مع العلم أن تلك المقاييس وضعت في النظام الجامعي الأمريكي وأدت الى تناقضات سافرة.

وأخيرا يتميز النظام الجامعي الفرنسي بتركيبته الثنائية, إذ إن المعاهد المخصصة لتخريج النخبة المسيطرة سياسيا واقتصاديا تقع خارج النظام الجامعي, وتتميز بنزعتها النخبوية الشديدة, في حين تركت الجامعة للطبقات الوسطى, ما أدى إلى ما يسميه علماء الاجتماع بأنخفاض معدل صرف الشهادات بسبب تضخم هذه الاخيرة⁴²¹.

لكن وبالرغم من ما سبق يظل مستوى التعليم العالي في فرنسا مرتفعا للغاية بسبب مضمون التعليم وكثافة الدورات التدريسية والمستوى المرتفع للأساتذة الوافدين, بسبب شدة المنافسة.

⁴²⁰ - Jean Claude Hardouin et Geoges Septours (Les Couts du systeme educatif), Problemes economiques. 2004

⁴²¹ - Raymond Boudon, L, enegalite chances;la mobilite sociale dans les societies industrielles, Paris: 1984

تبيين مما سبق أن المؤسسات التي كانت في الستينات تؤمن استقرار المجتمع دخلت طور أزمته، لكن الحديث عن الأزمة يتطلب تلميحاً إلى المخارج والحلول، ولا سيما أن المحافظة على النظام كما هو لم يعد ممكناً على المدى المتوسط، لم يبق النظام الألماني والفرنسي بمعزل عن محاولات الإصلاح وأهمها الإصلاحات التي أحدثتها الحكومة الألمانية الأخيرة لنظامي الشيكوخة والبطالة على سبيل المثال. كما أن الحكومات الفرنسية المتتالية قدمت ردود فعل. ونجد عدة أنماط من الردود الإصلاحية، منها ما يقع على طرف العقيدة الاقتصادية الليبرالية المتجددة، ومنها ما يقع على خط يساري يقضي بتشديد القبضة على رأس المال. ومن أمثلة الإصلاحات التي تقع على الطرف الأول، إصلاح نظام تأمين البطالة الألماني الذي يلتحق إلى حد ما بالنظام البريطاني، حيث أن هذا الأخير ألغى التعويض المحدد على أساس الدخل السابق لصالح معونة الحد الأدنى التي قد تحذف في حال رفض العاطل عن العمل ثلاثة عروض للعمل، ومن أمثلتها فتح الباب أمام توفير جزء من معاش التقاعد عن طريق تشكيل رأسمال خاص **Retraites Par capitalisation** الذي لم يلق أصداءً إيجابية في المجتمع الفرنسي، ومن أمثلها أيضاً اقتراح بعض الاقتصاديين برفع رسوم التسجيل في الجامعات إلى ما يعادل نصف النفقة التي تقدمها الدولة لكل طالب⁴²².

أما الإصلاحات التي تقع على طرف التيارات اليسارية فتقتضي بتغريم الشركات التي تلجأ بصورة مستمرة إلى الصرف الجماعي للعمال، من خلال المطالبة باستعادة مساعدات الدولة ومن خلال فرض رسوم وغرامات خاصة. ونجد من بينها اقتراحات بإدخال ضريبة خاصة على المضاربات المالية في سوق الأسهم، وهي تسمى بضريبة توبين (نسبة إلى الاقتصادي الشهير)،

⁴²² - Vincent Vandenberghe, (L, Université and doit-elle être gratuite) Problemes économiques, 2004

كما اننا نجد اقتراحات تقتضي بتضييق الهوة بين الفئات الأكثر ثراء والفئات الأكثر فقرا انطلاقا من المشاهدة العيانية لظاهرة مضاعفة الثروات الكبرى⁴²³.

وإذ يظل الجدل قائما في المجتمعين الألماني والفرنسي, يبقى الإصلاح رهنا بموازين القوى السياسية, حيث أن ثمة عوامل قد تساهم في الحؤول دون الانتقال الى النظام الليبرالي الأنكلوساكسوني, وهي قوة تمسك الأجراء الفرنسيين بمنطلق الحفاظ على المكتسبات, ونفور غالبية الرأي العام من النموذج الليبرالي (مما دفع اليمين الفرنسي إلى الجهر بما يسمى بالنموذج الفرنسي) ووزن القطاع العام (حيث تستوعب قطاعات الدولة والمؤسسات الرسمية أكثر من 5 ملايين موظف) الذي يكون أول متضرر من الإصلاحات الليبرالية, لكننا لا بد أن نتساءل عما إذا كانت الضرورات الاقتصادية هي التي ستفند طاقات المجتمع من أجل تمرير الإصلاح الليبرالي, أم أن المجتمع السياسي الفرنسي سيكون قادرا على ابتكار نموذج جديد يستطيع ضبط قواعد التراكم والمنافسة الرأسماليين؟ الأمر متوقف على عوامل عدة منها قدرة القوى الاجتماعية على ابتكار نماذج جديدة وقدرتها على فرض الحلول على المستويين الأوروبي والعالمي⁴²⁴.

تختلف سياسات الرفاهية الاجتماعية في ما بين الدول الرأسمالية في الغرب, على الرغم من أن الهدف في كل هذه الدول هو تقليل التفاوت في ما بين فئات المجتمع, ومحاربة الفقر, وتحقيق درجة معينة من العدالة الاجتماعية. لكن, تتباين النظم والمؤسسات والوسائل في هذا الميدان, كما إن الآثار الاجتماعية والسياسية تتباين هي الأخرى, في ما بين هذه البلدان, فبعض هذه النظم ومن خلال سياسات الرفاهية, تعيد صياغة هوية الأفراد, وتخلق مصالح مشتركة في

⁴²³ - Jerome Gautie, (Protection de l'emploi: De la deregulation a la flexicurite), Problemes economiques, 2005

⁴²⁴ - مصدر سابق, فؤاد نهرا

ما بين الفئات الاجتماعية, لتؤدي في نهاية المطاف الى تحالفات سياسية, تدعم سياسات الرفاهية أو تضعفها. لقد حاول تيتموس (Titmuss) تصنيف دولة الرفاهية الاجتماعية في الغرب الى أنماط متعددة⁴²⁵: نمط المتبقي (Residual), حيث تتدخل الدولة حين تفشل الوسائل الأخرى (العائلة, الأقارب, الجيران, زملاء العمل....) بتدبير الحاجة, وفي هذا النمط يكون حضور الدولة مسألة مؤقتة بالنسبة الى حياة المواطن, أما النمط الثاني فهو المؤسسي (Institutional) الذي تقدم فيه عناصر الرفاهية (العناية بالأطفال, التعليم, العناية الصحية, العناية بكبار السن, التقاعد, خدمات النقل للكبار والمعاقين) التي هي حقوق يتمتع بها الجميع فحضور الدولة, بحسب هذا النمط, هو دائم ولجميع المواطنين, ويميز تيتموس ضمن النمط المؤسسي نوعين من الرفاهية الاجتماعية, أحدهما النمط الشامل (Universal) والآخر هو الانتقائي (Selective). يقوم الاول على أساس شمول جميع المواطنين بعناصر الرفاهية, فيما يقوم الثاني على أساس انتقاء الفئات الاجتماعية التي لها الحق بالتمتع بعناصر الرفاهية, خصوصا الفقيرة منها, والواقع ان الاختلاف والنقاش لايزالان محتدمين حول كفاءة كل منهما في تقليل التفاوت وتحقيق العدالة الاجتماعية, لكن من الملاحظ عموما أن البلدان الرأسمالية التي تنشط بها الاحزاب المسيحية الديمقراطية تميل الى نظام الانتقائية, فيما تميل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الى نظام الشمولية⁴²⁶.

لا يعد النمط الاسكندنافي متميزا عن بقية أنماط الرفاهية الاجتماعي, لانه يمثل النموذج الامثل (An Ideal Type) للنمط الشامل وحسب بل بسبب التوليف الذي يعتمده: فهو يولف ما بين الاشتراكية والليبرالية من ناحية, وما بين السوق والاستخدام من ناحية ثانية, إن الشمول

⁴²⁵ - Richard M. Titmuss, Social Policy: An Interoduction (London; Allen and Unwin, 1974) and Developing social policy in conditions change; the role of social welfare, pp. 254- 268.

⁴²⁶ - Hans L. Zetterberg, Befor and beyond the Welfare State: Three Lectures (Stockholm: City University 1995,pp 43-45

والتوليف اللذين شاعا وطبقا في البلدان الاسكندنافية: السويد , الدنمارك , فنلندا , النرويج, وأخيرا أيسلندا, أعطيا هذه المجموعة من البلدان الصغيرة سمات مشتركة للرفاهية الاجتماعية, لتستحق ما يمكن تسميته (الطريق الوسط) للتطور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وما يميز النمط الاسكندنافي عن بقية البلدان الاوربية, هو كون برامج الرفاهية في الاولى كانت قد قامت على اساس تحالفات واسعة بين الاحزاب السياسية والطبقات الاجتماعية, من ناحية, كما ان تدخل الدولة في جميع ميادين الرفاهية قام على أساس التعبئة من القاعدة, من ناحية اخرى, فكل من تعويضات المرض النقدية وضمانات البطالة نظمت على شكل صناديق ضمان طوعية مستقلة, غالبا ما أنشأتها النقابات ودعمتها الدولة في ما بعد, هذا النمط من الحركة الشعبية المنطلقة من القاعدة كانت الاساس الذي قامت عليه, في ما بعد التغطية الشاملة للسكان بالضمانات الاجتماعية⁴²⁷.

إن رسوخ وتطور نمط الرفاهية الاسكندنافي قد يعود الى إستناده على قاعدة شعبية واسعة, تؤدي فيها مؤسسات المجتمع المدني دوراً نشيطاً, فالعمال والفلاحون والعمال الزراعيون والطبقات المتوسطة في هذه البلدان تنتمي الى نقابات وأحزاب وجمعيات تمثل مصالحهم بكيفية واضحة وقوية. وأدى المفكرون دورا بارزا في بلورة المشاكل الاجتماعية التي عاناها مواطنو هذه البلدان, ففي السويد على سبيل المثال لا الحصر, ساهم المفكرون في مختلف وجوه المسألة الاجتماعية, فأخذ الخطاب الذي يتناول المسائل الاجتماعية يتزايد منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين , لكن ايقاع هذا الخطاب أخذ يتصاعد في أوائل القرن الماضي. حيث تناول هذا الخطاب مسألة العمل والعمال, والاضاع النفسية للمجتمع,

⁴²⁷ - Olli Kangas and Joakim Palme,(statism eroded? Labour-market Benefits and challenges to the Scandinavia Welfare State) in: Erik Jörgen Hansen; Welfare Trends in the Scandinavian countries (Armonk, NY: M. E.sharpe,1993, pp. 3-24

والصحة الاجتماعية, والثقافة الشعبية, ومسألة الاسكان, والقضايا الاجتماعية العامة, والمسألة النسوية, والاشتراكية, والضرائب, والجمعيات التعاونية الاستهلاكية⁴²⁸.

يطلق على النمط الاسكندنافي للرفاهية سمات كثيرة, والشائع منها: الطريق الوسط, والنمط الشامل, والرعاية السخية, ونمط تحقيق حقوق المواطنة الاجتماعية, ونمط ثنائية الكسب, ونمط السياسات الفعالة للاستخدام, ونمط الخدمات الواسعة... الخ, لكن من بين أهم هذه السمات هي شمولية الرفاهية الاجتماعية الاسكندنافية, لان هذه الاخيرة تتعلق :

*- اولاً : بالعدالة الاجتماعية كمسألة ذات بعد إنساني وأخلاقي.

*- ثانياً : لانها تتعلق بنزع سلعية الانسان وتحريره من ربة السوق كمسألة تتعلق

بكينونة الانسان وازدهار شخصيته⁴²⁹.

بدأ النمط الاسكندنافي في أواخر القرن التاسع عشر, تطوعيا, بمعنى أن الجماعات أقامت مؤسسات للضمان الاجتماعي تعتمد على مساهمات أعضائها, وحصلت هذه المؤسسات, لاحقا على دعم الدولة, لذلك كانت التعويضات متواضعة, هذه النشأة التطوعية وليست الإلزامية كما في غالب البلدان الاوروبية, أعطت الرفاهية الاجتماعية طابعا وديا ينزع الى التعاون وليس الى الصراع, ولهذا تساهم جميع الطبقات الاجتماعية وفئاتها بتطوير الرفاهية الاجتماعية. يعتمد هذا النمط ويقوي آليات التحالفات الطبقية والسياسية⁴³⁰. يقول كانغاس (Kangas) وبالميه (Palme)⁴³¹, ان برامج الرفاهية الاجتماعية تشمل جميع مواطني البلدان الاسكندنافية من

⁴²⁸ - هادي حسن, النموذج الاجتماعي الديمقراطي- دراسة مقارنة بين السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا, مركز الدراسات العربية, بيروت, 2006. ص 240

⁴²⁹ - نفس المرجع سبق ذكره ص 240

⁴³⁰ - Joakim Palme, The Nordic Model and Modernization of social protection in Europe (Copenhagen: Nordic Council of Ministers, 1999-2000).

⁴³¹ - olli Kangas and Joakim Palme (The development of Occupation Pensions in Finland and Sweden. 1996. Pp 211-240

رئيس الدولة حتى المتسول. بدأت متواضعة منذ أواخر القرن التاسع عشر, بفضل التحالف بين العمال الزراعيين والعمال الصناعيين, وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية, لتصبح شاملة, بفضل التحالفات بين البرجوازية المتوسطة والعمال والفلاحين. هذه السياسة الاجتماعية أصبحت أيضا مكونا أساسيا من التكامل السياسي لهذه البلدان وتنسيق شروط سوق العمل المشترك فيها, فبرامج الرفاهية ومستوى الضرائب يتفاعلان مع التغيرات التي يشهدها سوق العمل. وبهذا التوسع في البرامج الشاملة يضم :

1- النظام التقاعدي: فبعد الحرب العالمية الثانية, بدأت برلمانات مختلف البلدان الاسكندنافية بالتخلص من أنظمة التقاعد السابقة, بدأت في السويد في الاربعينات من القرن الماضي, ثم استمرت حتى منتصف الخمسينات في بقية الدول الاسكندنافية, باستثناء أيسلندا التي شرعت النظام الشامل في عام 1960 – 1970 مع بعض الشروط التي تقلل من الشمولية, بحسب أولفاسون (Olfasson), هذا النظام يضمن تقاعد أساس لكل المواطنين من كبار السن, ثم تضاف مبالغ وفقا لسنوات الخدمة. هذا التطور هو استجابة للتطور الاقتصادي الذي شهدته هذه البلدان, حيث أصبحت في المنتصف الثاني من القرن أكثر تصنيعا, مع تزايد أعداد العاملين برواتب والعاملين بالخدمات, هذا في الوقت الذي تناقصت فيه نسبة العاملين في القطاع الزراعي. هذه التغيرات البنيوية في قوة العمل تطلبت الاعتماد على النظام الشامل, من أجل تجنب قيام نمطين من الرفاهية, أحدهما... يعتمد التقاعد الوطني الضئيل, والآخر التقاعد المهني السخي الذي يقدم من قبل اصحاب العمل. كما ان نمط الإصلاح في سياسة التقاعد الشامل كان يستهدف خلق أوسع أساس سياسي لدعم الحماية الاجتماعية, لأنه يشمل الفلاحين والعمال الزراعيين

والعمال الصناعيين بالنظام نفسه من الحماية, الى جانب شموله العمال اليدويين والعمالين برواتب في القطاعين العام والخاص على حد سواء⁴³².

2- شهدت المدفوعات النقدية للبطالة وللمرض تطورا مهما بعد ان اتخذت أساسها القانوني, خصوصا بعد ان تقرر مستوى نسبتها من الاجر من ناحية , والفترة الزمنية التي بمقدور المريض أن يستفيد منها من ناحية ثانية, لكن الأهم في هذا الميدان هو كون تعويضات البطالة والمرض مسألة تتعلق بالدولة, وليس بأرباب العمل, تدفع دولة الرفاهية, في البلدان الاسكندنافية, التعويضات المرضية حتى من دون تقارير مرضية في الأسبوع الاول من غياب العاملين, كما هو الحال في السويد, ثم يصبح التقرير الطبي الذي يثبت الحالة المرضية ملزما بعد ذلك, يبلغ التعويض 90% وأحيانا 100% بالنسبة الى بعض التخصصات والمهن, وعلى الرغم من التعديلات التي أجريت على هذه النسب مؤخرا, إلا ان هذه التعويضات لاتزال عالية بالنسبة الى مستوياتها في البلدان الاوروبية الأخرى, بيد أن نظام التعويضات المرضية هو من مسؤولية دولة الرفاهية في النمط الاسكندنافي, الامر الذي يجعل من هذا النظام وسيلة غير مكلفة لإعادة تأهيل العمل في أوقات الركود الاقتصادي من ناحية, وتحقيق زيادة الاستخدام المؤقت وتقليل نسبة البطالة من ناحية أخرى, يرى منتقدوا هذا النظام أنه يشجع على التهرب من العمل ويشيع الكسل⁴³³. في حين يرى مؤيدوه أنه يمثل العلاقة السليمة بين العمل والترويح التي تقرر بشبكة معقدة من أنشطة دولة الرفاهية وبرامجها⁴³⁴.

3- الخدمات الاجتماعية ونمط الكسب الثنائي: تقدم مختلف البلدان الاسكندنافية دعما شاملا على أساس المواطنة, فكل برامج هذه الدول تؤكد استقلالية المرأة, لأن دعم العائلة يدفع

⁴³² - Stefan Olafsson, The Icelandic Model of Welfare, 1998.

⁴³³ - Zetterberg Befor and Beyond the Welfare State: Three Lectures, pp. 51-59

⁴³⁴ - Esping- Andersen, The Three Worlds of Welfare Capitalism, pp. 155-157

للأمهات بعكس ما هو قائم في باقي الدول الأوروبية، حيث يتمثل دعم الاطفال إما بمدفوعات للآباء مع الاجور، أو بسماحات ضريبية من دخولهم⁴³⁵.

والواقع أدت برامج الدعم المتنوعة والشاملة الى تحولات جذرية بوضع العائلة في الدول الاسكندنافية، فالقليل من النساء يعتمدن في هذه البلدان على دخل أزواجهن، وفي الوقت نفسه زادت مشاركة الآباء في تربية الأطفال، من أجل ترسيخ علاقة أبوية حميمة معهم في صغرهم من ناحية، وتحقيق المساواة بين الجنسين في تحمل المسؤوليات من ناحية أخرى، وتقدم البلدان الاسكندنافية أفضل مثال للتحول من نمط العائلة التي تعتمد على الرجل كمعيل، الى نمط ثنائي الاعالة، حيث اكتسبت المرأة من خلال التعليم المهارات والموارد التي تؤهلها للمساهمة في سوق العمل، إن التوسع في برامج رعاية الاطفال والمسنين هي حوافز للنساء المتزوجات للدخول في سوق العمل المدفوع، فنظام الرعاية الاجتماعي ونظام الضرائب القائم على الأساس الفردي شجعا على نشوء نظام الإعالة الثنائي.

4- الخدمات الصحية: طورت البلدان الاسكندنافية نظاما شاملا للعناية الصحية، ومن حق جميع المواطنين، الاغنياء والفقراء التمتع بهذه الخدمات على حد سواء، هذا النظام يقدم خدماته بمستويات راقية وبما يناسب أذواق الفئات الاجتماعية الغنية، لكن يستفيد منه الجميع، إن الخدمات الصحية الراقية تعد إحدى الوسائل التي ترضي تفضيلات دافعي الضرائب وتكسب اقتناعهم بجدوى ما يدفعونه. يلقي نظام الرعاية الصحية الشامل دعما واسعا من مواطني هذه البلدان، الأمر الذي يفسر ضعف القطاع الخاص بهذا الميدان، هذا علما أن الإنفاق على هذا القطاع هو قليل نسبيا بالمقارنة مع مثيله في البلدان الغربية، لذلك هنالك اهتمام شعبي واسع

⁴³⁵ - Irene Wennemo, sharing the costs of children: Studies on the Development of Family Support in the OECD Countries, Swedish Institute for Social Research; 25(Stockholm: Swedish Institute for Social Research, 1994.

بشأن الموارد المخصصة لهذا القطاع من ناحية، وتمسك جماهيري عريض بضرورة الإبقاء على مستويات جميع عناصر الخدمات الصحية. وهناك في الواقع العديد من برامج الرفاهية الاجتماعية في ميادين متنوعة تؤثر في مستويات الحياة في البلدان الاسكندنافية كالإسكان والتربية والتعليم، والكثير من التحويلات غير النقدية، تؤثر بدرجات متفاوتة في دخول المواطنين، حيث تظهر الدراسات المقارنة أن مستوياتها أعلى من مثيلاتها في الدول الغربية الأخرى⁴³⁶.

يتميز النمط الاسكندنافي في الاستخدام عن الأنماط الأخرى للرفاهية الاجتماعية من خلال مؤشرين: حصة الدولة من مجموع الاستخدام في الخدمات الاجتماعية (الصحة، التعليم وخدمات الرفاهية)، وحصة الدولة في الخدمات الاجتماعية من مجمل الاستخدام. يعبر المؤشر الأول عن علاقة القطاع العام والقطاع الخاص بميدان الرفاهية، ويعبر المؤشر الثاني عن درجة اعتماد الاستخدام الكلي على دولة الرفاهية ويلاحظ من الجدول رقم 1 أن مصفوفة دول الرفاهية في الغرب تتمحور في ميدان الاستخدام حول ثلاث أنماط هي: النمط الاسكندنافي (الدنمارك والسويد والنرويج وفنلندا)،

والنمط المحافظ (النمسا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا)، والنمط الليبرالي (كندا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية). يلاحظ من هذه المؤشرات أن النمط الاسكندنافي منخرط بدرجة أكبر من الأنماط الأخرى في مسألة الرفاهية الاجتماعية يليه النمط الليبرالي، وينخرط النمط المحافظ بدرجة أقل.

⁴³⁶ - Elisabeth Steckmest. (Non-cash Benefits and Income Distribution,) Working Paper no. 150. LIS Publications, Lucembourg. 1996. Pp. 40-85

الدولة	حصة الخدمات	حصة القطاع العام	الاستخدام الكلي (في المئة)
الدنمارك	28	90	25
النرويج	22	92	20
السويد	26	93	25
النمسا	10	61	6
فرنسا	15	75	11
ألمانيا	11	58	7
إيطاليا	12	85	11
كندا	15	44	7
بريطانيا	16	77	12
أمريكا	17	45	8

جدول رقم 11: دور دولة الرفاهية الاجتماعية في بنية الاستخدام حصة القطاع العام من الاستخدام في الصحة والتعليم وخدمات الرفاهية (نسب مئوية)

المصدر: Gøsta Esping- Andersen, Three Worlds of Welfare capitalism (Cambridge, UK: Polity Press.1990)

يلاحظ من الجدول أعلاه، أن الدولة الاسكندنافية تحتكر ميدان الرفاهية الاجتماعية، فالقطاع الخاص لا يساهم إلا بنسبة ضئيلة (أقل من 9%) فيما ترتفع مساهمة القطاع الخاص في أنماط دول الرفاهية الأخرى، ولذلك يطلق على النمط الاسكندنافي كونه نمط الاستخدام من الطراز الأول، لأن ما يقارب ربع قوة العمل على المستوى الكلي تخصصه الدولة لخدمات الرفاهية الاجتماعية، وهي تزيد من عرض العمل، فمعدلات الخروج من سوق العمل متدنية بين الكبار من الذكور، فيما ترتفع نسبة مساهمة النساء. والواقع هناك ما يشبه ظاهرة المضاعف في هذا الميدان: إن توسع الدولة في تقديم الخدمات الاجتماعية يسمح للنساء بالعمل لان الدولة تتعهد

بتربية الأطفال وتقديم خدمات الرعاية, كما إنها توسع بذلك سوق العمل, حيث بمقدور النساء الانخراط في الاستخدام⁴³⁷.

ان أحد اهم أهداف دولة الرفاهية الاجتماعية هو تقليل التفاوت في ما بين الطبقات والفئات في المجتمع, عن طريق إعادة توزيع الدخل, وبلوغ درجة معينة من العدالة الاجتماعية, ويتم تحقيق ذلك من قبل دولة الرفاهية بثلاث طرائق: إعادة التوزيع العمودي القائم على أساس أنظمة الضرائب (من الأغنياء الى الفقراء), إعادة التوزيع الافقي القائم على أساس دورة حياة الإنسان (التقاعد, مخصصات الأطفال, مخصصات الأبوة...), وأخيرا إعادة التوزيع على أساس المخاطر (مخصصات الضمان الصحي وحوادث العمل وتعويضات البطالة), وتنطوي هذه الاخيرة على درجة معينة من التوزيع العمودي, لأن مخاطر المرض وحوادث العمل والبطالة تكون عادة واسعة بين الأوساط الفقيرة من السكان, لكن أي سياسة لإعادة التوزيع تكون بالطبع موجهة الى الفئات المعوزة: أولئك الذين تعوزهم الموارد التي يمكن الحصول عليها من العائلة أو السوق⁴³⁸. ويمثل الاطفال النموذج الامثل لهذه الحالة, فهم لم يختاروا آباءهم الفقراء, ولايتحملون حتى اللوم عن بطالة أو مرض آباءهم, ولا حتى عن حوادث الطلاق التي تقع في ما بين آباءهم, ولهذا هم أحق من غيرهم من السكان بالرعاية الاجتماعية, ليكونوا مواطنين بالمعنى الحقيقي للمواطنة (التمتع بالحقوق الاجتماعية), والفئات الأخرى التي تكون معرضة للعوز هي كبار السن والنساء, الاولى بسبب تدني القدرة على العمل, والثانية بسبب زيادة معدلات الطلاق وأنخفاض معدل الولادات.

⁴³⁷ - Ola Sjoberg, Duties in the Welfare State, 2000, pp. 107-140

⁴³⁸ - Rawls, A Theory of justice, p. 20

إن السياسة الاجتماعية لدولة الرفاهية تؤثر بالتأكيد في إعادة التوزيع, فالسياسة الشاملة التي يطبقها النمط الاسكندنافي أدت الى التخلص من عوز الاطفال, بفضل الجمع ما بين المعونة السخية للأطفال ودعم العناية بهم, الامر الذي جعل من اليسير أيضا, للأممات إمكانية المساهمة في العمل والحصول على دخل, ولهذا تكون فئة الاطفال والنساء بمنأى عن العوز. أما بالنسبة الى كبار السن, فيوفر التقاعد الأساسي الشامل للمواطنين المصدر الذي يبعد عنهم العوز أيضا. هذه الوسائل تؤكد أهمية إعادة التوزيع الأفقي⁴³⁹.

لتقييم الإنجاز الأسكندنافي في ميدان العدالة الاجتماعية, جرى اختبار المبادئ الرئيسية لنظرية جون راولز في العدالة الاجتماعية, فتبين أن مواطني بلدان دول الرفاهية يفضلون الولادة والعيش في البلدان الاسكندنافية, بحسب معيار رؤية الفرد للنمط الاجتماعي المرغوب فيه, وبالنسبة الى انفتاحية الحراك على مستوى الدخل, تأكد أن الدول الاسكندنافية هي أكثر انفتاحا للحراك حتى من الولايات المتحدة الامريكية, على الرغم من أن مستوى الدخل أعلى في هذه الاخيرة, فالتفاوت العالي في الدخل لا يلغي مبدأ الاختلاف, بمعنى ان المعوزين يستفيدون من ارتفاع درجة التفاوت بسبب تعظيم كفاءة الاستفادة المرتبطة بمثل هذا التفاوت⁴⁴⁰.

تلك هي أهم سمات النمط الاسكندنافي في ميدان الرفاهية الاجتماعية, وعلى الرغم من كونه يتميز من بقية أنماط الرفاهية في ميدان العدالة الاجتماعية وفي درجة تحرير الانسان من ربقة السوق, ويكفي القول ان النمط الاسكندنافي للرفاهية الاجتماعية يوفر مستوى لانقا لتفتح الانسان وازدهاره.

⁴³⁹ - Palme, The Nordic Model and Modernization of Social Protection in Europe, p. 51

⁴⁴⁰ -op cit , pp. 62-63

خاتمة

تختلف سياسات الرفاه الاجتماعي في ما بين الدول الرأسمالية في الغرب, على رغم أن الهدف في كل هذه الدول هو: تقليل التفاوت في ما بين فئات المجتمع, ومحاربة الفقر, وتحقيق درجة معينة من العدالة الاجتماعية, لكن تتباين النظم والمؤسسات والوسائل في هذا الميدان, كما ان الآثار الاجتماعية والسياسية تتباين هي الاخرى في ما بين هذه البلدان, فبعض هذه النظم ومن خلال سياسات الرفاهية, تعيد صياغة هوية الافراد, وتخلق مصالح مشتركة في ما بين الفئات الاجتماعية, لتؤدي في نهاية المطاف الى تحالفات سياسية تدعم سياسات الرفاهية أو تضعفها.

لا يعد النمط الاسكندنافي متميزا عن بقية أنماط الرفاهية الاجتماعية, لأنه يمثل النموذج الأمثل للنمط الشامل وحسب, بل بسبب التوليف الذي يعتمده. فهو يولف ما بين الاشتراكية والليبرالية من ناحية, وما بين السوق والاستخدام من ناحية ثانية, إن الشمول والتوليف اللذين شاعا وطبقا في البلدان الاسكندنافية. السويد, الدنمارك, فنلندا, النرويج, وأخيرا آيسلندا, أعطيا هذه المجموعة من البلدان الصغيرة سمات مشتركة للرفاهية الاجتماعية, لتستحق ما يمكن تسميته " الطريق الوسط " للتطور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وما يميز النمط الاسكندنافي عن الامارات العربية, هو كون برامج الرفاهية في الأولى كانت قد قامت على أساس تحالفات واسعة بين الأحزاب السياسية والطبقات الاجتماعية, من ناحية, كما أن تدخل الدولة في جميع ميادين الرفاهية قام على أساس التعبئة من القاعدة, من ناحية أخرى, فكل تعويضات المرض النقدية وضمانات البطالة نظمت على شكل صناديق ضمان طوعية مستقلة, غالبا ما أنشأتها النقابات ودعمتها الدولة في ما بعد, هذا النمط من الحركة الشعبية المنطلقة من القاعدة كانت الاساس الذي قامت عليه في ما بعد التغطية الشاملة للسكان بالضمانات الاجتماعية⁴⁴¹.

كما ان رسوخ وتطور نمط الرفاهية الاسكندنافية قد يعود الى استناده على قاعدة شعبية واسعة, تؤدي فيها مؤسسات المجتمع المدني دورا نشيطا, فالعمال والفلاحون والعمال الزراعيون والطبقات المتوسطة في هذه البلدان تنتمي الى نقابات وأحزاب وجمعيات تمثل مصالحهم بكيفية واضحة وقوية. وأدى المفكرون دورا بارزا في بلورة المشاكل الاجتماعية التي عانى منها مواطنو هذه البلدان. إن انخراط المفكرين والمثقفين في الحركة الجماهيرية الواسعة

⁴⁴¹ - Olli Kangas and Joakim Palme: (Statism Eroded? Labour-market Benefits and Challengesto the Scandinavian Welfare States). 1993, pp. 3-24

وفي مؤسسات المجتمع المدني أعطى أبعاداً عقلانية للمطالب, ونشر الوعي بالحقوق الاجتماعية التي كان مواطنوا الدول الإسكندنافية يقفون على عتبة تحقيقها.

الفصل الرابع

استراتيجيات الرفاه الاجتماعي

"نموذج الإمارات العربية المتحدة"

تقديم

يعتبر الرفاه اليوم موضوع العصر، وهو موضوع الحال في العديد من الكتابات السوسيولوجية والانثربولوجية والفلسفية والنفسية وكل ما له ارتباط بالموضوع. إن الرفاه اليوم أصبح رؤية وسياسة إستراتيجية تنهجها الدولة من أجل بناء جيد لجودة الحياة وحسن اداءها، وهذا يبدو طبيعيا في الشركة التي تسعى إلى تحقيق الرضا الكامل لجميع أعضائها. بعد مرحلة من النمو القوي الذي سمح بالوصول إلى الاستهلاك من الكتلة، وتتحول مخاوف المواطنين إلى ما من المفترض أن يخدم: الرفاهية. يجب علينا الآن التمييز بين الرفاهية الفردية، على سبيل المثال عن طريق الإعلان، ورفاهية الجميع. هذه الفكرة الأخيرة قدمت من قبل مجلس أوروبا في إستراتيجيته المنقحة للتماسك الاجتماعي حيث أن الهدف النهائي للمجتمع الحديث يؤكد ذلك لا يمكن تحقيق الرفاه إذا لم يتم تقاسمها. جزء من الإنساني لا يمكن العيش بشكل جيد إذا كان الآخر في بؤس أو إذا نجح على حساب الأجيال القادمة، توريث لأطفاله و أحفاد العالم غير مؤكد مع الموارد الفقيرة.

تصبح هذه الحقيقة أكثر وضوحا في عالم معولم، يتميز بالترابط بين الشعوب وبين الأجيال، وينبع من تعبير المواطنين أنفسهم. حتى في مشاريع طورها مجلس أوروبا مع بعض البلديات والجهات الفاعلة المحلية، وإعطاء للسكان، والعمال، وطلاب المدارس الثانوية، الخ الفرصة للتعبير عن أنفسهم على رفايتهم، في العلاقة مع الآخر، والأرصدة وأشكال المسؤولية والالتزام تعبر عن نفسها دائما كأبعاد رئيسية للرفاهية. بعد أربع سنوات من اعتماد إستراتيجية التماسك المنقحة وتعميقها من قبل فريق عمل رفيع المستوى على التماسك الاجتماعي في القرن 21، والبحث عن رفاه للجميع في التشاور والمشاركة أصبحت أكثر فأكثر طريقة أساسية لإقامة

مجتمع من الحقوق والمسؤوليات مشترك. هذا الحجم من "اتجاهات في التماسك الاجتماعي" يجعل من الممكن تقييم هذه القضية، بناء على النتائج العمل الذي تقوم به شعبة لتنمية التماسك البحوث الاجتماعية وغيرها التي أجريت في مكان آخر. وعليه فأننا في هذا البحث سنحاول الوقوف عند اهم تجليات الرفاه الاجتماعي بالعمل على خلخلة الموضوع والبحث عن سبل الارتقاء به وتجويده.

المبحث الأول: سياق الموضوع واهميته
إن المقصود بموضوع البحث "المجال المعرفي الذي يختاره الباحث لانتقاء إشكالية محددة منه لتكون الموضوع الذي سيبحث فيه"⁴⁴².

لذلك فإن الخطوة الأولى في كل بحث اجتماعي هي تحديد الموضوع المراد دراسته، "فتحديده يسمح لنا بتأطير المعلومات"⁴⁴³، من هذا المنطلق وحتى لا نصدر أية أحكام قيمة قد تعرج بالموضوع قيد البحث والدراسة عن موضوعيته العلمية، فإن بحثنا هذا يتمحور حول "استراتيجيات الرفاه الاجتماعي؛ الإمارات العربية المتحدة نموذجاً" على اعتبار أن هذا النوع من المواضيع يشكل أرضية للنقاش التي طفت على السطح نظراً لحاجة المجتمعات والدول إلى إعادة تأهيل الرأسمال البشري.

هذا بالموازاة مع التحولات الاجتماعية وبالأخص السياسية، والتي شهدتها ولا زالت تشهدها العديد من الدول العربية والعالمية في ظل البحث عن نموذج قار للرفاه الاجتماعي أو النزوح إلى الافتراضي. وعليه، فدراسة الرفاه الاجتماعي والإنساني بشكل عام وتحسين جودة

⁴⁴² أبراش، إبراهيم. (2008)، المنهج العلمي و تطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر و التوزيع، الطبعة الاولى، ص 223.

⁴⁴³ باسكون، بول. ترجمة أحمد عريف، وراجعة أحمد الرضواني، (1989) إرشادات علمية لإعداد الرسائل والأطروحات الجامعية - مخصص للطلبة - بحث في العلوم الإنسانية، الرباط، ص 12.

الحياة ومساعدة البشرية على تحقيق مشاريعها الاجتماعية وغيرها، تعتبر على جانب كبير من الأهمية للأسباب التالية:

1. كون أن الإنسان في بحث مستمر عن الاستقرار والأمر والرفاه وحاجته إلى الانتماء الذاتي والاجتماعي، وحاجته إلى إشباع وتلبية رغباته وطموحاته. ونظرا لهذه الأهمية، فقد أكدت معظم النظريات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، على أهميتها نظرا لما يتحقق لدى الفرد من استقرار.

2. تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال دور اهتمام الأفراد في تجويد حياتهم والسهر على أهميتهم الخاصة أو رفاهية الآخرين، له من الأهمية ما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

3. تستمد هذه الدراسة أهميتها كذلك، في اتجاه العديد من الدول في العالم اليوم إلى، التميز وتركيز توجهاتها نحو بناء الرأسمال البشري، وهذا يعتمد على توفير قدر مهم من الرفاه للأفراد وحياة ذات جودة .

الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 وتحولات الفكر الاقتصادي

أدت الأزمة الاقتصادية الحادة التي ضربت العالم الصناعي بعد انهيار سوق الأوراق المالية في "وول ستريت" عام 1929 والبطالة الشاملة التي تلتها، إلى تغيير جذري في هذا التوجه⁴⁴⁴. لأول مرة كان هناك خطر حقيقي يهدد النظام الاجتماعي القائم من قبل العاطلين عن العمل والمُشردين الذين أبدوا الحركات السياسية الراديكالية⁴⁴⁵.

⁴⁴⁴ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 119.

⁴⁴⁵ نفس المرجع السابق ذكره، ص 119.

إن الحلول الاقتصادية التقليدية غير قادرة على حل هذه الأزمة الاقتصادية. إن الحاجة إلى البحث عن توجّه اقتصادي يحفظ استقرار الاقتصاد الرأسمالي، وكذلك الحاجة إلى خلق جهاز رفاهية يحفظ الحد الأدنى من البقاء لمن لا يستطيعون العمل رغما عنهم، ولدت دولة الرفاه، وبالفعل مع نهاية الثلاثينات وُضعت أسس دولة الرفاه في عدة دول⁴⁴⁶.

إما على هيئة برنامج "نيو ديل" الذي بادر إليه فرانكلين روزفلت في الولايات المتحدة، أو على هيئة إطار مفهوم "بيت الشعب" في السويد، أو على هيئة قوانين الرفاه المختلفة التي تم اعتمادها في دول أخرى⁴⁴⁷.

لقد قطع اندلاع الحرب العالمية الثانية هذه العملية من ناحية، ولكن من ناحية ثانية فإنّ ويلات الحرب المريعة، التي عاشها مواطنو أوروبا الغربية والشعور بالمصير المشترك الذي نشأ خلال الحرب، إضافة إلى الرغبة في خلق مجتمع أفضل في أعقابها، أوجدت جميعها أرضية مواتية لمأسسة دولة الرفاه بعدما وضعت الحرب أوزارها. ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح الحديث ممكنا وبحق عن: "عهد دولة الرفاه"⁴⁴⁸.

يرتبط النموذج الأصلي لدولة الرفاه باسم بريطانيين هما: جون مينارد كينز ووليم بفريدج. ذهب عالم الاقتصاد كينز في مؤلفاته في نهاية الثلاثينات إلى أنّ الطريق الوحيدة التي تستطيع الدولة الرأسمالية بواسطتها البقاء هي من خلال التّدخل الحكومي من أجل استقرار السوق الحرّة. لقد زعم كينز أنّه ينبغي على الحكومة، بواسطة ميزانيّتها، أن توجّه وتُساعد السوق في نشاطها وأن تضمن التّشغيل التام، وإنّه يُمكن التوصل إلى استقرار السوق والتّشغيل

⁴⁴⁶ نفس المرجع السابق ذكره، ص 119.

⁴⁴⁷ نفس المرجع السابق ذكره، ص 119.

⁴⁴⁸ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 119.

التام من خلال النمو الاقتصادي المتواصل الذي يُمكن ضمانه بواسطة الاستثمارات الحكومية، المدفوعات التحويلية للمواطنين بواسطة جهاز الرفاه والاستعداد لخلق عجز في الميزانية أثناء فترات الركود الاقتصادي.

وفقاً لتقرير التنمية البشرية في عام 2009، الذي يقوم على 3 أعمدة رئيسية تتمثل في : الدخل، الصحة، والتعليم، ويغطي 182 دولة، جاءت النرويج في المرتبة الأولى، بينما لم تكن من العشر الأول في ترتيب "جودة الحياة"، واحتلت فرنسا التي جاءت في المرتبة الأولى في "جودة الحياة" المرتبة الثامنة في تقرير التنمية البشرية⁴⁴⁹.

أما البلدان العربية فقد جاءت الكويت في مقدمتها، إذ احتلت المرتبة 31 عالمياً، ثم قطر في المرتبة 33 عالمياً، ثم الإمارات 35 واعتبرت هذه البلدان من بلدان التنمية البشرية المرتفعة جداً، أما البحرين فقد احتلت في تصنيف التنمية البشرية المرتفعة المركز 39 عالمياً، تلتها ليبيا في المرتبة 55 ثم عُمان 56، فالسعودية 59، ثم لبنان 83، وجاءت بعد ذلك الدول العربية في تصنيف التنمية البشرية المتوسطة، واحتل الأردن المرتبة 96 عالمياً⁴⁵⁰.

أما تونس التي جاءت على رأس البلدان العربية في مقياس جودة الحياة، فقد جاءت في المرتبة 98 في مقياس التنمية البشرية، واحتلت الجزائر المرتبة 104، تلتها سوريا 107، ثم

⁴⁴⁹ قراءة في تقرير (2010) "جودة الحياة" لعام 2010 مجلة أخبار الخليج، العدد 11694 الثلاثاء 30 مارس، متاح على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.aaknews.com/ShowArticle.aspx?X=7A5470547554715476547C6475547E647764282A217WIDE71727170717C7171717878287A5470547554715476547C6475547E647764>

⁴⁵⁰ قراءة في تقرير (2010) "جودة الحياة" لعام 2010 مجلة أخبار الخليج، العدد 11694 الثلاثاء 30 مارس، متاح على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.aaknews.com/ShowArticle.aspx?X=7A5470547554715476547C6475547E647764282A217WIDE71727170717C7171717878287A5470547554715476547C6475547E647764>

فلسطين 110، ثم مصر 123، والمغرب 130، وجزر القمر 139، واليمن 140، والسودان 150، وموريتانيا 154، وجيبوتي⁴⁵¹ 155.

ارتبط اسم وليم بفريدج بدولة الرفاه بشكلٍ أساسيٍّ بفضل وثيقةٍ قدّمتها للحكومة البريطانية عام 1924 تتناول تنظيم خدمات الرفاه في الدولة، وأطلق عليها اسم: "خطة بفريدج"، كانت هذه الخطة في الحقيقة خطة عمل من أجل تكوين دولة رفاه⁴⁵².

ذهب بفريدج في الوثيقة إلى أنه يمكن مكافحة العوز والقضاء على الفقر بواسطة خلق تشغيل تام وإقامة جهاز شموليٍّ للضمان الاجتماعي يكفل لكل إنسان الحق الأدنى من أجل البقاء وحرية الحصول على خدمات الرفاه، التربية، والصحة بغض النظر عن دخله⁴⁵³.

إن ما يميز خطة بفريدج يكمن في أنها اقترحت جهازاً يخدم كل المواطنين ويموله الجميع، لم يعد هناك جهاز معونة يخدم المحتاجين وهامش المجتمع فحسب، بل جهازاً يقدم لكل فرد في المجتمع، بغض النظر عن مكانته أو وضعه، الشروط التي تكفل بقاءه بكرامة منذ يوم ولادته وحتى يوم وفاته. استطاع بفريدج بفضل خطته أن ينقل الاهتمام بهذه المواضيع من هامش حلبة الجدل السياسي والمجتمع إلى مركز المسرح السياسي والاجتماعي⁴⁵⁴.

سعى بفريدج منذ البداية قاصداً إلى خلق شعور في أوساط المواطنين - على مختلف طبقاتهم - بأن لهم مصلحة مباشرة في جهاز ضمان اجتماعي غير مخصص للفقراء والمساكين فحسب، بل يمنح الحقوق الاجتماعية والأمن لكل مواطني الدولة. وبعبارة أخرى إن خطة بفريدج

⁴⁵¹ نفس المرجع السابق ذكره.

⁴⁵² عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 119.

⁴⁵³ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 120.

⁴⁵⁴ نفس المرجع السابق ذكره، 120.

عبارة عن خطة عالمية، خطة لا تشرط استحقاقها باختبارٍ يفحص حاجة الإنسان، بل تمنح الخدمات لكل المواطنين على أساس عالمي⁴⁵⁵.

لقد حظيت خطة بفريدج، التي صدرت في أسوأ المراحل التي مرّت بها بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية، بشعبية فائقة. لم تتحمس الحكومة البريطانية برئاسة تشرشل في بداية الأمر إلى توصيات بفريدج، لكنّها اضطرت، إلى تبني التقرير بأكمله، إن هذه الردود تجاه التقرير على ما يبدو نبعت من التوقيت الذي نُشر فيه التقرير والمغزى الذي نُسب إليه، لقد منح التقرير للشعب البريطاني المبرر لمواصلة الحرب متمثلاً في الأمل بمجتمع أفضل يتم إنشاؤه بعد إحراز النصر⁴⁵⁶.

كانت الأعوام الثلاثين التي أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية بمثابة سنوات ازدهار دولة الرفاه، اعتمدت كلّ الدول الرأسمالية في أوروبا، وأمريكا، وأستراليا سياسة دولة الرفاه، على الرغم من أنّ تقرير بفريدج لم يطبق بحذافيره في أيّ دولة، ولا حتى في بريطانيا، إلاّ أنّه أصبح مصدر إلهامٍ لخطة إعادة بناء الدول، التي شاركت في الحرب⁴⁵⁷.

لقد حفز النمو الاقتصادي السريع الذي ميّز تلك الأنظمة الاقتصادية في الخمسينات والستينات، مشاعر التضامن، التي نمت خلال فترة الحرب، وطموح واضعي السياسات في هذه الدول على خلق مجتمعاتٍ تُوفّر لمواطنيها العمل ومستوى معيشةٍ جيّد أفضل من الدول الشيوعية، التي تقبع خلف الجدار الحديديّ، جميع هذه العوامل حفزت على تطوّر دول رفاه شاملة في كلّ الدول الديمقراطية الصناعية⁴⁵⁸.

⁴⁵⁵ نفس المرجع السابق ذكره، 120.

⁴⁵⁶ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً،

مرجع سبق ذكره، ص 120.

⁴⁵⁷ نفس المرجع السابق ذكره، 121.

⁴⁵⁸ نفس المرجع السابق ذكره، 121.

لقد طبقت كل هذه الدول بشكلٍ أو بآخر برامج ضمان اجتماعي، ووفّرت للمواطنين الحماية من الأخطار المختلفة، وطوّرت أجهزة للإسكان، للصحة والتربية الرسمية الشاملة، كما أوجدت أجهزة رفاه ومعونة خاصة وعملت على الحد من الفقر وتقليص الفجوات الاجتماعية. لقد أوجد النمو الاقتصادي الحثيث في هذه الدول، الذي استند إلى مفاهيم كينز الاقتصادية، والتشغيل التام الذي امتازت به معظمها، أوجد إجماعاً واسع النطاق حول دولة الرفاه ومفاهيمها وأتاح إنفاق مصروفات طائلة مقابل خدمات الرفاه الحكومية⁴⁵⁹.

كانت دول الرفاه قد أنفقت عام 1960 نحو عُشر مصروفاتها على الخدمات الاجتماعية، فإنَّ معدّل المصروفات على الشؤون الاجتماعية في دول الرفاه قد تضاعف عام 1975 إلى نسبة أكثر من 20% من الناتج المحلي الإجمالي، في مطلع سنوات الثلاثين كان فقط نصف السكان العاملين مؤمنين ضدّ الخسائر، التي قد تلحق بمدخولاتهم نتيجة إصابة عمل، أو البطالة أو الشبخوخة، بينما نجد (عام 1975) أنّ 90% من القوى العاملة في عام 1975 قد حظيت بتغطية كاملة ضدّ هذه المخاطر⁴⁶⁰.

ولكن هذا التطور السريع والشامل الذي طرأ على دول الرفاه تباطأ كثيراً بدءاً من منتصف السبعينات. إن أزمة النفط التي أصابت العالم الصناعي عام 1973 نتيجة للمقاطعة التي فرضتها الدول المنتجة للنفط، أدى إلى تباطؤ النمو الاقتصادي وتناقص فرص العمل، كلّ هذا فاقم الأزمة الاقتصادية في تلك الدول⁴⁶¹.

⁴⁵⁹ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 122.
⁴⁶⁰ نفس السابق ذكره، ص 122.
⁴⁶¹ نفس السابق ذكره، ص 122.

أضف إلى ذلك أن استمرار الانخفاض في معدّل الولادة منذ انتهاء الحرب العالميّة الثانية ومقابل ذلك ارتفاع معدّل الحياة، قد أدّى إلى تغيير ديموغرافي هامّ، يتمثّل في ارتفاع ملحوظ بنسبة السكّان المسنّين وتراجع في القوى العاملة. أدت الأزمة الاقتصاديّة والتغيّرات الديموغرافيّة، إلى تزايد كبير في عدد المواطنين في دول الرّفاه الذين يحتاجون إلى خدمات الرّفاه، وإلى انخفاض في مصادر التّمويل التي يمكن بواسطتها تمويل مثل هذه الخدمات. هذه العمليّة التي يُطلقُ عليها أحياناً اسم: "أزمة دولة الرّفاه"، أثارت تساؤلاتٍ حادّة حول مفهوم دولة الرّفاه، وحول الفرضيّات الاقتصاديّة والاجتماعيّة الأساسيّة التي تقوم عليها وحول تطوّرها في المستقبل⁴⁶².

من الواضح للغاية بعد مضيّ عقدين على اندلاع "أزمة دولة الرّفاه" أنّ المخاوف من اختفاء دولة الرّفاه كانت في غير موضعها. صحيح أنّ معدّل نموّ الإنفاق على الرّفاهيّة قد تباطأ في هذه الفترة، وتمّ تقليص عمليّة تنفيذ برامج رفاه جديدة وطراً تشديد على معايير استحقاق برامج معيّنة موجودة، لكن لم تطرأ تغييرات بعيدة المدى على أيّ دولةٍ من دُول الرّفاه، بل ولا في تلك الدُول التي حكمها رؤساء عارضوا بشدّة مبدأ دولة الرّفاه، مثل: رونالد ريغان في الولايات المتّحدة ومارغريت ثاتشر في بريطانيا، فعلى سبيل المثال ما زال الإنفاق حتّى اليوم على الخدمات الاجتماعيّة يصل إلى نسبة تتراوح بين الثلث والنصف من إجماليّ الناتج المحليّ في دول الرّفاه جميعها⁴⁶³.

ومع ذلك فإنّ دُول الرّفاه اليوم تختلف في نواح عديدة عن دول الرّفاه التي كانت موجودة في الفترة التي سبقت الأزمة. أولاً: أنّ دول الرّفاه المعاصرة تنشط في بيئة اقتصاديّة تختلف كليّةً، وتمتاز بالعلومة والترابط المشترك المتزايد، وبنموّ اقتصادي بطيء وبتغيّرات عميقة في

⁴⁶² عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 122.
⁴⁶³ نفس المرجع السابق ذكره، ص 122.

سوق العمل، تتمثل في تثبيت البطالة والعمل الجزئي. ثانياً: أن هناك جهات شخصية ومؤسسات بلا أهداف ربحية تلعب دوراً متزايداً في توفير خدمات الرفاه. فقد طالت عملية الخصخصة أيضاً مجالات الرفاه، على الرغم من أن هذه العملية لم تؤد إلى تقليص ملموس في نفقات الرفاه، بل أدت إلى انتقال جذري في مجال تزويد خدمات مختلفة ومتنوعة في أيدي الدولة إلى أيدي جهات مختلفة تعمل في السوق الحرة.

أما ثالثاً: إلى جانب التأييد الجماهيري الواسع لتدخل الدولة في توفير ضمان اجتماعي ورفاهية ملموسة، يتعاضم في كل دول الرفاه الوعي بأن دولة الرفاه عاجزة عن حل المشاكل الاجتماعية التي تصحب الدول النامية منذ سنوات طويلة، فعلى سبيل المثال معظم دول الرفاه غير قادرة على معالجة مشاكل الفقر والفجوات الاجتماعية بنجاح، بل إن حدتها تتفاقم وتتسع يوماً بعد يوم. على ضوء هذا يُطلق الباحث في دولة الرفاه بول بيرسون⁴⁶⁴ على وضع دول الرفاه اليوم وفي المستقبل القريب اسم وضعيَّة: "التقشُّف الدائم"⁴⁶⁵.

الإمارات العربية المتحدة: نموذج رائد لرؤية متطورة وتطلعية للرفاه الاجتماعي لا يخفى على المنتبع للشأن الاستراتيجي في الشرق الأوسط العربي بالخصوص والإماراتي، إن دولة الإمارات باتت من الدول المتقدم بفعل الانجازات الجبارة التي تم تحقيقها منذ نشأت الاتحاد الإماراتي، وتتجلى تمار هذه الانجازات في التنمية الشاملة، وبناتج التطور السريع للاقتصاد الوطني، والمحافظة على تأمين التعاضد المجتمعي القائم على الأصالة⁴⁶⁶.

⁴⁶⁴ Pierson, C. (2001). *The New politics of the welfare State*. Oxford: Oxford University Press, pp : 123

⁴⁶⁵ عبد الرزاق، محمد صالح الساعدي. (2012)، الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والآفاق الدنمارك نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص 122.

⁴⁶⁶

إن الرؤية، التي تتبناها اليوم الإمارات العربية المتحدة كنموذج رائد في مجال صناعة الرفاه إن شئنا التعبير، وحقل لممارسة الحفر السوسولوجي والتنقيب المعرفي عن الحقيقة الإنسانية التنموية للرفاه الاجتماعي، وصناعة السعادة الإنسانية، تشكل هذه الرؤية وهذا النموذج بالقدرة على الاضطلاع على المستقبل المنشود، كما جاء في توصية محمد بن راشد آل مكتوم 467، والتي تستلهم من النموذج القيادي التنموية طاقتها وحافزيتها، كما تستلهم من أفاقها من برنامج العمل الوطني الذي أطلقه الرئيس خليفة بن زايد آل نهيان، وتستلهم قوتها كذلك من السعي نحو تمكين الوطن والمواطنين، بكل ثقة وعزم وبتنافسية عالية على جميع الأصعدة من الرفاه والسعادة الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية والسياسية⁴⁶⁸.

إن الرؤية التي تقدم عليها الإمارات تتخذ من روح المسؤولية والثقة عمودها، فبلوغ النجاح العملي يكمن في الالتزام والتفاني والتحلي بالأخلاق المهنية الرفيعة، والشعور بالرضا وتقبل العمل، والقَبُول عليه بدأب اعتماد على الذات وعلى روح المبادرة العالية لديهم، كما تكون لديهم القدرة على تخطي العقبات بحس رياضي قيادي قوي، إن هذا التفاني الذي تجسده وترسمه الرؤية، يجعل المواطن والفرد الإماراتي فاعل يقظ، ومستعد لكل التغيرات، التي يمكن إن تؤثر على المستوى الأخلاقي أو المسؤوليات،⁴⁶⁹ لغاية صناعة مستقبل وطن مليئ بالثقة في المستقبل وفي العمل والفعل والاداء والمثابرة.

إن تحقيق أهداف رؤية الإمارات وإستراتيجيتها من اجل الرفاه، رهن أن يكون كل ضمير إماراتي طموح عبر الإدراك العميق للواجب الوطني، من خلال الالتزام الراسخ بالنمو والنجاح

⁴⁶⁷ رؤية الإمارات العربية المتحدة (2021) مرجع سبق ذكره، ص:7

⁴⁶⁸ نفس المرجع السابق ذكره، ص 7.

⁴⁶⁹ رؤية الإمارات العربية المتحدة (2021) مرجع سبق ذكره، ص 14.

الشخصي، جنباً إلى جنب مع المسؤولية الأخلاقية، ويعزز الإماراتيين هذا البعد النبيل والمسؤول اجتماعياً في سمات الوطن من خلال المشاركة الاجتماعية أكبر وأكثر فاعلية⁴⁷⁰.

إن تحقيق الازدهار والرفق بالبلاد ورفاهها لن يكون على حساب التوازن الإنساني للإماراتيين، بهدف بلوغ الاستقرار وسط المتطلبات المتغيرة للعصر، ولكن لابد من توسيع مفهوم النجاح ليتعدى تحقيق الثروات المادية والمكانة الاجتماعية المرموقة الى الكفاية المعنوية⁴⁷¹. لهذا تدفع الرؤية الاماراتيين إلى ضرورة تحقيق النجاح عبر إدراك المسؤولية تجاه غيره وان يشارك المجتمع في ما حققه من نجاحات شخصية، فالذين يقدمون الخير للآخرين يعبرون عن التزامهم العميق بخدمة الوطن، ويمثلون أسوة حسنة ويحظون بتقدير ذاتي واجتماعي وينعمون بمشاعر الرضا وهذا هو عين الاستقلال والرفاه النفسي والاجتماعي، كما عبر عن ذلك شالوك في نظريته حول مؤشرات الرفاه وجودة الحياة⁴⁷².

إن إستراتيجية الرفاه الاجتماعي في الوسط الإماراتي تجعل من الأسرة احد رافعاتها، وذلك لان الأسرة في الرؤية تشكل نواة المجتمع وأساس استقراره، وتشكل نسيج الثقافة وحافطة القيم، وملاذ الأفراد الذي يضمن أمنهم، والبيئة التي تحفز على النمو السليم والحقيقي والفضاء المناسب لتحقيق آفاقهم وليصبحوا مواطنين صالحين أشخاص متكاملين⁴⁷³.

ان العمل داخل الاسرة وضمان رفاهها رهين بقدرة الافراد على تثقيف النشئ بالقيم المجتمعية واهمية الوجود الاجتماعي من اجل المزيد من الحفاظ على الهوية الفردية والجماعية للأفراد المحلية والوطنية⁴⁷⁴، وضرورة الاهتمام بجميع الفئات وان يحظو بالمكانة المحترمة.

⁴⁷⁰ نفس المرجع السابق ذكره، ص 14.

⁴⁷¹ نفس المرجع السابق ذكره، ص 14.

⁴⁷² نفس المرجع السابق ذكره، ص 14.

⁴⁷³ رؤية الإمارات العربية المتحدة (2021) مرجع سبق ذكره، ص 15.

⁴⁷⁴ نفس المرجع السابق ذكره، ص 15.

ان قوام المجتمع يتم من خلال الحفاظ على التراث الثقافي ودعم دور المرأة وتمكينها من المشاركة الناجح والفعالة صناعة المجتمع ومستقبل الإمارات ورفاهها، وذلك عبر حمايتها من كل أشكال التمييز والعنف والقهر وضمان العيش السليم والهنئى.

إن قيم العدل والمساواة وروح التضامن سبيل رفيع من اجل المزيد من الرفاه الاجتماعي والاقتصادي وهو ما نجد الرؤية الإستراتيجية الإماراتية تراهن عليه على جميع المستويات والأصعدة خصوصا تلك الخاصة بالمواطنين، فالدولة تسعى إلى تحقيق التوازن في التنمية الاجتماعية والاقتصادية الإماراتية، والى تأمين المرافق والخدمات الأساسية، حيث لا وجود لمناطق معزولة أو مهمشة فالبنية التحتية المتطورة وخدمات المواصلات عالية الجودة تساهم في تسريع وثيرة النمو، إن التكامل في التخطيط وتنفيذ السياسات سيضمن إن تكون التنمية الاجتماعية والاقتصادية عبر الإمارات متسمة بالتوازن والاستدامة والرشد والكفاءة. يشكل الاشتغال على توفير الأمن والسلامة للأفراد وتقوية مناعة الاقتصاد واستقراره والحفاظ على العدالة والإنصاف، وتوفير نظام رفاه اجتماعي 475 متقدم يمكن جميع المواطنين من مواجهة صعوبات الحياة والمشاركة الايجابية في المجتمع⁴⁷⁶.

ان تحقيق هذه الغايات وهذه الرؤى من شأنه ان يعزز مكانة الامارات ضمن الدول المتقدمة والمزدهرة والاكثر رفاها، ومركزيتها كدولة رائدة في مجال التخطيط للرفاه الاجتماعي وممارسته.

ان الاستثمار في العنصر البشري وبالخصوص معرفيا هو دافعة للتطور والنمو والرفاه، فالاشتغال اليوم على العنصر البشري يشكل دعامة وقوة للأفراد أولا من خلال تقوية قدراتهم

⁴⁷⁵ رؤية الإمارات العربية المتحدة (2021) مرجع سبق ذكره، ص 21.

⁴⁷⁶ نفس المرجع السابق ذكره، ص 21.

وتمكينهم من المهنية والكفاءة والقدرة، وتعمل على الرفع من جودة أدائهم الريادي والقيادي. فتحصيل مواطنة قيادي يعني إعداد معرفيا والاستثمار في مهاراته وإبداعه ودفعه نحو الابتكار والريادة⁴⁷⁷.

إن الانفتاح على العالم في مجال الاستثمار في الموارد البشرية يعتبر رافعة أساسية، سواء من ناحية جذب الخبرات الأجنبية والاستثمار فيها أو في خلق بعثات علمية وتشجيعها من أجل المزيد من مد جسور العلم والمعرفة مع الغير⁴⁷⁸.

إن الرؤية الإستراتيجية الإماراتية من أجل دولة الرفاه، يشكل الاقتصاد المتنوع فيها عنصرا مهما، انه الحل الأمثل لتحقيق التنمية والرفاه المستدام في مستقبل أقل اعتمادا على الموارد النفطية، وهذا مشروط بتفعيل القطاعات الحيوية الجديدة، من أجل توجيه الطاقة نحو الصناعة والخدمات، من أجل مستقبل تنافسي ريادي مؤمن ودائم يمكن الإمارات من أن تضطلع إلى ما يتخطى النماذج الاقتصادية التقليدية⁴⁷⁹، والاعتماد على توجيهات أكثر مرونة، ومؤسسات أعمال أكثر منهجية واستقامة، تعمل على تلبية احتياجات المواطنين، وتحفيزهم، عمل بالنموذج التايلوري والعمل على جذب استثمارات أجنبية مباشرة، غاية في جعل الاقتصاد أكثر استدامة، اقتصاد له مكانة تخوله الاستفادة من الاتجاهات الناشئة والتكيف مع الحقائق العالمية المتغيرة مثل ظهور قوى اقتصادية جديدة، بما يكفل الازدهار والرخاء للأجيال الإماراتية الحالية والقادمة⁴⁸⁰.

⁴⁷⁷ نفس المرجع السابق ذكره، ص 21.

⁴⁷⁸ رؤية الإمارات العربية المتحدة (2021) مرجع سبق ذكره، ص 21.

⁴⁷⁹ نفس المرجع السابق ذكره، ص 21.

⁴⁸⁰ نفس المرجع السابق ذكره، ص 21.

يشكل اقتصاد المعرفة عالي الانتاجية مدخلا اخر جديد لتحصيل المشروع الإماراتي من اجل دولة الرفاه، وذلك من خلال الاستثمار في العلوم والتكنولوجيا والابتكار والمعرفة والبحث في مختلف المستويات⁴⁸¹، من جل المزيد من التنافسية العالمية ومزيد من الرفاهية.

إن تصافر هذه المقومات التي سبق الإشارة إليها من شأنه أن يخدم رهان آخر تراهن عليه الرؤية الاستراتيجية الإماراتية وهو رهان الرفاه الاجتماعي وتجويد جودة الحياة⁴⁸²، وهذا العنصر رهين أولا بضمان صحة جيدة والتي تعمل الإمارات على تحصينها من خلال ضمان الحصول على الخدمات الصحية الطبية الأساسية والشاملة لكافة الإماراتيين والاستثمار في البنية التحتية الطبية وتوفير الخبرات العالية والخدمات الجيدة التي تلبي احتياجات المواطنين. كما تراهن الإمارات من خلال رؤيتها الصحية وتجويد الحياة على الاستباقية في مكافحة الأمراض عبر دعم الأبحاث الطبية والعلاجية، والتدخل المبكر، وتثمين المبادرات التوعوية والصحية⁴⁸³.

إن النظام التعليمي الريادي رافعة أساسية ومن اجل جودة حياة متميزة ورفاه قويم، تسعى الإمارات إلى تحقيق نظام تعليمي من الطراز الأول⁴⁸⁴. ذلك من خلال جعل المدرسة الإماراتية تعمل على تنشئة شخصيات متكاملة ذات قدرات متميزة ووثيقة، قابلين للنضج، ولتلقى القيم الروحية والدينية والهوياتية المحلية والكونية، فالمناهج التعليمية الجيدة من شأنها إن تزود الطلبة بالمعرفة والخبرة عبر تجاوز التلقين إلى التفكير النقدي والقدرات العملية، والمعارف التي يحتاجها العصر⁴⁸⁵.

⁴⁸¹ رؤية الإمارات العربية المتحدة (2021) مرجع سبق ذكره، ص32.

⁴⁸² رؤية الإمارات العربية المتحدة 2021، ص 32 .

⁴⁸³ رؤية الإمارات العربية المتحدة 2021، ص 32 .

⁴⁸⁴ رؤية الإمارات العربية المتحدة 2021، ص:33

⁴⁸⁵ رؤية الإمارات العربية المتحدة (2021) مرجع سبق ذكره، ص32.

إن الإمارات تعمل على تشجيع مواطنها على النهوض بإمكاناتهم، عبر الاستمرار في التعليم الجامعي والالتحاق بالمراحل الدراسية العليا وتخفيض معدلات التسرب المدرسي، ودعم الرفع من عدد الملتحقين بالجامعات وتجاوز المرحلة الثانوية، سعياً إلى جعل التعليم يوفر فرصاً متساوية لجميع الطلبة وتلبية احتياجاتهم⁴⁸⁶.

تحرص الإمارات على توفير بنية تحتية وخدمات وبيئة اجتماعية وثقافية تخول لهم لاستمتاع بحياة متكاملة ومُرضية. من خلال اغتناء حياة الأفراد ببيئات تسعى توفير احتياجات الأفراد الضرورية والرفاه المبتغى⁴⁸⁷، وفي ظل هذا السياق التنموي لبناء دولة الرفاه الاجتماعي والاقتصادي الذي تتبناه الإمارات العربية المتحدة نسوق نموذج عملي لهذا التصور كما يأتي:

السعادة والأجندة الوطنية

تولي دولة الإمارات أهمية كبرى لتحقيق سعادة الأفراد والمجتمع، وتعتبر ذلك من أولوياتها، وتحرص على توفير الرخاء والرفاهية، والاستقرار لشعبها والمقيمين على أرضها. تحتل الدولة المرتبة الأولى عربياً في مؤشر السعادة العالمي 2017، والمرتبة 21 على مستوى العالم كأسعد الشعوب.

ووفقاً لجدول المؤشرات الوطنية "مجتمع متلاحم محافظ على هويته"، تهدف حكومة دولة الإمارات بأن تكون ضمن أفضل خمس في العالم بحلول 2021، وذلك وفقاً لمؤشر السعادة العالمي.

⁴⁸⁶ نفس المرجع السابق ذكره، 33.

⁴⁸⁷ نفس المرجع السابق ذكره، 33.

مؤشر السعادة العالمي هو مؤشر مُركب يقيس تقييم الفرد لمستوى المعيشة، والرضا عن الحياة من خلال استطلاع للرأي يستند على محاور مُحددة مثل: الناتج المحلي الإجمالي للفرد الواحد، ومتوسط العمر الصحي المتوقع، بالإضافة إلى محاور أخرى مثل الدعم الاجتماعي، وحرية تقرير خيارات الفرد في الحياة، والكرم المعيشي، والفساد.

اطلع على موقع الإمارات السعيدة - البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية.

وزير دولة للسعادة وجودة الحياة

في فبراير 2016 ، أعلن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم عن إنشاء منصب وزير دولة للسعادة ، وذلك عبر حسابه في تويتر في سياق فعاليات "حوار المستقبل" في القمة العالمية للحكومات. وبموجبه تم تعيين معالي عهود بنت خلفان الرومي كوزير دولة للسعادة لتتولى مسؤولية مواءمة كافة الخطط، والبرامج، والسياسات الحكومية لتحقيق سعادة المجتمع.

وبعد تعديل التشكيل الوزاري في أكتوبر 2017، تم إضافة حقيبة وزارية جديدة لمنصب وزير دولة للسعادة، ليصبح وزير دولة للسعادة وجودة الحياة.

البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية

تقدمت معالي الوزير عهود الرومي بالبرنامج الوطني للسعادة والإيجابية الذي اطلع عليه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، مطلع شهر مارس 2016.

يضم البرنامج مجموعة من السياسات، والبرامج، والمبادرات، والخدمات التي تعزز من أنماط الحياة الإيجابية ، بالإضافة إلى خطة لتطوير مؤشر السعادة، وقياس رضا الأفراد.

ويتكون البرنامج من ثلاثة محاور رئيسية هي:

• تضمين السعادة والإيجابية في سياسات، وبرامج وخدمات الجهات الحكومية كافة،

وبيئة العمل فيها

• ترسيخ قيم الإيجابية والسعادة، باعتبارها أسلوب حياة في مجتمع دولة الإمارات

• تطوير مقاييس وأدوات لقياس السعادة في مجتمع دولة الإمارات.

وسيشمل البرنامج المواطنين والمقيمين والزوار، كما يشجع القطاعين العام والخاص

على طرح، وتوصية وتبني مبادرات وخطط تحقق الأهداف المنشودة للسعادة.

كما سيطلق البرنامج مبادرات تتعلق بنشر المحتوى العلمي والثقافي الخاص بالسعادة،

من مؤلفات ومطبوعات وكتب تخصصية، وتشجيع القراءة في هذا المجال لتنمية الوعي بأهمية

الإيجابية والسعادة كأسلوب حياة متكامل، ونشر الوعي بمصادر السعادة، والعادات التي تسهم

في سعادة الناس والمجتمعات.

الميثاق الوطني للسعادة والإيجابية

في 20 مارس 2016، اعتمد صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس

الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية الذي

يخدم كميثاق وطني للسعادة. كما اعتمد سموه عدة مبادرات تهدف إلى خلق بيئة عمل سعيدة

ومنتجة في المكاتب الحكومية الاتحادية، التزاماً بخلق البيئة الأسعد لمجتمع دولة الإمارات.

ويهدف الميثاق إلى ترسيخ مفهوم السعادة والإيجابية من منظور دولة الإمارات، ويحدد

التزام الدولة تجاه المجتمع في تحقيق السعادة والإيجابية، وأن تكون الدولة مركزاً ووجهة

عالمية لذلك، وستعمل الجهات الحكومية على تحقيق ما ورد في هذا الميثاق على أفضل وجه.

وفيما يلي نص الميثاق الوطني للسعادة والإيجابية:

"تؤمن حكومة دولة الإمارات أن تحقيق السعادة هو هدف إنساني، ومطمح لكافة الشعوب، وأنها تمثل نهج شامل تجاه التنمية والرفاه، وهي السبيل نحو عالم أفضل.

السعادة هي الغاية الأسمى لعمل حكومة دولة الإمارات، التي تلتزم على الدوام، من خلال سياستها العليا، وخطط ومشاريع وخدمات جميع الجهات الحكومية، على تهيئة البيئة المناسبة لسعادة الفرد والمجتمع، وترسيخ الإيجابية كقيمة أساسية فيهم، مما يمكنهم من تحقيق ذواتهم وأحلامهم وطموحاتهم.

تعمل حكومة الإمارات على قياس السعادة، وتحرص على تحقيق التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية الشاملة والمستدامة، بما يحقق سعادة ورفاه الأجيال الحالية والقادمة. كما تعمل على ترسيخ ثقافة السعادة والإيجابية كأسلوب حياة في الدولة، بما يتناسب مع طموحات مجتمع الإمارات، وتطلعاته، وعاداته، وثقافته، وذلك بالتكامل مع مختلف المؤسسات الحكومية والمجتمعية والخاصة.

يتحلى مواطنو دولة الإمارات والمقيمون على أرضها بقيم إيجابية رفيعة، ويسعون باستمرار لاختيار السعادة وتحقيقها في حياتهم وحياة أسرهم ومؤسساتهم، وهم يدفعون بهذه الروح عجلة التنمية الاقتصادية، والرقي الاجتماعي والثقافي، كمثال يُحتذى به للإنسان السعيد، والإيجابي على مستوى العالم.

تطمح حكومة الإمارات أن تلعب دوراً رئيسياً في الجهود الدولية لتحقيق السعادة والإيجابية، وأن تكون مركزاً ووجهة عالمية لها."

ومن أهم المبادرات التي ترمي إلى تحقيق بيئة عمل سعيدة:

- تعيين رؤساء تنفيذيين للسعادة والإيجابية
- تأسيس مجالس للسعادة والإيجابية لدى الجهات الاتحادية
- تخصيص أوقات لأنشطة السعادة والإيجابية في الجهات الاتحادية
- تأسيس مكاتب الإيجابية والسعادة
- تعديل مسمى مراكز خدمة المتعاملين إلى مراكز سعادة المتعاملين
- قياس سعادة المتعاملين من خلال مؤشرات خاصة سنوية، واستطلاعات للرأي

وتقارير

- تبني نموذج قياسي للسعادة والإيجابية المؤسسية لدى كافة الجهات الحكومية

تعيين رؤساء تنفيذيين للسعادة والإيجابية

يقوم الوزير، أو رئيس مجلس الإدارة بتسمية إحدى موظفي الجهة الاتحادية الحاليين كرئيس تنفيذي للسعادة والإيجابية، الذي يتولى مسؤولية تعزيز ثقافة السعادة والإيجابية في الجهة.

ويتولى الرئيس التنفيذي التنسيق مع مكتب وزير الدولة للسعادة لتنفيذ مبادرات البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية في الجهة الحكومية، وإدارة وتنسيق المبادرات والمشاريع لتعزيز السعادة والإيجابية لدى الموظفين والمتعاملين، فضلاً عن إطلاق برامج لتصنيف بيئة العمل في القطاع الحكومي والخاص حسب مستويات السعادة فيها.

تأسيس مجالس للسعادة والإيجابية لدى الجهات الاتحادية

تضم مجالس السعادة والإيجابية ممثلين من قطاعات ومناطق مختلفة تغطيها خدمات الجهة، وترتكز على موازنة سياسات وخدمات الجهة بهدف تحقيق سعادة المجتمع، وإطلاق وتنفيذ ومتابعة البرامج والمبادرات ذات الصلة، فضلاً عن تعزيز السعادة والإيجابية في بيئة العمل الداخلية.

تخصيص أوقات لأنشطة السعادة والإيجابية داخل الجهات الاتحادية وخارجها

تهدف هذه المبادرة إلى ترسيخ ثقافة السعادة والإيجابية في الحكومة الاتحادية، بحيث تخصص هذه الساعات لأنشطة السعادة والإيجابية داخل الجهة أو خارجها بهدف تحقيق سعادة المجتمع.

إطلاق معادلة جديدة لإسعاد المتعاملين

في 10 مايو 2016 ، أطلقت معالي عهد الرومي معادلة إسعاد المتعاملين، وذلك بهدف ترسيخ مفاهيم السعادة وتعزيزها في مراكز سعادة المتعاملين، لتصبح ممارسة وثقافة في الجهات الحكومية، بحيث يتم تزويد موظفي إسعاد المتعاملين بمجموعة من الأدوات والقيم التي تمكنهم من تنفيذ مبادرات الحكومة في مجال تحقيق السعادة والإيجابية. وتهدف هذه المعادلة، التي تستند إلى ميثاق خدمة المتعاملين، إلى إبراز التزام الجهات الحكومية بتقديم خدمات تحقق سعادة المتعاملين.

ترتكز المعادلة على ثلاثة عناصر رئيسة وهي:

1. الموظف الفخور بتقديم الخدمات المتميزة: وهو موظف إسعاد المتعاملين الذي يأخذ زمام المبادرة في تقديم أفضل تجربة سعيدة للمتعامل، ويتبنى شعار " نتعهد بإسعادك"، ويتحلى

بسمات الترحيب بابتسامة، وإعطاء انطباع أولي متميز، والاحترام واللباقة، والإنصات الجيد، والمهنية والمبادرة في تقديم العون.

2. الجهة المتفانية في إسعاد المتعاملين: وهي الجهة التي تطور خدماتها وفق احتياجات المتعامل، والاتجاهات العالمية في مجال عملها، وتطبق شعار «نعمل لإسعادك» عبر التزامها بتوفير بيئة مضيافة تعزز ثقافة السعادة والإيجابية، وتقدم خدمة سريعة ومبسطة.

3. المتعامل المبادر والإيجابي: وهو المتعامل الذي يسعى للحصول على الخدمة من الجهة الحكومية، ويشارك بتقديم اقتراحات بناءة، تسهم في تصميم خدمات مبتكرة تحقق السعادة له ولبقية المتعاملين، ويلعب دور المساعد للجهة في تطبيق شعار "ساعدنا لإسعادك".

تدريب الرؤساء التنفيذيون للسعادة والإيجابية

في يوليو 2016، أعلنت معالي عهود بنت خلفان الرومي وزيرة الدولة للسعادة عن اختيار 60 رئيساً تنفيذياً للسعادة والإيجابية في الجهات الحكومية الاتحادية والمحلية، والبدء بتأهيلهم عبر برنامج تدريبي، علمي، شامل، ومكثف هو الأول من نوعه عالمياً.

وتستند هذه المبادرة إلى الفكر المستقبلي لحكومة دولة الإمارات التي تؤمن بأن صناعة المستقبل تتطلب استشرافه، وتعلم لغته، وتستبق تحدياته بإطلاق المبادرات، والسياسات، والبرامج، وإعداد أجيال من المتخصصين في كافة المجالات.

ويتكون البرنامج التدريبي من 5 نماذج رئيسية، تم اختيار أفضل الشركاء العالميين لتنفيذ

كل منها وهي:

• علم السعادة والإيجابية

• اليقظة الذهنية

• قيادة فريق العمل السعيد

• السعادة والسياسات في العمل الحكومي

• قياس السعادة

يتضمن البرنامج إلى جانب المحاضرات والندوات العلمية، جولات معرفية للاطلاع على أفضل الممارسات والتجارب العالمية، ومجموعة من التطبيقات وورش العمل، فيما سيقوم المنتسبون بتصميم، وتنفيذ مشاريع لتعزيز السعادة والإيجابية في بيئة العمل الحكومي ، وفي المجتمع.

وسيتم تنفيذه على مدى 5 أشهر اعتباراً من سبتمبر 2016 وحتى يناير 2017 ، بحيث

يكون البرنامج الوحيد المعتمد لتأهيل الرؤساء التنفيذيين
للسعادة والإيجابية في حكومة دولة الإمارات.

منصة "أصدقاء السعادة"

في 18 أبريل 2017 أطلق البرنامج الوطني للسعادة
والإيجابية مبادرة "أصدقاء السعادة" 488 المنصة الإلكترونية
الهادفة إلى تعزيز الطاقات، والمشاركة المجتمعية للأفراد
والمؤسسات في مختلف المبادرات التي ينفذها البرنامج لدعم

توجهات حكومة دولة الإمارات وجهودها بنشر وتعميم ثقافة السعادة والإيجابية.



الإمارات السعيدة Happy UAE

⁴⁸⁸ منصة "أصدقاء السعادة" هي عبارة عن نموذج إلكتروني متاح لمشاركة الجميع في مبادرات البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية حيث يتيح للأفراد والمؤسسات والشركات تسجيل بياناتهم الشخصية واختيار جوانب التعاون التي يرغبون من خلالها في العمل مع البرنامج ما يساهم في بناء قاعدة بيانات موحدة وشاملة لشركائنا المحتملين في مختلف المبادرات والفعاليات التي سنعمل عليها مستقبلاً.

يسعى البرنامج من خلال مبادرة "أصدقاء السعادة" إلى تعزيز الوعي المجتمعي بأهمية السعادة والإيجابية، وترسيخ شراكة فاعلة بين الحكومة والمجتمع، أفراداً ومؤسسات، لدعم جهود تحقيق السعادة في كافة المجالات وتوجهات الحكومة في عام الخير.

ومن خلال نموذج إلكتروني متاح يمكن لجميع الراغبين تسجيل بياناتهم الشخصية، واختيار جوانب التعاون التي يرغبون من خلالها في العمل مع البرنامج بما يساهم في بناء قاعدة بيانات موحدة وشاملة للشركاء المحتملين في مختلف المبادرات والفعاليات التي سيعمل عليها البرنامج مستقبلاً.

مركز الإمارات لأبحاث السعادة
في مارس 2017، أطلقت جامعة الإمارات بالتعاون مع البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية مركز الإمارات لأبحاث السعادة، الذي يعتبر الأول من نوعه في دولة الإمارات والشرق الأوسط.

يهدف المركز إلى دعم جهود ترسيخ السعادة والإيجابية في المجتمع، من خلال الدراسات العلمية المتخصصة، ومجالات قياس وتقييم مؤشرات السعادة، ورصد توجهات ورؤى المجتمع، بما يعزز في اثناء المحتوى العلمي الخاص بالسعادة في دولة الإمارات، والمساهمة في النتائج العلمية على مستوى العالم.

برنامج سعادة العمال

انسجاماً مع أهداف البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية، أطلقت وزارة الموارد البشرية والتوطين سلسلة من المبادرات، التي تهدف إلى تحقيق سعادة العمال. وتشمل هذه المبادرات ما يلي: أسعد بيئة عمل، وأسعد سكن عمال، وحافلة السعادة، وبطاقة السعادة.



نتائج تقرير السعادة العالمي 2017

2016	2017	المواطنون
15	12	
28	21	دولة الإمارات
24	15	مؤشر تقييم الحياة
33	16	مؤشر التجارب الإيجابية

وتهدف مبادرة بطاقة السعادة إلى توفير بطاقات

اتصال مجانية للعمال. وتهدف مبادرة أسعد سكن عمال

إلى الالتزام بدليل المعايير العامة التي يتوجب توافرها

في سكن العمال. ويحدد الدليل معايير الحد الأدنى

للمرافق، التي يتوجب توفيرها في مساكن العمال، مع

الالتزام بالقوانين التي تنظم البيئة والصحة والسلامة. ويوصي الدليل أيضاً بتوفير مرافق

ترفيهية لهم. وتقوم الجهات البلدية بإجراء عمليات فحص دوري لمساكن العمال.

تقرير السعادة العالمية

تقرير السعادة العالمي 2018

وفقاً لنتائج تقرير السعادة العالمي لعام 2018 حافظت دولة الإمارات على المركز

الأولى عربياً للعام الرابع على التوالي، والمركز الـ20 على مستوى العالم، أي متقدمة بمركز

واحد مقارنةً بالعام الماضي. بالنسبة لمؤشر سعادة المواطنين فقط، حققت دولة الإمارات المركز

الـ11 عالمياً. وبقياس السعادة لدى فئة الوافدين في 117 من دول العالم بين عامي 2005

و2017، حلّ الوافدون بدولة الإمارات في المرتبة 19 عالمياً.

تقرير السعادة العالمي 2017

وفي تقرير السعادة العالمي 2017، حافظت دولة الإمارات على مركزها الأول عربياً في

آخر 3 سنوات، وتقدمت من المركز 28 (2016) إلى المركز 21 عالمياً في مؤشر سعادة الأفراد

⁴⁸⁹. يمكن في هذا الصدد مراجعة الموقع: <http://worldhappiness.report/ed/2018/>

المواطنين والمقيمين على أرضها من دول أخرى، لتسجل بذلك تقدماً نوعياً بمقدار 7 مراكز مقارنة بالعام الماضي.

ووفقاً للتقرير يعتبر شعب الإمارات من أسعد 12 شعباً في العالم، والأول عالمياً في مؤشر رضا الأفراد المقيمين من دول أخرى.

تقرير السعادة العالمي 2016

وفقاً لتقرير السعادة العالمية 2016 490، الذي تصدره شبكة المبادرة الدولية لحلول التنمية المستدامة، ومعهد الأرض التابع لجامعة كولومبيا، تصدرت دولة الإمارات المركز الأول في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، واحتلت المرتبة 28 عالمياً كأسعد الشعوب.

وبذلك تفوقت دولة الإمارات على دول متقدمة مثل فرنسا (المركز 32)، وإسبانيا (37)، وإيطاليا (المركز 50) محققة 6.596 نقطة في المؤشر الذي يتكون من عدة عناصر تتضمن نصيب الفرد من الدخل القومي، والدعم الاجتماعي، ومتوسط الأعمار، والحرية الاجتماعية، ومعدلات السخاء الاجتماعي.

كما أشار التقرير إلى أن دولة الإمارات ضمن الدول الأربع التي عينت وزراء للسعادة حتى الآن وهي: دولة الإمارات، وبوتان، والإكوادور، وفنزويلا.

كما حافظت دولة الإمارات على مركزها الريادي في العالم العربي منذ إطلاق التقرير في الأربع سنوات الماضية، محققة بذلك إنجازات جوهرية في المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية، والصحية، والسياحية، والبيئة.

490 . يمكن في هذا الصدد مراجعة الموقع: <https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports/2017-03-21-1.2893150>

السعادة في حكومة دبي

تنظر خطة دبي 2021 لى مستقبل الإمارة من خلال منظورات شاملة ومتكاملة؛ كما تتناول الخطة مستقبل دبي من منظور الفضاء الحضري، سواءً ما يتعلق بعناصر البنية التحتية من بيئة طبيعية ومشيدة، وطرق ووسائل مواصلات، ومصادر طاقة وغيرها، أو ما يتعلق بشكل التجربة الحياتية التي يعيشها أفراد المجتمع من إماراتيين، ومقيمين، وزائرين.

كما تتناول الخطة مستقبل دبي من منظور الحكامة الرشيدة، باعتبارها الآلية المؤسسية التي تضمن التنمية واستمرارها، وتعزيز رفاه الفرد والمجتمع، وحفظ الأمن والنظام. وقد تُرجمت المنظورات السابقة إلى ستة محاور أولها: الأفراد، وخلق موطن لأفرادٍ مبدعين وممكنين ، يشعرون بالفخر والسعادة.

طرح أداة على مستوى مدينة دبي لقياس السعادة

يعتبر قياس مؤشر السعادة إحدى مبادرات دبي الاستراتيجية الأولى للمدينة الذكية، والأولى على مستوى مدن العالم.

يمثل المؤشر أداة لقياس سعادة سكان دبي، وزوّارها، وسيّاحها بشكل تفاعلي، ورضاهم عن الخدمات الحكومية المقدمة إليهم، وذلك بشكل يومي يراعي التغيرات السريعة، وتوقعات الناس التي تتغير بسرعة أيضاً، عبر أجهزة ذكية وإلكترونية تثبت في مقر الجهات الحكومية، وترتبط بشبكة مركزية تقوم برصد هذا المؤشر، وإرسال تقارير يومية لمتخذي القرار لرصد المناطق الجغرافية والحكومية الأكثر سعادة ورضا عن الخدمات الحكومية، بهدف تطويرها وتحسين مدى سعادة الجمهور عن الخدمات المقدمة إليه.

وبشكل عام، يوفر مؤشر السعادة واجهة سهلة للمستخدم من أجل اختيار إحدى الخيارات

الثلاثة المتاحة وهي:

- سعيد
- حيادي
- غير سعيد.

طرحت حكومة دبي الذكية بوابة "مؤشر السعادة" لتحديد ما تحتاجه الجهات الحكومية، والقطاع الخاص للاشتراك بمبادرة مؤشر السعادة، وبالتالي تكون جزءاً من قياس سعادة سكان وزوار دبي.

نماذج لدول عربية، مقارنة للرفاه الاجتماعي
العراق

إن الهدف النهائي لأيّة سياسة اقتصادية عقلانية هو تحقيق الرفاهية للمجتمع، ولما كانت السياسة الاقتصادية العراقية رقية قد تم التعبير عنها عبر خطط التنمية خلال عقدي السبعينات والثمانينات وعليه أصبح من المنطقي أن يكون مستوى الرفاهية المتحقق فضلاً عن مدى تطور ذلك المستوى بمثابة تقييم موضوعي لمستوى أداء تلك الخطط وبالتالي فهو بشكل أو بآخر انعكاس لصورة السياسات الاقتصادية خلال عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، وفيما يخص عقد التسعينات من القرن العشرين لم ينفذ العراق خطط تنمية بالشكل المتعارف واعتمد على تطبيق برامج سنوية بسبب الحصار الاقتصادي. لقد اقتصر أغلب البحوث التي تناولت مستوى الرفاهية الاقتصادية في العراق على متغيرين هما

مستوى الدخل وطريقة توزيعه أو على مستوى الإنفاق الاستهلاكي والسبب يعود إلى عدم توافر بيانات تتسم بالكفاية والكفاءة لذلك اضطر الكثير من الباحثين إلى استخدام معامل جيني للتفاوت، وبتعبير آخر كلما ازداد مستوى التفاوت في التوزيع قل مستوى الرفاهية والعكس صحيح 491

1- الرفاهية الاقتصادية للمدة 1975-1990 .

- ارتبط النشاط الاقتصادي العراقي خلال المدة (1970-1980) بخطتين اقتصاديتين استهدفت تغيير البنية الاقتصادية، فتزايد بذلك تدخل الدولة في الشأن الاقتصادي والاجتماعي، وارتفاعه تأميم شركة النفط في مطلع السبعينات، وأعقب ذلك تغير في أسعار النفط مكنت الدولة من الناحية المالية من تدعيم الموازنة العامة والمناهج الاستثمارية لتحقيق أهداف التخطيط الاقتصادي وتفعيل مركزية الدولة في الشأن الاقتصادي وانعكس ذلك بارتفاع الإنفاق الحكومي ولاسيما في الجانب المرتبط بمكونات الرفاهية الاجتماعية مثل الخدمات الصحية والتعليم ودعم الأسعار للسلع الأساسية، والتي تعد بعضاً من جوانبها إحدى أهم وسائل الاستثمار في أرس المال البشري.

ونجم عن الحرب العراقية – الإيرانية ارتفاع معدلات التضخم، زيادة عرض النقد وتدمير البنية التحتية وخصوصاً لقطاع النفط فضلاً عن التقلبات في أسعار النفط وإيراداته كل هذا أدى إلى تأثر الإنفاق الجاري مما إنعكس ذلك على مكونات الرفاهية الاجتماعية باتجاه الانخفاض وللحفاظ على مستوى تلك الرفاهية عند معدلاتها السائدة قبل الحرب العراقية الإيرانية أصدرت الحكومة قرارات تعطي مساحة أكبر للوسائل المولدة والمنتجة للرفاهية الاجتماعية بحيث سمحت

491 احمد زبير جعاطه، (1985) تحليل اقتصادي لتفاوت مستوى الرفاهية الاقتصادية بين كل من الريف، مجلة الإدارة الاقتصاد، جامعة المستنصرية، العدد - والحضر العراقي خلال الفترة 1971 العاشر، 1989 ص: 11

بتأسيس الكليات الأهلية ومساهمة الأفراد بإنشاء المستشفيات الخاصة وخصخصة بعض المنشآت الإنتاجية وبخاصة الغذائية وتسهيل العمليات الاستيرادية التي لا ترتبط بتحويلات النقد الاجنبي.

إن الحكومة العراقية واجهت آثار الحرب من زيادة نسبة الإنفاق على الغذاء من 46% الى 50 % التي أدت الى زيادة متوسط حصة الفرد من السعرات الحرارية⁴⁹².

2- الرفاهية والحصار الاقتصادي

شهدت التسعينات من القرن العشرين دمار الاقتصاد العراقي قي من منشآت اقتصادية وبنية تحتية ضللاً عن فرض حصار اقتصادي على العراقي وعدم الاتصال والتعامل مع العالم الخارجي مما أحدث تضخماً ركودياً أثر سلبياً على منطقة الخليج العربي والذي أدى إلى زيادة الفقر وزيادة مستويات التفاوت في توزيع الدخل بين الأفراد، وقد حصل تراجع كبير في كثير من المؤشرات الاقتصادية.

إن تراجع الأداء الاقتصادي كان السبب في ازدياد الفجوة اتساعاً بين الفقراء والأغنياء، إذ كان يتلقى أفقر (20 %) من الأسر اقل من (7%) من إجمالي دخل الأسرة العراقية في حين كان يتلقى أغنى (20 %) ما نسبته (44 %) من الدخل أو ستة أضعاف ما تتلقاه الأسر الفقيرة، وانخفاض دخل الأسرة ذات الدخل المتوسط بشدة إلى ما يقارب الثلث، أما العوائل ذات الدخل دون المتوسط فقد كان الانخفاض في دخلها شديداً ووصل إلى أقل من ربع ما كان عليه في الثمانينات⁴⁹³.

⁴⁹²وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، (2012) تقرير مؤشرات رصد الأهداف الإنمائية للألفية على مستوى المحافظات ص 475.

⁴⁹³ . مجلة الغري، للعلوم الاقتصادية والرادارية، السنة 10 العدد 31 . 2014، ص: 10-9

وقد أسهم في تدني مستوى الرفاهية الاجتماعية في هذه الحقبة انخفاض مستوى الإنفاق على الخدمات الصحية إذ انخفض معدل الإنفاق وبالتالي التراجع في الأداء الصحي، ثم تحسنت الأوضاع الغذائية في النصف الثاني من عقد التسعينات نتيجة توافر الحصة التموينية التي تحوي بعض المكونات الغذائية الرئيسة وبأسعار منخفضة كإحدى قنوات الرعاية الاجتماعية للأفراد المجتمع⁴⁹⁴.

استمر هذا التدهور في مستوى الرفاهية منذ 2003 حيث تراجع مستويات الفقر البشري في العراق، وارتفاع احتمال الوفاة قبل بلوغ 40 سنة وارتفاع الأمية وارتفاع مؤشرات الحرمان من عيش لائق، وارتفاع معدلات البطالة التي تجاوزت 50% كما لا ننسى تدمير البنية التحتية التي أدت إلى تراجع مستويات الرفاهية، لذلك كان على المالية العامة اتخاذ تدابير لرفع مستويات الرفاهية، إلا إن المالية العامة طيلة هذه السنوات لم تبتعد عن دائرة التناقض بين مسألة الكفاية (الإنتاجية) ومسألة العدالة في توزيع ثمار الناتج المحلي الإجمالي للبلاد، فكفة العدالة في توزيع عوائد الموازنة قد هيمنت على مسألة الكفاية الإنتاجية، على وفق المعطيات الكمية التي تؤشر استخدام قرابة ثلاثة ملايين موظف حكومي ومنح معاشات تقاعدية لأكثر من مليون متقاعد وعدد مماثل من الرعاية الاجتماعية، إذ يؤشر هذا المعطى أن هناك خمسة ملايين متلق للدخل الحكومي وهي حالة تهيمن على المقدرة التوزيعية العالية للموازنة العامة لتشمل 25 مليون نسمة من السكان من متلق للدخل الحكومي سواء بشكل مباشر أم غير مباشر على وفق نظام الإعالة.

⁴⁹⁴ وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، (2012) تقرير مؤشرات رصد الأهداف الإنمائية للألفية على مستوى المحافظات ص 475.

إذا ما نظرنا إلى مسألة الكفاية الإنتاجية، فنجد إن القطاع النفطي يهيمن على قرابة (70 %) من الناتج المحلي الإجمالي المملوك للدولة، وان عوائد النفط تشكل أكثر من (94 %) من عوائد الموازنة، كما يلاحظ إن البلاد تعج بالبطالة بنسبة 15% وترتفع هذه النسبة بين العاملين في سن الشباب لتكون (25 %). إذا ما أضفنا التشغيل الناقص البالغ (25 %) فإن إجمالي البطالة سيرتفع إلى 40% لعام 2009 وهو أمر خطير يوشر أن البلاد عاطلة عن الإنتاج بقوة وان الكفاية في تخصي الموارد الإنتاجية عند أدنى نقطة فضلاً عن إن أرياف العراق التي تضم (10) ملايين نسمة تتعايش على البطاقة التموينية، إن الريف لم يعد مصدراً قوياً للعرض الزراعي وانه لا يستطيع أن يسد حاجته من الغذاء إلا بأقل من 30% في أحسن الأحوال. كما يتلقى أكثر من (700) ألف عامل ومهندس صناعي أجور ومرتبات عن مصانع حكومية متوقفة بنسبة (90 %) وان (90 %) من مصانع القطاع الخاص تشهد الحالة نفسها لمصانعها البالغة قرابة (30) ألف مصنع إذ أضاعت البلاد جيلاً صناعياً اندمج حالياً في سوق العمل غير المنتظمة ضمن معطيات التشغيل الناقص⁴⁹⁵.

كل هذه المؤشرات جعلت من الدولة العراقية أن تتدخل لتوفير السلع العامة مجاناً وقد تشكل جزءاً كبيراً من الإنفاق الكلي في الموازنة العامة، إذ نجد أن نسبة الإنفاق على السلع العامة في العراق تشكل 50% من الإنفاق الكلي وفي المقابل نجد أن العوائد الضريبية تقل عن (1 %) في الموازنة مما جعل الشعب راكباً مجاناً من الطراز الأول، وعلى هذا الأساس اعتاد المجتمع على الأخذ من دون عطاء ضمن الإفراط في مفهوم العدالة وهي حالة خطيرة قد تضعف البلاد في ديموقراطيتها وتفقد الفرد حقوقه الديموقراطية بمرور الوقت⁴⁹⁶.

⁴⁹⁵ . مظهر محمد صالح قاسم، مدخل في الاقتصاد السياسي للعراق - الدولة الريعية من المركزية الاقتصادية إلى ديموقراطية السوق، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، بغداد، 2010 ص: 59-60
⁴⁹⁶ مجلة الغري، للعلوم الاقتصادية والإدارية، السنة 10 العدد 31 . 2014، ص: 11

إن قياس تقدم المجتمعات بالاستناد إلى جودة الحياة والعيش الكريم للمواطنين كاستكمال للمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، يشكل اليوم تعبيراً عن انبثاق نموذج جديد للتنمية يضع العيش الكريم للمواطنين في صلب اهتماماته.

تندرج هذه المقاربة في سياق دولي يطبعه تنامي الفوارق الاجتماعية، وبروز تحديات مجتمعية وبيئية جديدة وتساعد الاضطرابات المجتمعية. في هذا الصدد، فإن القضايا المتعلقة بقياس التقدم الاجتماعي هي في مركز النقاش الجاري خلال السنوات الأخيرة في أوساط الهيئات الوطنية والدولية ذات الاختصاص.

كإجابة عن هذه الانشغالات، أوصى تقرير ستيفلغيتز-سين-فيتوسي (2009) حول قياس الأداء الاقتصادي والتقدم الاجتماعي، بتطوير دراسات مستقبلية تتجاوز المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، ولا سيما عبر: (أولاً) بلورة قياسات جديدة لجودة الحياة؛ (ثانياً) أخذ بعد التنمية المستدامة بعين الاعتبار في قياس التقدم؛ (ثالثاً) تحسين القياسات التقليدية المتداولة.

إن هذا التفكير، الذي سنحت للمندوبية السامية للتخطيط فرصة المساهمة فيه منذ أول جلسة افتتاحية في باريس سنة 2008 بمبادرة من طرف رئيس الجمهورية الفرنسية، ثم بعد ذلك في إطار منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية والاتحاد الأوروبي ومنظمة "باريس 21"، ما فتئ يؤكد على محدودية الإحصائيات التقليدية ولاسيما الناتج الداخلي الإجمالي، في قياس تقدم المجتمعات. ويجد هذا التفكير مشروعيته في الفجوة المتنامية الملاحظة بين المؤشرات الكمية وشعور السكان إزاء الواقع الاقتصادي والاجتماعي.

تطورت نتائج الأبحاث حول العيش الكريم منذ ذلك وأصبحت تشكل اليوم، بوابة لفهم أفضل لجودة الحياة كما يتصورها السكان ولمساعدة أصحاب القرار في اختيار السياسات

العمومية بهدف الاستجابة لانتظارات السكان وأخذ بعد العيش الكريم بعين الاعتبار في مشاريع التنمية.

في هذا الإطار، أنجزت المندوبية السامية للتخطيط البحث الوطني حول العيش الكريم سنة 2012. وقد مكن هذا البحث من رصد الحاجيات الاجتماعية للسكان كما عبروا عنها أنفسهم وفقاً لتصوراتهم الخاصة للعيش الكريم والوقوف على الشروط التي يعتبرونها محددة لتحقيقه في حياتهم اليومية. كما مكن من التوفر على ترتيب لأبعاد العيش الكريم كما حدده السكان ومن قياس مستوى رضاهم إزاء الحياة اليومية في مختلف أبعادها.

وعليه وجب أن نذكر أن البحث حول العيش الكريم، قد مكن سابقاً من تحديد أبعاد العيش الكريم من طرف المواطنين وكذا الترتيب الذي يولونه لها حسب تأثيرها على الحياة اليومية، هكذا، أبرز المغاربة ثلاثة مجموعات من الأبعاد:

● الحياة المادية والتي تضم المسكن الذي ورد ذكره من طرف 60% من المغاربة والدخل من طرف 45%.

● المجال الاجتماعي والذي يتضمن العمل لدى 43%، الصحة لدى 32% والتعليم لدى 24%؛

● والمجال المجتمعي، المثار من طرف 29%، ويشمل التضامن الاجتماعي، والثقة، والحياة الأسرية والأنشطة الثقافية والروحية والترفيهية.

كما كشفت نتائج هذا البحث بأن 30% من المغاربة قد صرحوا بكونهم راضين أو راضين جداً، وأن 24.4% منهم راضون بشكل متوسط، في حين صرح 45.7% بأنهم راضون بشكل ضعيف أو غير راضون.

أبعاد جودة الحياة حسب تصورات المواطنين المغرب نموذج
إن قياس تقدم المجتمعات بالاستناد إلى جودة الحياة والعيش الكريم للمواطنين كاستكمال
للمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، يشكل اليوم تعبيراً عن انبثاق نموذج جديد للتنمية
يضع العيش الكريم للمواطنين في صلب اهتماماته.

تندرج هذه المقاربة في سياق دولي يطبعه تنامي الفوارق الاجتماعية، وبروز تحديات
مجتمعية وبيئية جديدة وتساعد الاضطرابات المجتمعية. في هذا الصدد، فإن القضايا المتعلقة
بقياس التقدم الاجتماعي هي في مركز النقاش الجاري خلال السنوات الأخيرة في أوساط الهيئات
الوطنية والدولية ذات الاختصاص.

كإجابة عن هذه الانشغالات، أوصى تقرير ستيفلغيتز-سين-فيتوسي (2009) حول قياس
الأداء الاقتصادي والتقدم الاجتماعي، بتطوير دراسات مستقبلية تتجاوز المؤشرات الاقتصادية
والاجتماعية التقليدية، ولاسيما عبر: (أولاً) بلورة قياسات جديدة لجودة الحياة؛ (ثانياً) أخذ بعد
التنمية المستدامة بعين الاعتبار في قياس التقدم؛ (ثالثاً) تحسين القياسات التقليدية المتداولة.

إن هذا التفكير، الذي سنحت للمندوبية السامية للتخطيط فرصة المساهمة فيه منذ أول
جلسة افتتاحية في باريس سنة 2008 بمبادرة من طرف رئيس الجمهورية الفرنسية، ثم بعد
ذلك في إطار منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية والاتحاد الأوروبي ومنظمة "باريس 21"،
ما فتئ يؤكد على محدودية الإحصائيات التقليدية ولاسيما الناتج الداخلي الإجمالي، في قياس
تقدم المجتمعات. ويجد هذا التفكير مشروعته في الفجوة المتنامية الملاحظة بين المؤشرات
الكمية وشعور السكان إزاء الواقع الاقتصادي والاجتماعي.

تطورت نتائج الأبحاث حول العيش الكريم منذ ذلك وأصبحت تشكل اليوم، بوابة لفهم
أفضل لجودة الحياة كما يتصورها السكان ولمساعدة أصحاب القرار في اختيار السياسات

العمومية بهدف الاستجابة لانتظار السكان وأخذ بعد العيش الكريم بعين الاعتبار في مشاريع التنمية.

في هذا الإطار، أنجزت المندوبية السامية للتخطيط البحث الوطني حول العيش الكريم سنة 2012، وقد مكن هذا البحث من رصد الحاجيات الاجتماعية للسكان كما عبروا عنها أنفسهم وفقا لتصوراتهم الخاصة للعيش الكريم والوقوف على الشروط التي يعتبرونها محددة لتحقيقه في حياتهم اليومية. كما مكن من التوفر على ترتيب لأبعاد العيش الكريم كما حدده السكان ومن قياس مستوى رضاهم إزاء الحياة اليومية في مختلف أبعادها.

نذكر بأن البحث حول العيش الكريم⁴⁹⁷، وقد مكن سابقا من تحديد أبعاد العيش الكريم من طرف المواطنين وكذا الترويج الذي يولونه لها حسب تأثيرها على الحياة اليومية. وهكذا، أبرز المغاربة ثلاثة مجموعات من الأبعاد:

- الحياة المادية والتي تضم المسكن الذي ورد ذكره من طرف 60% من المغاربة والدخل من طرف 45%؛
- المجال الاجتماعي والذي يتضمن العمل لدى 43%، الصحة لدى 32% والتعليم لدى 24%؛
- والمجال المجتمعي، المثار من طرف 29%، ويشمل التضامن الاجتماعي، والثقة، والحياة الأسرية والأنشطة الثقافية والروحية والترفيهية.

497 احمد حلمي علمي، المحددات الرئيسية لتصورات المواطنين بخصوص جودة الحياة في الواقع المعيش المغربي، المندوبية السامية للتخطيط، الرباط، أبريل 2015 .

كما كشفت نتائج هذا البحث بأن 30% من المغاربة قد صرحوا بكونهم راضين أو راضين جداً، وأن 24.4% منهم راضون بشكل متوسط، في حين صرح 45.7% بأنهم راضون بشكل ضعيف أو غير راضون.

إن شعور الفرد إزاء حياته وتصوره حيال عيشه الكريم، هو ليس فقط رهين المستوى المادي لظروف عيشه بل هو أيضاً نتاج اختياراته، تجربته الشخصية، نفسيته، وكذا مستواه الثقافي ودرجة اندماجه في محيطه الاجتماعي والمؤسسي. وهكذا سنقوم بتقديم مستوى الصعوبات والإحساسات السلبية التي يعاني منها السكان إزاء كل بعد من أبعاد الحياة اليومية، وذلك اعتماداً على مؤشرات أولية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التقييم لا يدعي الشمولية، حيث أن عدد المؤشرات المعتمدة، وبالتالي نتيجة الصعوبات أو الإحساسات السلبية المتراكمة، يعتمد على درجة تفاصيل المعلومات المتاحة. هذا، وتعزز المندوبية السامية للتخطيط إنجاز بحث حول جودة الحياة يتجاوز الدخل والمستوى المادي لظروف العيش ليحيط بالمحددات السيكولوجية، الاجتماعية والثقافية التي تفسر شعور المواطنين في حياتهم اليومية.

جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات إزاء السكن على المستوى الوطني، يظهر المؤشر التركيبي للصعوبات إزاء السكن أن ظروف السكن (جودة ومساحة المسكن، والمرافق العمومية) تسهم بنحو 64% من هذه الصعوبات، تليها مضايقات الجوار (26%) وراحة المسكن (10%).

من أصل 18 من الإحساسات السلبية الملاحظة حيال السكن، يعاني 12% من السكان من شعور واحد سلبي على الأكثر (6.1% دون أي شعور سلبي و 5.7% بشعور واحد) ويعاني ما

يقارب 66% من 2 إلى 6 إحساسات سلبية، في حين يواجه 22% من السكان ما لا يقل عن 7 إحساسات سلبية.

وعموماً، يبلغ المستوى المتوسط للرضا حيال السكن 4.7 على 10، وهو ينتقل من 7.2 نقطة على 10 للأشخاص الذين لا يعانون من أي إحساس سلبي إلى 2.5 بالنسبة لأولئك الذين يراكمون على الأقل 10⁴⁹⁸ أحاسيس سلبية.

جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات في مجال الصحة

عموماً، يساهم الولوج إلى الخدمات الصحية و جودتها في حدود 81% من الإحساسات السلبية إزاء الصحة في حين تساهم الحالة الصحية للسكان بنسبة 19%. ولا تختلف بنية هذا التوزيع حسب وسط الإقامة.

يعاني كل مغربي من عشرة (11%) من 3 إحساسات على الأكثر (2.2% بدون أي إحساس سلبي و9% ما بين إحساس واحد و ثلاثة أحاسيس). في حين يعاني تسعة مغاربة من أصل عشرة (89%) مما لا يقل عن أربعة إحساسات سلبية من بين الإحساسات التسعة التي تم قياسها. على المستوى الوطني، يبلغ المستوى المتوسط للرضا إزاء الخدمات الصحية 3.4 على 10. وقد انتقل هذا المتوسط من 6,2 على 10، بالنسبة للأشخاص الذين لا يعانون من أي إحساس سلبي إلى 2,4 بالنسبة لأولئك الذين يراكمون 8 إحساسات على الأقل.

جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات في مجال التعليم

مصدر الشكلين 1 و 2 : أين تكمن ثروة الأمم؟ قياس رأس المال القرن الواحد والعشرين، البنك الدولي

، مركز الإمارات والبحوث الاستراتيجية 2008

⁴⁹⁸ يتعلق الأمر بمتوسط النقط المحصل عليها حسب سلم Cantril ، حيث يختار المستجوبون نقطة بين 0(عدم رضا تام) و10 (رضا جيد) .

تسهم جودة التعليم على المستوى الوطني في حدود 40% من مجموع الإحساسات السلبية إزاء التعليم. وتبلغ هذه المساهمة 33% بالنسبة لجودة التعليم و15.3% بالنسبة لجودة التجهيزات و11.8% بالنسبة لكفاءة المدرسين.

بشكل عام، من أصل 13 إحساسا سلبيا التي تم قياسها، فإن 8.6% من المواطنين يعانون من إحساس سلبي واحد على الأكثر ويعاني حوالي 76% من 2 إلى 6 إحساسات سلبية، بينما يصرح 15,4% من السكان ب 7 إحساسات سلبية على الأقل.

يبلغ المستوى المتوسط للرضا إزاء التعليم 4.3 على 10. وهو يتراجع من 6,4 على 10 بالنسبة للأشخاص بدون إحساسات سلبية إلى 2,3 بالنسبة للأشخاص الذين يعانون على الأقل من 10 إحساسات سلبية من بين 13 التي تم قياسها.

جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات إزاء العمل يشكل النقص في الدخل وضعف جودة أنظمة التقاعد أهم الإحساسات السلبية في مجال العمل بمساهمة تصل إلى 63%. أما بالنسبة لظروف العمل، فلا تساهم إلا بمعدل 37%.

ويبين توزيع النشيطين المشتغلين حسب عدد الإحساسات السلبية أن 10% من السكان تعاني على الأكثر من شعور سلبي واحد من أصل 11 المعتمدة و75% تعاني من 2 إلى 6. في حين تمثل نسبة النشيطين المشتغلين التي تعاني على الأقل من 7 إحساسات سلبية حوالي 15%.

أما فيما يتعلق بالرضا إزاء العمل، فيقدر المستوى المتوسط للرضا بحوالي 4,7 على 10. حيث انتقل المستوى المتوسط للرضا من 7,7 على 10 بالنسبة للنشيطين المشتغلين الذين لا يكونون أي شعور سلبي إلى 3,8 بالنسبة الذين يكونون على الأقل 8.

جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات إزاء الحياة الأسرية والبيئة الاجتماعية
عموما، تمثل عناصر الثقة 34% من العوامل المؤثرة سلبا على جودة الحياة الأسرية
والبيئة الاجتماعية. وتقدر هذه المساهمة بحوالي 29% بالنسبة لعناصر احترام الحقوق
والقوانين الاجتماعية، و28% بالنسبة لأواصر التضامن و9% بالنسبة للعلاقات الأسرية
والاجتماعية.

ومن أصل 26 إحساس سلبي معتمد في هذا البعد، 10% من السكان يعانون على الأكثر
من 3 إحساسات سلبية أو صعوبات، 61% بين 4 و12 و29% على الأقل 13.
ويمثل المستوى المتوسط للرضا إزاء الحياة الأسرية والبيئة الاجتماعية حوالي 4,5 على
10. حيث يصل هذا المتوسط إلى 5,7 بالنسبة للمواطنين اللذين لا يعانون من أي شعور سلبي،
مقابل 3,9 بالنسبة للذين يعانون على الأقل من 13.

جودة الحياة والعيش الكريم حسب التصورات إزاء الحياة الثقافية والترفيهية
عموما، يساهم توفر البنية التحتية والولوج إلى الأنشطة الاجتماعية والترفيهية بحوالي
47% في الصعوبات المرتبطة بهذا البعد من العيش الكريم. والباقي يرجع إلى القابلية الفردية
لممارسة الأنشطة الترفيهية (19.5%)، والصعوبات في ممارسة الأنشطة الترفيهية (17%)
والأنشطة الثقافية (16.5%).

ومن أصل 18 إحساس سلبي معتمد في هذا البعد، حوالي 5% من السكان يعانون على
الأكثر من 4 إحساسات سلبية أو صعوبات، و30% من 5 إلى 9، و65% على الأقل 10.

و يصل المستوى المتوسط للرضا إزاء الحياة الثقافية والترفيهية إلى 3.6 على 10. وتنتقل هذه النسبة من 6 بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من 3 صعوبات (1.1% من المغاربة) إلى 3 بالنسبة للذين يعانون على الأقل 10 من أصل 18 الملاحظة (66%).

جودة الحياة والعيش الكريم الذاتي العام لفهم أحسن للتداخلات بين العيش الكريم الذاتي العام وجودة الحياة، تم إعداد حاصل إجمالي للإحساسات السلبية والصعوبات المعيشية. والذي يعمل على تجميع على مستوى كل شخص مستجوب، النتائج المرتبطة بكل بعد من أبعاد العيش الكريم. انطلاقاً مما تم تصميمه، يعكس هذا المؤشر تراكم الإحساسات السلبية والصعوبات، ويفرز معلومات عن تدني جودة الحياة: فكلما كان مرتفعاً كلما تدهورت جودة الحياة.

فيما يتعلق بمجموع السكان، فإن المعدل المتوسط للإحساسات السلبية هو 39,2 من أصل 95 ميزة محددة لجودة الحياة تمت ملاحظتها من خلال البحث الوطني حول العيش الكريم. حسب وسط الإقامة، فإن هذا المعدل يرتفع في الوسط القروي بـ 43 مقابل 37 في الوسط الحضري. ويتراوح مجموع الصعوبات والإحساسات السلبية بين 9 كحد أدنى و74 كحد أقصى. بالإضافة إلى ذلك، 50% من الساكنة تعاني على الأقل من 39 صعوبة أو إحساس سلبي. ويصل هذا العدد الوسيط للإحساسات السلبية إلى 36 في الوسط الحضري مقابل 42 في الوسط القروي. من جهة أخرى، يعاني 20% من الأشخاص، الذين يتمتعون بأعلى جودة حياة من 25 صعوبة أو إحساس سلبي في المتوسط، في حين يعاني 20% من الأشخاص الذين يعيشون أدنى جودة حياة من 55 صعوبة أو إحساس سلبي في المتوسط من مجموع كل أبعاد العيش الكريم.

وإذا كان مؤشر عدم المساواة (جيني) في الإحساسات السلبية يصل إلى 0,15، فإن ذلك يدل على أن المغاربة متساوون بشكل كبير إزاء الصعوبات والإحساسات السلبية المحددة لجودة الحياة. غير أن مستوى التفاوت يبقى نسبيا أكثر حدة في الوسط الحضري ب 0,166 مقابل 0,126 في الوسط القروي.

تأثير الإحساسات السلبية على مستوى رضا المواطنين في الحياة اليومية

إذا قمنا بترتيب الأشخاص حسب مجموع الصعوبات والإحساسات السلبية المعيشة على مختلف مستويات الحياة، فإن 20% من الساكنة التي تتوفر على أعلى جودة الحياة (9 إلى 30 إحساسا سلبيا) تصرح بأن مستوى رضاها في المتوسط هو 6,3 على 10. أما بالنسبة ل 20% من الساكنة التي تترشح تحت تأثير الإحساسات السلبية (49 أو أكثر) تصرح في المتوسط بأن مستوى رضاها ضعيف يصل إلى 3,7.

وفي نفس السياق، 20% من الساكنة الأقل حظا فيما يتعلق بجودة الحياة تعيش في الوسط القروي ب 53%، مقابل 47% بالوسط الحضري. وحوالي نصف هذه الساكنة بدون مستوى تعليمي، و40% منها تشتغل كعمال، و24% تشتغل كمستغلين فلاحيين، و70% منها تصرح بدخل شهري لا يتعدى 3000 درهم.

أما بالنسبة للساكنة التي تتمتع بأعلى جودة حياة، ف 80% منها هي ساكنة حضرية، و60% تحظى بمستوى تعليم ثانوي أو عالي، و44% منها عبارة عن أطر عليا أو متوسطة و44% منها تصرح بدخل شهري يفوق 5000 درهم.

نحو رفاه اجتماعي يعيد بناء وصناعة الواقع الرفاهي

ونحن نتناول موضوع الرفاه الاجتماعي والاقتصادي النفسي من خلال ما عرّجنا عليه، في إطار مقارنة تحليلية تفكيكية سوسيولوجية بحثية، وفي ظل التحولات المجتمعية وخصوصا التحول والتغير الذي شمل نمط العلاقات في ارتباط بالرقمنة التي عرفها الوجود والمجتمع الإنساني، سيشكل المجتمع الافتراضي التكنولوجي او بلغة اخرى مجتمع المعلومة او بتعبير "لوتشيانوا فلوريدي" مجتمع الانفوسفير⁴⁹⁹، شكلا اخر من الظواهر التي ارتبطت بالانسان المعاصر بالخصوص. إن المجتمع الاليكتروني بات اليوم خصوصا مع تهافت الكثير من الدراسات على هذا الموضوع من اجل الدراسة والبحث والتأمل والتنقيب عن حقيقة هذا الاخير، لا ننفيك اليوم ونحن نشتغل على خلخلة الرفاهية الانسانية على الموضي فُدما في الموضوع والتنقيب عنه داخل حقل المجتمع التكنولوجيا المعاصرة، وفي هذا السياق نتساءل بشكل استشكالي للموضوع حول الكيفية التي تعمل بها التكنولوجيا المعاصرة على صناعة الرفاه الإنساني على الطريقة الافتراضية؟

إن مستقبل الرفاه اليوم لا ننفي ونحن في ظل المجتمع التكنولوجي، انه أصبح رهين به سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. معنى ذلك أن الانسان لو لاحظنا اليوم أضحي جزء من حياته ووقته وفعله وتفكيره ونشاطه رهين بالنسق التكنولوجي المعلوماتي الافتراضي، الى درجة يصح معها القول بالكائن الرقمي. لذلك هم الفرد الى يناء نموذج وجودي يتلاءم مع هذا الوسط الرقمي الجديد، عمل فيه على اعادة هيكلة وابداع نسق المفاهيم والقيم والافكار بما يخدم هذا الوجود.

⁴⁹⁹ . لوتشيانوا فلوريدي، الثورة الرابعة، ترجمة لوي عبد المجيد، منشورات عالم المعرفة العدد 452، الكويت 2017 ص:

اننا نعلم جميعا ان مجتمع المعلومة له جذوره العميق المتجذرة في ظهور الكتابة والطباعة ووسائل الاعلام الاجتماعي... وعلى ذلك فهو لم يصبح واقعا الا في الآونة الاخيرة عندما تطورت وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال⁵⁰⁰، والتي ربما تنتهي إلى تشكيل وصياغة أو حتى السيطرة على حياة الانسان⁵⁰¹ لذلك يمكن إن نعتبر هذا التحول في الفضاء هو تحول في الرفاه كذلك وتحول في جودة الحياة وتحول في السعادة وقس على ذلك باقي أنماط التحول التي يمكن أن يمسه يانوس (الاله التغير والتحوي في الميثولوجيا الرومانية)⁵⁰²

إن هذا الرفاه الاليكتروني إن شئت أن أسميه سيمكن إن شئنا القول من تحقيق نوع من التحول الجذري عبر فقدان الاتصال بالرفاه الفطري والطبيعي الحقيقي⁵⁰³، إلى رفاه افتراضي نسبي، قد نقول عنه انه باستطاعته إن يجعلنا نتذوق نفس ذوق الرفاه مدام الفضاء مشترك، والأدهى من هذا أنه رفاه غير مؤطن يتميز بخاصية عدم التوطن⁵⁰⁴ انه رفاه عولمي إلى أبعد تقدير. إن الانفوسفير فضاء لديه القدرة على التموّج بيننا وبين السعادة والرفاه. ولديه القدرة على التحكم في درجة الرفاه وقدرته ومستوياته، إن الانفوسفير فضاء لصناعة الرفاه الافتراضي. إن تكنولوجيا المعلومات الرقمية تجعلنا تجربة معلوماتية غنية عن التعريف، يعمل هذا النموذج الجديد والمقترح من الرفاه ويتميز بالفدر على التدفق المعلوماتي وبالتالي القدرة على خلق وتدفق الرفاه، إننا بهذا المعنى أمام تدفق للحياة وتدفق للسعادة على إيقاع تدفق المعلومات. هذا ولا يخفى أن الحديث اليوم عن تجربة الانفوسفير هو حديث عن نوع من الحياة دائمة الاتصال، وقد نقيس على هذا المنوال بالقول إن الفضاء المعلوماتي والاليكتروني اليوم جعل

500 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 13

501 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 59

502 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 60

503 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 65

504 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 66

الإنسان قادر على الحفاظ على رفاه دائم الاتصال، أو بالأحرى القول حياة دائمة الاتصال في مقابل رفاه وسعادة دائم الآن وجاد الاتصالي، ونكون أمام إنسان دائم الاتصال بالرفاه والسعادة وقادر على تحديثها. إن الحديث اليوم على هذا النوع من الرفاه الاليكتروني مشروط إن شئنا بقدرة الفرد على التفاعل الاليكتروني وعلى دوام صبيب النيت بتعبير " أن يكون التواصل معك ممكنا" ⁵⁰⁵.

لنقر جميعا أن الذات الاجتماعية هي القناة التي من خلالها تمارس تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وبخاصة وسائط الإعلام الاجتماعي، تأثير عميق على هوياتنا وعلى رفاهنا الاجتماعي والنفسي والاقتصادي حتى في مستويات معينة، إنها تغير الظروف الاجتماعية التي تعيش فيها، وتعديل ما تتمتع به من شبكة علاقات وتدفق للمعلومات، وبشكل غير مباشر تعيد تشكيل طبيعة الإنسان ونطاق تفكيره ونموذج عيشة وتعيد صناعة نمط حياته وتتحكم في جودة هذه الأخيرة، انها تعمل على تقديمك للعالم وتقديمك لنفسك وتعمل على إعادة بنيتك وفق ما تريد أنت ووفق ما يريد العالم الافتراضي، وفي ضوء ذلك يحدث تعديل جذري لذاتك الاجتماعية⁵⁰⁶، وتنعكس على تصوراتك للرفاه وللحياة وللسعادة الذهنية بالخصوص والتي يتم إجرائها في الواقع بما يطابق تلك الصور الذهنية، وهو الأمر الذي يفضي إلى تشكيل هويتك ونموذج الرفاه لديك، لكن ما يمكن إن نسجله على الافتراضي هو انه نموذج غير واقعي نموذج زائف⁵⁰⁷ على الرغم من الصورة التي قد تبدو لنا حقيقية ومطابقة للواقع أو ما نستطيع تحقيقه من الافتراضي في الواقع. لكن ما يمكن أن نسجله على الافتراضي هو القدرة الهائلة على دفع الإنسان إلى نقل

505 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 83

506 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 91

507 . لوتشيانوا فلوريدي، نفس المرجع ؛ ص: 94

وجوده الواقعي إلى الانفوسفير، وبالتالي تنقل معها كل جوانب الحياة الأخرى وعلى رأسها الرفاهية المفترضة.

خاتمة

لم تعد السعادة اليوم بمختلف مظاهرها مجرد إضافة سارة إلى العمل الأهم الذي هو جني المال⁵⁰⁸، ولا اهتماما من اهتمامات ذوي تلك المرحلة العمرية، التي تتيح لمن وصلوا إليها الوقت الكافي ليعيدوا لأنفسهم الخبز، بل هي الآن، بوصفها كيانات مرئية يمكن قياسها وتحسينها، قد اخترقت قلعة إدارة الاقتصاد والمجتمع العالمي، فإذا كان المنتدى العالمي للاقتصاد يشكل مرشدا ما، فإن مستقبل الرأسمالية الناجحة يتوقف على قدرتنا على التصدي للضغوط النفسية وتحقيق المزيد من السعادة والرفاه للذات وللغير، والقدرة على تجنب البؤس النفسي والمرض، ووضع

⁵⁰⁸ وليام ديفيز، السعادة، ترجمة مجدي عبد المجيد خاطر، مجلة عالم المعرفة عدد 464، ص: 14

الاسترخاء والسعادة والصحة والمكانة اللائقة، وهذا ما يضمن جودة حياة رفيعة مطلوبة، ولقد أصبحت التقنيات والمقاييس متاحة الآن لتحقيق ذلك، وهي تغزوا مقر العمل والشارع الرئيس والمنزل وجسم الإنسان.

إن أملنا اتجه استراتيجيا صوب هذا السعي الموضوعي والموجه والقابل للقياس خلف السعادة. ويجب الآن عن مسائل الحالة المزاجية التي كانت تعد يوما امراً "ذاتيا" باستخدام بيانات موضوعية. وفي الوقت نفسه، أصبح علم الرفاهية هذا متداخلا مع معارف طبية واقتصادية واسعة، وتتناهى المزاعم بشأن الأذهان والأدمغة والأجسام والنشاط الاقتصادي مع ازدياد التداخل بين التخصصات بدراسة السعادة من دون اهتمام يذكر بالمشكلات الفلسفية ذات العلاقة بها.

إن السعادة والرفاه وتحسين جودة الحياة تشكل غاية الإنسان الكبرى وحتى بمعناها الأخلاقي للكلمة، انه مع تغلغل علم النفس الايجابي وقياس السعادة بثقافتنا الاقتصادية والسياسية منذ تسعينيات القرن الماضي، نما إحساس بعدم الارتياح بسبب الطريقة التي تبنى بها صناعات القرار السياسي المسؤولية حول مفهومية السعادة والرفاهية، حيث ينتهي الأمر بهذا العلم تحميل الأفراد مسؤولية شقائهم.

إن السبب البنيوي للاهتمام المتعاظم بالسعادة مريبك بعض الشيء، خصوصا وان الأمر متعلق بالثقافة، سعيا للبحث عن الطريقة التي يشعر بها الآخرون بالسعادة أو التلاعب بها.

الفصل الخامس السعادة والحكومة في الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

نحن نعيش في عصر يُعجُّ بالتغيرات المزعجة، وشهدنا مرارًا وتكرارًا كيف تخلق الحياة العصرية ظروفًا جديدةً تهدد جودة حياتنا من الناحية النفسية والبدنية. فكثيرًا ما تتوتر العلاقات الاجتماعية والروابط العائلية وشبكات الدعم الاجتماعي عند الانتقال من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية. وتقدم المنتجات والتقنيات الجديدة أشكالًا جديدة من المتعة، ولكنها تقدم أيضًا صورًا جديدةً من الإدمان، مثل إدمان لعب ألعاب الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي. وتُسهم الوجبات الغذائية السريعة الجديدة المليئة بالسكريات المضافة والحبوب فائقة التكرير في انتشار أمراض السمنة حول العالم. كما تُنتج مصانع الأدوية، القانونية منها وغير القانونية، أنواعًا جديدةً من الأدوية المُسبِّبة للإدمان، مثل الأشباه الاصطناعية للأفيون، ما يؤدي إلى حدوث أزمات جديدة في الصحة العامة. ولا غرابة في ارتفاع معدل اضطرابات الاكتئاب وغيره من الاضطرابات الوجدانية في الكثير من البلدان، بما فيها البلدان الغنية⁵⁰⁹.

ومع ذلك، فإن مجال دراسات السعادة يحمل أنباءً سارة فيما يتعلق بالحوكمة أيضًا. فبالإضافة إلى المساعدات المباشرة التي تُجرى لضمان نظم غذائية أصح، ومدن مُعززة للصحة، وشبكات دعم اجتماعي أقوى، فإن هناك أيضًا مساعدات مُتدنية التكلفة وبالغة الفعالية فيما يتعلق بالصحة العامة، ويمكنها تحسين العديد من الأوضاع المتردية للصحة النفسية والبدنية. وقد ثبت أن استشارات الصحة النفسية هي المساعدة الوحيدة الأكثر فعالية من حيث التكلفة؛ للحد من معاناة الأفراد، والارتقاء بمستوى جودة حياتهم. إن الأمر المثير للاهتمام هو أن نسبة كبيرة جدًا من الأفراد الذين يعانون من الاكتئاب والاضطرابات الوجدانية الأخرى في الكثير من البلدان لا يمكنهم الحصول على خدمات الصحة النفسية. وتتغافل الكثير من

⁵⁰⁹- التقرير العالمي للسعادة 2018 ص 8

الحكومات بصفة عامة عن التطورات العلاجية المتاحة الآن في مجال الصحة النفسية والنفسية. وعلاوةً على ذلك، يتم تجاهل الأمراض النفسية، ولا تُطرح عند مناقشة السياسات العامة؛ لأنها كثيراً ما يُنظر إليها على أنها أمر مُشوّه للسُّمعة، رغم التكاليف الهائلة التي تُلقِيها على كاهل الأسر والمجتمع، والفوائد الهائلة التي قد تنتج عن الارتقاء المُمنهج بمستوى خدمات الصحة النفسية⁵¹⁰.

أولاً : الحكومة الرشيدة في القرن الواحد والعشرين
الأزمة البيئية العالمية

ستواجه الحكومات صعوبات أكبر في تعزيز سعادة المواطنين إذا استمرت بتجاهل الأزمات البيئية المتنامية التي تجتاح بلدانها والعالم بأسره. فالاحتباس الحراري العالمي، وارتفاع معدلات حموضة المحيطات، وتدهور التربة، والتلوث الكيميائي، وتدمير الموارد الطبيعية للكائنات الأخرى؛ كلها ظواهر تتفاقم بوتيرة سريعة، ولا يزال مستوى فهم الحكومات ومواطنيها لهذه التهديدات مُتدنياً للغاية، حتى مع تزايد الكوارث البيئية. وتزداد تكاليف تدارك الكوارث البيئية بشكل كبير وبلغت مستويات قياسية عام 2017 وتشتمل هذه الكوارث على الأعاصير المدمرة، وحرائق الغابات، والفيضانات وفترات الجفاف، والموجات الحارة، وغيرها من الكوارث، وحتى أثرى بلد في العالم عُرضة للأزمات البيئية المتفاقمة⁵¹¹.

ولعل المعنى الضمني هنا واضح جداً: تتوقف سعادة المواطنين على الوعي البيئي، والسياسة البيئية، والعدالة البيئية. يحتاج الناس حينما كانوا إلى المساعدة في مواجهة أي أزمة عالمية متفاقمة تؤثر في الأمن الغذائي، وسلامة البنية التحتية مثل وسائل نقل الطاقة

⁵¹⁰ نفس المرجع سبق ذكره ص 9

⁵¹¹ نفس المرجع سبق ذكره ص 10

والطرق والسدود، وإنتاجية الكثير من سُبل العيش بدءاً من المزارعين ووصولاً إلى المقاصد السياحية⁵¹².

وفي العديد من البلدان، تستغلُّ جماعات الضغط بما فيها قطاعات الفحم والنفط والغاز، نفوذها السياسي لإبطاء الإجراءات المناخية، وإنكار العدالة المناخية؛ إذ يحاول بعض منتجي الوقود الأحفوري إبطاء مسيرة التحوُّل إلى الطاقة المتجددة، كما يحاول بعض منتجي السيارات إبطاء عملية التحوُّل إلى المركبات الكهربائية، وتحاول بعض الشركات الزراعية الكبرى إبطاء تفعيل اللوائح التي تمنع تطهير الأراضي والاستخدام المفرط للمياه، ويحاول المطورون العقاريين دُوو النفوذ السياسي إبطاء عملية الانتقال إلى خطط التنظيم العمراني المستدامة. وفي حال تمكَّنت مجموعات الضغط هذه من عرقلة مسيرة الانتقال إلى الاستدامة، فإن النتائج بالنسبة للعالم أجمع ستكون كارثية، إذ سيكون من الصعب تحقيق السعادة في عالمٍ تجتاحه العواصف الجارفة، وارتفاع مستويات سطح البحر بوتيرة سريعة، والشدة والوتيرة المتفاقمتان للكوارث المناخية الأخرى.

المهارات والتطوُّر التكنولوجي

يتمثل أحد التحديات الرئيسية التي تواجه كل المجتمعات في الاستفادة من التطوُّر السريع للتقنيات الرقمية، وكذلك الذكاء الاصطناعي. ولا شك بأننا نعيش في عالمٍ جديدٍ أصبح بإمكان الآلات فيه أن تتعلم مهارات، بشرية والشرنج ”Go خارقة“ (مؤخراً في ألعاب مثل “غوفي بضع ساعات فقط، ما أدى إلى تطور الآلات وبراعتها في أداء المهام بشكل يفوق كبار الخبراء البشريين. وسيكون لهذا التطوُّر التكنولوجي السريع آثار هائلة على الحوكمة) مثل : طرق تقديم الخدمات العامة، والتصنيع، والتمويل، والزراعة، والترفيه، والرعاية الصحية،

⁵¹²- نفس المرجع سبق ذكره ص 10

والتعليم وغيرها الكثير. كما أن الحرب ستتحوّل هي الأخرى بصورة قد تكون مُرَوّعة، مع التطوّر الحاصل في مجال الحرب الإلكترونية، ونُظُم الأسلحة ذاتية التشغيل، والحرب في الفضاء، وغيرها 513.

وستتأثر اقتصاديات جميع البلدان، هذا وساعد التطور التكنولوجي مؤخراً عدة شركات رقمية كبرى، مثل: "أمازون"، و"آبل"، و"جوجل"، و"فيس بوك"، و"ميكروسوفت"؛ إذ صارت هذه الشركات الخمس هي الشركات الأعلى قيمة في العالم؛ وبلغت القيمة السوقية لها مجتمعة في ديسمبر 2017 نحو 3.3 تريليون دولار أمريكي. وابتكرت هذه الشركات خدمات ونماذج عمل جديدة، ولكن ثبت أن هذه النماذج تهدد الخصوصية الشخصية، والثقة في أنظمتنا الانتخابية، وتؤدي إلى تفاقم أوجه عدم المساواة من حيث الثروة والدخل 514.

نحن ندرك تماماً أن العمل الجيد هو أحد أهم ركائز السعادة، كما ورد في الفصل الذي يتناول السعادة وبينة العمل من هذا المجلد. ولكن من المؤكد أن الثورة الرقمية ستُحدث خللاً كبيراً في القوى العاملة خلال الأعوام المقبلة، إذ ستحل الآلات الذكية محل العديد من الوظائف الحالية، وبذلك سيعاني ملايين الأفراد للعثور على سُبُل عيش كريمة، وسيضطرون إلى قبول أجور أقل بكثير في كثير من الأحيان. وإجمالاً، ستصبح السعادة مهددة ما لم تبتكر المجتمعات طرقاً إبداعية جديدة لضمان سُبُل عيش أساسية لجميع الباحثين عن عمل، تصون كرامتهم. وسيظل تحدي تحقيق السعادة في العصر الرقمي موضوعاً أساسياً للمجلس العالمي للسعادة خلال الأعوام المقبلة 515.

513- نفس المرجع سبق ذكره ص 10

514 نفس المرجع سبق ذكره ص 10

515 نفس المرجع سبق ذكره ص 10

عدم المساواة وإعادة التوزيع

هناك درس أساسي في مجال اقتصاديات السوق يجب أن تعيه جيداً جميع الحكومات التي تعمل على تعزيز السعادة، ويتمثل هذا الدرس في أنه حتى في حال تمتع الناس بتكافؤ واسع النطاق في الفرص، فإن نواتج السوق تميل إلى تزايد أوجه عدم المساواة بمرور الوقت؛ إذ يزداد الأثرياء ثراءً عن طريق استغلال امتيازاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية بهدف الاستثمار في القطاعات الناشئة بأقرب وقت وعلى نحو أفضل، والاستفادة من المحسوبية السياسية، والوقاية من المخاطر الطبيعية والصدمات الأخرى التي يتعرض لها الاقتصاد. ويتطلب الحفاظ على مستوى منخفض نسبياً من عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية بذل جهود ابتكارية ودؤوبة⁵¹⁶.

لقد ابتكرت الاقتصاديات مرتفعة الدخل والأكثر مساواةً مثل تلك التي تتمتع بها الدول الإسكندنافية، مجموعة من المؤسسات، للتصدي "لأوجه عدم المساواة المتزايدة. وتتميز هذه المؤسسات على وجه الخصوص بإمكانية الوصول إلى خدمات عامة عالية الجودة، بما في ذلك خدمات الرعاية الصحية، ورعاية الأطفال، والتعليم. وتؤكد الأعراف الاجتماعية السائدة في هذه البلدان أيضاً على قيمة المساواة الاجتماعية، وغالباً ما تُعارض هذه المجتمعات التباهي بالثراء الفاحش. وطبقاً للأعراف الاجتماعية السائدة، فمن المتوقع من الأثرياء المساهمة في تحقيق الرفاه عن طريق إطلاق المبادرات الخيرية

السخية والخدمات العامة⁵¹⁷.

ويتقن القليل من المجتمعات مرتفعة الدخل خارج أوروبا الشمالية فنون المساواة بين البشر إلى وقتنا هذا، وتعاني معظم البلدان من عدم المساواة في الدخل معاناة أشد بكثير

⁵¹⁶- نفس المرجع سبق ذكره ص10

⁵¹⁷- نفس المرجع سبق ذكره ص11

من البلدان الإسكندنافية. هذا ويفرض الأثرياء في معظم الأنظمة السياسية سيطرتهم على مقاليد السلطة، ويحاولون التلاعب بالسياسات العامة لتحقيق مصالحهم. بالإضافة إلى ذلك فقد عززت العولمة من السلطة التي يتمتع بها الأثرياء، إذ مكَّنتهم من إخفاء ثروتهم الطائلة في ملاذات سرية وملاذات ضريبية في جميع أنحاء العالم، كما تسعى الأعراف الاجتماعية التي يدعمها الأثرياء في أجزاء متفرقة من العالم إلى تبرير أوجه عدم المساواة الهائلة من حيث الدخل والثروة عبر تصويرها (وهذا غير صحيح برأيي) على أنها أمر لا مَنَاصُ منه. فهم يدَّعون أن الثروة الطائلة من المفترض أن تكون انعكاساً لامتاع أصحابها بمواهب كبرى، ومن ثم، فإنهم يتمتعون بقيمة أخلاقية أعلى⁵¹⁸.

القوى العالمية والسعادة الوطنية

يُتوقَّع معظم سكان العالم وحكومات الدول الأعضاء في الأمم المتحدة البالغ عددها 193 بلداً، إلى أن ينعم الجميع بالسلام والتسامح والسعادة، ولكن الأثرياء ودُوي السلطة كثيراً ما يفعلون ما يشاؤون دون خشية من عقاب. إذ قد يرغب العالم في السلام، ولكن إذا رغبت قوة عظمى شنّ الحرب، فما الذي يمنعها عن ذلك؟ قد يرغب العالم في أن ينعم الجميع بالرخاء، ولكن إذا قررت أقوى الشركات في العالم تحقيق الأرباح بجشع على حساب الفقراء والبيئة، فما الذي يمنعها عن ذلك؟

وإجابتي عن هذه الأسئلة هي عبر الرأي العام العالمي، الذي يُمكن تعبئته من خلال الحكومات والجهود الدبلوماسية للأمم المتحدة. إن الأمم المتحدة مؤسسة جديرة بالاعتبار، ولكنها هشة، فقد كانت من تصوّر الرئيس الأمريكي الأعظم فرانكلين ديلانو روزفلت في استجابةً لحربين عالميتين. ويضع ميثاق الأمم المتحدة إطاراً عالمياً لتحقيق السلام، بينما

⁵¹⁸- نفس المرجع سبق ذكره ص11

يضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي يُسمّى أحياناً بالميثاق الأخلاقي للأمم المتحدة، إطاراً عالمياً لتعزيز الكرامة وحقوق الإنسان وجودة الحياة للجميع.

وحددت الأمم المتحدة في الأعوام القليلة الماضية التنمية المستدامة كإطار عمل شامل وضروري لتحقيق جودة الحياة على الصعيد العالمي. وتبنّت الدول الأعضاء، في الأمم المتحدة بالإجماع جدول أعمال 2030 وأهداف التنمية المستدامة الـ 17 كإطار عمل مُتَّفَق عليه للتنمية خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 2016-2030 - كما تبنت أيضاً، اتفاق باريس للمناخ "كإطار عمل استرشادي للتصدي لأزمة الاحتباس الحراري العالمي. هذا وتدعو التنمية المستدامة إلى الوصول إلى التنمية الاقتصادية التي تهدف إلى تحقيق الشمول الاجتماعي والاستدامة البيئية، وهي حقاً إطار عمل لتحقيق السعادة العالمية.

ومن المُتَوَقَّع في هذا السياق أن تلقى المبادرة الجديدة لدولة الإمارات العربية المتحدة التي تهدف إلى تعزيز الحوار بين الحكومات لاستكشاف أفضل الممارسات لتحقيق السعادة ومشاركتها، استحساناً عاماً. وسيؤدي الحوار العالمي للسعادة دوراً مهماً في تمكين العالم من تنفيذ جدول أعمال 2030، وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتحقيق أهداف اتفاق باريس للمناخ، فضلاً عن تحقيق آمال ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وإننا نتطلع جميعاً في المجلس العالمي للسعادة، الذي يتألف من شبكة من الباحثين والخبراء والممارسين في مجال السعادة المتطوعين، إلى دعم الحوار العالمي للسعادة في الأعوام المقبلة. إن المخاطر كبيرة، ولكن قدرة الحوار العالمي للسعادة على تعزيز جودة حياة البشر في جميع أنحاء العالم هائلة⁵¹⁹.

⁵¹⁹- نفس المرجع سبق ذكره ص11

ثانياً: صياغة السياسات العالمية للسعادة 2018

يؤذن التقرير العالمي لسياسات السعادة لعام 2018 بانطلاق مرحلة جديدة من تغيير مجالات أهداف السياسات الحكومية ومضمونها؛ بحيث تركّز على الارتقاء بمستوى جودة الحياة البشرية المستدامة والعدالة. وجاء هذا التغيير في منظور السياسات نتاجاً لعقود طويلة من الاستياء المتزايد من الاكتفاء بقياس مدى التقدم البشري على أساس نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي، وباستلهاام قرار اتخذته بوتان منذ أكثر من أربعين عاماً بجعل السعادة هدفاً وطنياً، وتدعمه عقود من الأبحاث التي تهدف لتأسيس علم للسعادة مشترك بين التخصصات. وتلاقت هذه الخطوط في 19 يوليو 2011، عندما اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً قدمته مملكة بوتان، والذي "دعا الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى اتخاذ خطوات تُولي السعادة وجودة الحياة أهمية أكبر في تحديد كيفية تحقيق وقياس التنمية الاجتماعية والاقتصادية" 520.

وأثر ذلك القرار عن تنظيم رئيس مجلس وزراء مملكة بوتان اجتماع رفيع المستوى بعنوان "جودة الحياة والرفاه: وضع معايير اقتصادية جديدة" في مقر الأمم المتحدة في 2 أبريل 2012 وشهد ذلك الاجتماع إصدار تقرير السعادة العالمي الأول، والذي ضمّ جميع البيانات العالمية المتوفرة عن السعادة على الصعيد الوطني، وأطلع على الأدلة ذات الصلة والمستقاة من علم السعادة الناشئ. وجاء التقرير، القائم على العديد من المراجعات الأخرى لعلم جودة الحياة، ليؤيد إمكانية تقييم مستوى جودة حياة الأشخاص بشكل متنسق وموثوق وصحيح بناءً على مجموعة متنوعة من مقاييس جودة الحياة الشخصية، المشار إليها مجتمعةً في هذا التقرير بـ "السعادة". كما يستند التقرير، واجتماع الأمم المتحدة، إلى مبادرة جودة

520- نفس المرجع سبق ذكره ص 15

الحياة التي أطلقتها المملكة المتحدة في نوفمبر 2010 ، والتي تميّزت بحشد مشاركات رفيعة

المستوى من محاور حكومية وسياسية وإدارية، وتلك المعنية بجمع البيانات 521

كان لعوامل تقييم حياة الأفراد دور محوري في تقارير السعادة العالمية؛ لأنها تُقدّم

مقياساً شاملاً لمقارنة الأهمية النسبية للمحاور الداعمة للحياة الكريمة. وأكدت المبادئ

التوجيهية الخاصة بقياس جودة الحياة الشخصية الخاصة بمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية

، والتي اعتبرت دراسة حالة في التقرير الأول، ضرورة تقييم حياة الأفراد كمؤشر رئيسي،

ويُفضّل أن يترافق ذلك مع رصد العواطف (أي المشاعر الإيجابية أو السلبية التي يختبرها

الأفراد في حياتهم اليومية)، والسعادة المفضية أي قياس الغاية من الحياة)، (

Eudaimonia (لجودة الحياة وغيرها من العوامل التي ثبت إسهامها في تحسين حياة

الأفراد) مثل: الدخل، والصحة، وفرص العمل الجيدة، والعائلة والأصدقاء، والمجتمعات

المنفتحة، والحكم الرشيد، والثقة، والكرم. وعلاوةً على ذلك، يسمح وجود مقياس شامل

لجودة الحياة الشخصية بتقييم الأهمية النسبية لتلك العوامل الداعمة لجودة الحياة، ما يسمح

بتجاوز مرحلة كونها رغبة عامة في تحسين مستوى جودة الحياة، إلى اعتماد سياسات محددة

قائمة على أدلة؛ بغية تحسين حياة الأفراد 522.

وشهدت الفترة السابقة والتالية لاجتماع الأمم المتحدة المنعقد في أبريل 2012 ؛

محاولات لتحديد الآثار المحتملة لأبحاث السعادة على السياسات العامة، بالإضافة إلى الجهود

المبذولة على الصعيدين الوطني والدولي لوضع إطار لسياسات جودة الحياة، على النحو

الوارد في فصل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، من هذا التقرير. وبذلت حكومة بوتان

521 نفس المرجع سبق ذكره ص15

522- نفس المرجع سبق ذكره ص15

جهوداً استثنائية في إجراء استبيان دوري وطني كل أربعة أعوام، واستخدام النتائج لدراسة العلاقة بين مختلف السياسات وجودة الحياة والسعادة . ولكن لا يتوافر القدر ذاته من المعلومات في مناطق أخرى عن السياسات الداعمة لأجندة السعادة . هذا وتم تشكيل المجلس العالمي للسعادة في مطلع عام 2017 ؛ لتيسير وضع سياسات السعادة في الدول المهمة بذلك، وتمثلت أولى مهام المجلس بإنشاء قائمة تضم استراتيجيات سياسات السعادة والتدخلات المقترحة أو التي يتم تجربتها في مختلف مجتمعات ودول العالم⁵²³.

ويستعرض التقرير العالمي لسياسات السعادة لعام 2018 المحاولات الأولى للمجلس العالمي للسعادة؛ لتقييم نطاق وجودة الأدلة الداعمة لأفضل الممارسات المحتملة لسياسات السعادة، فضلاً عن كيفية جمع بيانات السعادة والاستفادة منها في وضع السياسات. وتمثلت الخطوة الأولى بتشكيل ست فرق لموضوعات السياسات، يركز كل منها على موضوعات شملت الصحة، والتعليم، والعمل، والسعادة الشخصية، والمدن، والمقاييس. ويشمل هذا التقرير خطة العمل الأولية لكل فريق، وسيتبعه تقرير آخر في عام 2019 ويُعدُّ هذا تقريراً أولياً وغير مكتمل لمحاولتنا الأولى لإنشاء قائمة لأفكار سياسات السعادة. وهو تقرير أولي لعدم كفاية الوقت المتاح لإجراء الاستبيانات اللازمة مقارنةً بالعدد الكبير للأفكار الآخذ بالازدياد، كما أنه غير متكامل، لأن فرق الموضوعات قررت البدء بتناول جزءٍ من مجالات موضوعاتها فقط، مع مخططات لتوسيع نطاق التغطية ومراعاة توازنها في التقرير الثاني⁵²⁴.

وكرسنا الفصول الواردة في التقرير العالمي لسياسات السعادة الأول للبحث عن سياسات تساعد في تحسين مستويات السعادة وتوزيعها. وتنطلق فصول التقرير من أن مفهوم

523- نفس المرجع سبق ذكره ص15

524- نفس المرجع سبق ذكره ص15

جودة الحياة الشخصية، يمكن تقييمه عبر أساليب تشمل، على سبيل المثال وليس الحصر، سؤال الأفراد عن كيفية تقييمهم لجودة حياتهم الخاصة؛ ما يوفر مقياساً وافياً لجودة الحياة في المجتمع بأسره، ويُعد محوراً مفيداً في السياسة العامة. وتم وضع الأسس العلمية لنقطة الانطلاق هذه في تقارير السعادة العالمية على مدى عدة أعوام، وهي تضم دراسات علمية خضعت لمراجعات عدة. ويمثل هذا التقرير أول جهودنا لجمع أدلة عالمية حول السياسات الأكثر فعالية في تقديم حياة أفضل. ونظراً لأن عملية وضع سياسات السعادة الإنسانية واختبارها ما تزال في مراحلها الأولى، نجد أن الكثير من فصول هذا التقرير تجمع بين مراجعة لاقتراحات السياسات أو التدخلات الحالية، وتوصيات حول الخطوات اللازمة للوصول إلى سياسات يمكن اعتبارها أفضل الممارسات 525.

كيف يغيّر التركيز على السعادة في صنع السياسات؟

كيف يمكن استخدام الأدلة المأخوذة من علوم جودة الحياة لتحسين العلوم وممارسات وضع السياسات؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب فهماً، لمسببات ”و”كيفية”تأثير التركيز على السعادة على تغيير عملية وضع السياسات. وهناك إجابة بسيطة لفهم المسببات. توفر مقاييس جودة الحياة الشخصية، وتقييمات الحياة على وجه الخصوص، مؤشراً عاماً على جودة الحياة. ويسمح هذا المقياس الشامل لجودة الحياة، بتقييم الآثار الاقتصادية والاجتماعية للسياسات ومقارنتها بانتظام.

525- نفس المرجع سبق ذكره ص15

أما الإجابة عن “ كيفية تغيّر ممارسات وضع السياسات عند التركيز على جودة الحياة الشخصية ” فتتضمن ثلاثة محاور رئيسية. أولها يتضمن تغييراً جذرياً في الأساليب المتبعة في مقارنة نتائج السياسات البديلة.

عند عدم اعتبار السعادة أحد أهداف السياسة، ويقارن تحليل التكاليف والفوائد بين الفوائد الاقتصادية

وتكاليف السياسات الموصى بها، من حيث تقديمها لأعلى العائدات الاقتصادية بالنسبة للتكاليف. وتكمن

المشكلة الرئيسية في هذا الإجراء في صعوبة تقدير النتائج الاجتماعية والاقتصادية على نحو مماثل، في ظل تهميش العواقب الاجتماعية على وجه الخصوص، واعتبارها تعقيدات جانبية. إلا أن ذلك يتغير عندما تصل عملية قياس السعادة وتحليلها إلى مرحلة تسمح باعتبار الصحة والدخل والثقة الاجتماعية، وغيرها من الميزات، مصادر لجودة الحياة. عندئذ يمكن إجراء تحليل التكلفة والفائدة مع اعتبار جودة الحياة أحد الأهداف، وتفضيل السياسات التي تعدّ بتوفير أكبر الزيادات من حيث نوعية الحياة. كما يسمح توافر الأبحاث التي توضح كيفية ترابط مختلف جوانب الحياة بالسعادة الإجمالي بإجراء تحول جوهري في طريقة تحليل السياسات. وكما نلاحظ من جوهر عملية وضع السياسات، فإن هذا التغيير يوفر أسلوباً للتحليل يمكن تطبيقه ضمن مجموعة واسعة من الهيئات والإدارات الحكومية.

أما المحور الثاني، وربما الأهم، فهو أن استخدام السعادة كهدف شامل للسياسة العامة قد يؤدي إلى تعزيز التعاون بين مختلف قطاعات الحكومة. وقد تتضاءل أهمية الأهداف ضيقة الأفق للإدارات الحكومية عندما تكون السعادة الشاملة هي الهدف الأسمى، ويساعد ذلك بدوره على تحقيق معنى أوسع للهدف المشترك.

بدوره يشير المحور الثالث إلى إمكانية تحسين عملية وضع السياسات بسبل عدة، بمجرد اعتبار السعادة هدفاً رئيسياً لها. وأصبح أخذ سعادة متلقي الخدمات الحكومية، وتأثير هذه الخدمات على مصمميها ومقدميها بعين الاعتبار، ومن يعيشون في المجتمعات المحيطة أمراً بالغ الأهمية. وتوفر الفصول المختلفة الواردة في هذا التقرير العديد من الأمثلة التي توضح أن السياق الاجتماعي، أي نظرة الأفراد لبعضهم وكيفية التعاون فيما بينهم، هو أمر بالغ الأهمية فيما يتعلق بتقييمهم لحياتهم. ويصح ذلك في مجالات العمل، والحياة العامة، والعائلة، والمدارس، والمؤسسات الحكومية والسياسية. وسيعاد النظر في هذه المسألة في نهاية هذا الفصل، بعد استعراض الأدلة وتجميعها.

والغرض من هذا الفصل هو تجميع فصول الموضوعات الرئيسية الستة الواردة في التقرير، والتي تم استعراضها من منظور عملية وضع السياسات المركزية. أي كيفية توافق هذه الأجزاء معاً، وأفضل الممارسات التي تظهر بشكل متكرر في مختلف الموضوعات، وكيفية ارتباط الموضوعات ببعضها، والطريقة المثلى لجمعها بما يساهم في تحقيق الأهداف الرئيسية للسياسة.

المساهمات الرئيسية لكل من فصول الموضوعات

الصحة

يعرض الفصل الخاص بالصحة لهذا العام، بعنوان " الأمراض النفسية تدمر السعادة وعلاجها مجاني"، أولاً آثار الأمراض النفسية على السعادة في جميع أنحاء العالم، ثم يوضح كيفية مساهمة مجموعة من التدخلات، وخاصة العلاج السلوكي المعرفي، بالحد من الأمراض النفسية، ما يؤدي بدوره إلى زيادة السعادة. ولا تزيد التكلفة الإجمالية للتوسّع المقترح عن 0.1 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي، وهي نسبة صغيرة مقارنة بالنتائج الناجمة في

السعادة. ويُشدد الفصل على أن أغلب العناصر النفسية للتدخلات السلوكية المعرفية لا تركز على التخلص من الأفكار السلبية فحسب، بل غرس السلوكيات والأنشطة الإيجابية كذلك⁵²⁶.

الجدير بالذكر أن توفير التدخلات القياسية للصحة النفسية لنسبة موسّعة من السكان الراشدين، ترافقت مع تراجع في تكاليف الرعاية الصحية الأخرى؛ تعادل تكلفة التوسع في علاج الصحة النفسية. وفي الوقت ذاته، ينتج عن كل دولار أمريكي يُنفق على الصحة النفسية إضافة 2.5 دولار أمريكي إلى الناتج المحلي الإجمالي؛ بفضل زيادة توظيف أفراد يتمتعون بصحة نفسية جيدة. وتشير الأبحاث الجارية إلى أن العلاجات النفسية المدعومة تكنولوجياً قد تكون فعالة بالقدر ذاته على الأقل، ويمكن للتوسع السريع في تطبيقها (بأنماط ملانمة لكثير من المواطنين) أن يُحسّن فعاليتها من حيث التكلفة بمقدار ضعفين إلى خمسة أضعاف. كما يُصنّف تحليل التكاليف والمنافع القائم على السعادة تدخلات السياسة حسب السعادة الإضافية المكتسبة مقابل كمّ محددٍ من الموارد المطلوبة. غير أن المقترحات الواردة في هذا الفصل حول تحسين علاج الصحة النفسية احتسبت لينتج عنها صافي تكلفة موارد سالبة. وفي هذه الحالة، لا يُستخدم تحليل التكاليف والمنافع القائم على السعادة وذلك نظرًا لجدوى هذه السياسات حتى باستخدام التحليل التقليدي للتكاليف والمنافع دون الأخذ بالاعتبار لكمية السعادة الناتجة ومقدار عدم السعادة الذي تم الحد منه نتيجة استخدام العلاج المناسب⁵²⁷.

وثم يتطرق الفصل إلى الصحة النفسية للأطفال، ويخلص إلى أن الفوائد الناتجة عن التدخلات بالنسبة للأطفال والشباب، قد تكون أكبر منها بالنسبة للراشدين، على الرغم من تقييمها بشكل أقل تفصيلاً.

⁵²⁶- مرجع سبق ذكره ص 17

⁵²⁷- مرجع سبق ذكره ص 18

ونظرًا لأن نصف المشاكل النفسية للأطفال تكون مرتبطة بالسلوك، تُوفّر العديد من التدخلات الشائعة **Incredible Years** التدريب للأبوين. وأظهر برنامج لتدريب الأهل المُستخدَم على نطاق واسع، **Program** (انخفاضاً بنسبة 80 في المائة في المشاكل المرتبطة بالسلوك على مدى متابعة استمرت عدة أعوام. كما طُرحت تطورات واعدة أخرى من ضمنها، تضمين الدعم المرتبط بالديون المالية في علاجات الصحة النفسية؛ ما يتيح المزيد من التصنيف والإحالات الموجهة ذاتياً، وزيادة التركيز على الجودة الشخصية، وكذلك المعاملة الكريمة في نظام الرعاية الصحية بشكل عام 528).

ويتناول القسم الأخير من الفصل خطوات يمكن اتخاذها للحد من الإصابة بأمراض نفسية؛ عبر الارتقاء بمستوى سعادة ومرونة المواطنين، ويتضمن أمثلة من المدارس وأماكن العمل. ويؤكد الفصل أن السلامة النفسية للأطفال يجب أن تكون هدفاً واضحاً في كل مدرسة. وتوجد أمثلة عدة عن تدخلات إيجابية مُصممة لزيادة المرونة الشخصية لدى الطلاب، من ضمنها برامج التعليم الإيجابي المذكورة في فصل التعليم. كما أن أماكن العمل الأكثر سعادةً هي الوسيلة الأفضل للوقاية من التوتر النفسي في أماكن العمل، وتحديد المشاكل المستقبلية قبل وقوعها. وسنتحدث عن هذه القضايا بشكل أكثر تفصيلاً في الفصل الخاص بأماكن العمل.

ولا حاجة للاختيار بين علاج الأمراض النفسية الحالية وتطبيق تدابير إيجابية للحد من وقوعها؛ نظرًا لأن استخدام التدخلات جيدة التصميم لكلا الأمرين تساهم في توفير الأموال.

التعليم

يستعرض قسم التعليم في تقرير هذا العام، بعنوان "التعليم الإيجابي" 2018 ،
مراجعة لبرامج التعليم الإيجابي في 11 دولة. ويقتصر نطاق الفصل على البرامج في المدارس
الابتدائية والثانوية، يجري فيها تعليم الأطفال تدخلات معتمدة للتعليم الإيجابي، والتي تستخدم
مؤشرات معتمدة لقياس السعادة وصنع القرارات وحل المشاكل، والتفكير النقدي 529.

وتكشف مراجعة التدخلات الإيجابية في مختلف أنحاء العالم أنها تساهم في تحسين
درجات الاختبارات القياسية، والدرجات الخاصة بمجموعة متنوعة من مقاييس جودة الحياة
العاطفية. وأما النقطة الأهم من منظور سياسات السعادة، فتتمثل في النتائج المستخلصة من
المكسيك وبوتان وبيرو؛ إذ أن أفضل التقديرات الخاصة بأعلى درجات الاختبارات القياسية
كانت أكثر ترابطاً وثباتاً ومشاركة. وتبين هذه النتائج عدم ضرورة التنازل عن الإعداد
الأكاديمي مقابل اكتساب المهارات التي تساهم في التمتع بحياة سعيدة؛ لأن الزيادة في
مستويات الترابط والثبات والمشاركة الناتجة عن تدخلات التعليم الإيجابي تؤدي إلى النجاح
الأكاديمي وتحقيق السعادة في الوقت ذاته 530.

وتتسم حركة التعليم الإيجابي بدرجة عالية من المشاركة الدولية والدعم المتبادل .
ويُقدم الفصل مجموعة من خطط ومؤتمرات التدريب، التي أثبتت فعاليتها في خلق الرِّخْم،
ومشاركة أفضل الممارسات بين المدارس والدول، إضافة إلى تحقيق المعايير المشتركة في
التقييم. كذلك يُوضح الفصل الجهود الحالية لتسريع وتيرة إعداد خطط التعليم الإيجابي في أكثر
من 20 دولة، ويختتم بتقديم عدد من النصائح الهامة المتعلقة بالسياسات، أهمها مواصلة
التركيز على التقييم الصارم؛ والذي يُعد أمراً ضرورياً للوقوف على حجم تأثيرات برامج التعليم

529- مرجع سبق ذكره ص 18

530- مرجع سبق ذكره ص 18

الإيجابي ومدتها. وستكون هذه المعلومات، وخاصةً عند توفرها بشكل يسمح بالمقارنة بين جميع التدخلات، بالغة الأهمية لتوضيح فعالية الجوانب المختلفة للتعليم الإيجابي من حيث التكلفة. وستحدد هذه التقديرات مدى وسرعة تحوّل الأبحاث التجريبية في التعليم الإيجابي إلى تغييرات تطبّق في السياسات التعليمية على مستوى العالم⁵³¹.

العمل

يُسلّط الفصل الخاص بالعمل في تقرير هذا العام، بعنوان “العمل وجودة الحياة: منظور عالمي”، الضوء أولاً على أهمية العمل؛ بالنسبة لعدد من جوانب جودة الحياة الشخصية، بما في ذلك تقييمات الحياة والمشاعر الإيجابية والسلبية. وتكون تقييمات الحياة، في جميع أنحاء العالم، أعلى لدى الموظفين مقارنةً بالعاطلين عن العمل. وعلى الرغم من الفارق الشاسع بين جميع المناطق، إلا أنه يصل إلى أعلى مستوياته في الدول الصناعية، ويمثل أكثر من نقطة كاملة على (0) المُستخدَم في تقييمات الحياة. كما عبّر - مقياس 10 الموظفين عن إحساسهم بمشاعر إيجابية أكثر، ومشاعر سلبية أقل، مقارنةً بالعاطلين عن العمل. وكان الفارق في معدل التكرار ضِعف حجم المشاعر السلبية مقارنةً بالمشاعر الإيجابية، مدفوعاً بالرابط الوثيق بين البطالة والأثر السلبي. ونذكر بأن التفاوت كان أكثر حدة في الدول الصناعية، مقارنةً بدول أخرى⁵³².

ثم يشير الفصل إلى أبحاث سابقة تكشف عن الارتباط الوثيق بين الرضا الوظيفي والرضا عن الحياة؛ تمهيداً لاستخدام أدلة عالمية لإظهار السمات المرتبطة بزيادة الرضا الوظيفي. ومن ضمن السمات الوظيفية الـ 12 التي شملتها الدراسة، برزت سمتان هما:

⁵³¹- مرجع سبق ذكره ص 18

⁵³²- مرجع سبق ذكره ص 19

العلاقات الشخصية في بيئة العمل، ومستوى الاستمتاع بالوظيفة. تُفسّر هاتين السمتين الرضا الوظيفي أكثر بمرتين من الفوارق في الرواتب، وبأربع مرات من السمات الوظيفية الأخرى المشمولة في الدراسة. وكان لسمتين من السمات الوظيفية المتبقية، تأثير سلبي؛ هما عدم التوازن بين العمل والحياة، ومزيج من الصعوبة والإجهاد والشعور بالخطر؛ الأهمية القصوى، إلا أن ذلك لا يزال أقل من نصف أهمية السمتين الرئيسيتين الإيجابيتين. وبالنسبة لجميع الموظفين من جميع المستويات التعليمية، من الإناث أو الذكور، أكدت الأدلة أن العلاقات الشخصية في بيئة العمل، ومستوى الاستمتاع بالوظيفة هما أهم العناصر في تحديد مستوى الرضا الوظيفي.

وللحد من انعدام التوازن بين العمل والحياة، يُوصي الفصل باتخاذ إجراءات أكثر مرونة من حيث ساعات العمل، استناداً إلى دراسة حالة صينية أظهرت زيادة كبيرة في الأداء والرضا الوظيفي، ومعدل استقالات أقل بين الأفراد الذين حصلوا على فرصة العمل من المنزل. ويُقدم الفصل أدلة هامة في تحقيق الرضا الوظيفي على مستوى الشركات لكل من السمات الوظيفية الأخرى. وتُظهر هذه الأدلة أن الشركات التي تتخذ خطوات لتحسين ظروف العمل وفقاً لهذه السمات الوظيفية كما تُبيّن ممارسات العمل المرنة في الجدول رقم 1 حقق مستوى أعلى من الإنتاجية والربحية. ويبدو أن أماكن العمل يمكنها تحقيق نتائج بالغة الأهمية بمنتهى السهولة، عبر مجموعة متنوعة من الإجراءات التي ترفع مستوى السعادة لدى الموظفين، وتعزز العائدات المالية المعتادة⁵³³.

السعادة الشخصية

⁵³³- مرجع سبق ذكره ص 18

يرتبط مفهوم السعادة بطبيعته بالسعادة الشخصية. ومن هنا، يُقدم محتوى هذا الفصل الأساس المطلوب لفهم الآليات المطروحة في الفصول الأخرى. وبوجه عام، فإن موضوع هذا الفصل يتعلق بالأفراد والأسر؛ لأنهم يتأثرون بسياسات السعادة، ويعتبرون جهات فاعلة في خلق السعادة في مجتمعاتهم. كما يُركز الفصل الوارد في تقرير هذا العام، بعنوان "جودة الحياة الاجتماعية"، بشكل خاص على الروابط الاجتماعية، لا سيما في إطار الأسرة والمجتمع. حيث تبين أن جودة الروابط الاجتماعية الوثيقة تحسن مستوى السعادة لدى المشاركين فيها، وتؤدي إلى نشوء حلقات من ردود الأفعال الإيجابية على الصحة البدنية⁵³⁴.

يبدأ الفصل باستعراض الأدلة التي تُشدد على أهمية العلاقات الاجتماعية الجيدة كعوامل مُساعدة لتحقيق السعادة، ثم يشرع في مناقشة الأدلة والسياسات في ثلاثة مجالات مختلفة (1: اتخاذ خطوات لزيادة الروابط الاجتماعية الإيجابية داخل الأحياء والمدن، (2 سبل بناء الثقة الشخصية المُبررة في الآخرين وفي المؤسسات العامة، (3 استراتيجيات لتحسين نوعية العلاقات الأسرية. ويؤكد المؤلفون، في كل من هذه الحالات، على أهمية استخدام إطار إيجابي يُركز على خلق السعادة، وفي الوقت نفسه مراعاة السياسات المصممة لإزالة الحواجز التي تعيق تحقيق السعادة، وتقليل مستوى عدم السعادة لدى الأفراد الذين يعيشون في أسوأ الظروف⁵³⁵.

ويتناول هذا الفصل سبل إنشاء علاقات اجتماعية إيجابية داخل الأحياء والمدن؛ مع تسليط الضوء على مبادرات تبدأ من أعلى المستويات (مثل لوائح تقسيم المناطق) والمبادرات التي تنطلق من القواعد الشعبية بواسطة المجموعات المجتمعية. ويُركز هذا الفصل على ثلاثة

⁵³⁴- مرجع سبق ذكره ص 19

⁵³⁵- مرجع سبق ذكره ص 19

موضوعات، هي: التصميم الحضري، والمساحات الخضراء، والإسكان. ويستعرض الفصل، في كل منها، مجموعة متنوعة من نتائج الأبحاث، مع استخدام دراسة حالة لتوضيح أفضل الممارسات الممكنة.

ويبدأ القسم الخاص بالثقة (والفساد) في الفصل باستعراض الأدلة على أهمية الثقة كمصدر مباشر للسعادة، وداعماً أساسياً للتعاون الناجح في جميع جوانب الحياة. كما يُقدم أدلة تشير إلى أن الأفراد قد يكونون متشائمين جداً فيما يتعلق بجدارة الآخرين بالثقة، وبالتالي أقل استعداداً للتواصل معهم. كما يستعرض الفصل ويوصي بمجموعة من الأنشطة المحلية في المجتمعات والمدارس (تماثل بعض تدخلات التعليم الإيجابي)، التي تثبت قوة وقيمة المعايير المؤيدة للأعراف المجتمعية، وأساليب تعزيزها⁵³⁶.

كما تبين اختلاف "الفساد الظاهر"، وهو أحد المؤشرات السلبية للثقة، على نحو كبير بين مناطق مختلفة من العالم، إلا أنه أظهر تأثيره السلبي على جودة الحياة في كل مكان. ولمعالجة الفساد، يستعرض الفصل مجموعة من الاستراتيجيات، بما في ذلك قوانين مكافحة الفساد، وتمتع سلطات التحقيق بنفوذ أقوى، ومستويات أعلى من الشفافية، والتدريب الذي يعزز السلوك الأخلاقي ويزيد مساهمات المواطنين.

ويُركز الجزء الأخير من الفصل على العلاقات الأسرية، حيث تتأثر السعادة على نحو كبير بحالات الزواج السعيدة والتربية الإيجابية. كما يدعو الفصل إلى زيادة مرونة ساعات العمل والإجازات الأسرية، كأحد الأساليب الداعمة لسعادة الأسرة ضمن السياسة العامة وأماكن العمل، (تؤكد على ما ورد في الفصل الخاص بالعمل)، ومجموعة من أساليب التربية الأسرية

⁵³⁶- مرجع سبق ذكره ص 19

(تؤكد على ما ورد في فصلي الصحة والتعليم)، ومجموعة من التدابير الرامية إلى الحد من العنف الأسري 537.

المدن

يهدف الفصل الخاص بالمدن لهذا العام، بعنوان “المدن السعيدة في عالم ذكي”، إلى توصية الحكومات المحلية بالعمل على زيادة معدلات السعادة ورفع مستوى جودة الحياة في المدن التي تديرها. ويظهر جانب “العالم الذكي” في هذا الفصل من خلال تقديم دراسة حالة للتقنيات التي تساهم في جعل المدن أكثر كفاءةً، وتحسن مستوى جودة الحياة الشخصية لمواطنيها 538.

يعتمد أساس هذا الفصل على 14 دراسة حالة من جميع أنحاء العالم، تعكس كل منها جانباً أو عدة جوانب من أفضل الممارسات، وتتعلق أولى دراستي حالة بتشكيل حلقات من ردود حول السياسات. أولها هي وتحدد (SHAPE) أداة مشروع التقييم الذكي للسعادة الأهمية بناءً على السعادة للجمع بين بيانات من الجوانب الستة لاستراتيجية دبي الذكية، لتقدم لكل مقترح نسبةً لفعاليتها من حيث التكلفة، وقدر السعادة الذي يتحقق لكل وحدة نقدية من التكلفة. أما دراسة الحالة الثانية، التي ترصد النتائج؛ (CityScore Boston) فهي مبادرة الأساسية للتأكد من أن هذه النتائج ضمن النطاقات المستهدفة 539.

مقاييس السعادة

537- مرجع سبق ذكره ص 19

538- مرجع سبق ذكره ص 20

539- مرجع سبق ذكره ص 20

يبدأ فصل المعايير الرئيسية لهذا العام والذي يحمل عنوان "تجارب الدول فيما يتعلق بالمعايير الرئيسية لجودة الحياة والسعادة"، بمراجعة للتقدم الذي أحرزته دولٌ عدّة في التحوّل إلى اعتماد مقاييس جودة الحياة للدول التي تعتبر أشمل من مقاييس الناتج المحلي الإجمالي. ويسلط الفصل الضوء على أوجه التشابه والاختلاف بين مختلف المنهجيات الوطنية، مع التركيز بشكل خاص على التطورات الأخيرة في مجال جودة الحياة الشخصية في الإحصاءات الوطنية. وكما هو موضح في الملحق (أ)، يقدم هذا الفصل ملخصاً مفيداً لعدد من المبادئ القائمة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، المتعلقة بقياس جودة الحياة الشخصية.

ويضم هذا الملخص معلومات تمّ جمعها على نطاق واسع حول خمسة متغيرات أساسية، بما في ذلك الرضا عن الحياة، وثلاثة متغيرات مؤثرة (سعيد، قلق، مكتئب)، وقياس الغرض من الحياة. وتتشارك التجارب الوطنية في مجال تطوير مقاييس جودة الحياة في عدة خصائص مشتركة، منها الاستشارات العامة واسعة النطاق، وجمع المؤشرات الرئيسية المتعلقة بجودة الحياة للأفراد، وجمع البيانات المتعلقة بجودة الحياة الشخصية على نطاق واسع⁵⁴⁰.

وخصّص الجزء الأكبر من الفصل لدراسة بعض التجارب الوطنية المتعلقة بدمج أطر جودة الحياة في السياسات. ويضم هذا الجزء وصفاً لسبع دراسات حالة في الإكوادور وفرنسا وإيطاليا ونيوزيلندا وإسكتلندا والسويد والمملكة المتحدة.

وبالنظر إلى قائمة برامج سياسات جودة الحياة الوطنية ودراسات الحالة السبع التي تُشكل المحور الرئيسي لفصل عام 2018، يمكن استخلاص استنتاجين عامين.

⁵⁴⁰- مرجع سبق ذكره ص 20

فمن ناحية، تمّ إحراز تقدّم كبير في جدول أعمال قياس جودة الحياة، وتتخذ العديد من الحكومات خطوات حثيثة لإدخال هذه المقاييس، بشكلٍ منتظم، في عملية صناعة القرارات المتعلقة بالسياسات. وهذا يدل على زخم جدول أعمال مبادرة ما وراء الناتج المحلي الاجمالي والرغبة في التركيز بشكل أكبر على (Beyond GDP) العوامل الاجتماعية وغيرها من العوامل التي ثبت دورها في تعزيز السعادة. وتتراوح الأمثلة على ذلك بين سنّ القوانين المتعلقة باستخدام مؤشرات بديلة في عمليات وضع الموازنة، وبين إنشاء وزارة حكومية تركز على جودة الحياة؛ توفر مجموعة متنوعة من الأفكار حول التحديات والفرص المتاحة. وتوفّر هذه الأمثلة مجموعةً متنوعة من التبصّرات المعمّقة التي تركز على أهمية منح دورٍ مركزي لقياسات جودة الحياة في السياسات. ومع ذلك، فإن الغالبية العظمى من هذه المبادرات قد ظهرت في الأعوام القليلة الماضية، ما يعني أن معظمها لم يُعتمد بعدُ كأسوبٍ مُجربٍ ومُختبرٍ؛ ويصعب هذا الأمر، في هذه المرحلة، تحديد، "أفضل الممارسات"، ومن غير الواضح ما إذا كان نموذج واحد فقط سيناسب جميع الحكومات والسياقات⁵⁴¹.

ومن ناحية أخرى، تتفاوت درجة التركيز على جودة الحياة الشخصية من مثال لآخر. وعلى الرغم من أن معظم أطر العمل تتضمن مقاييس لجودة الحياة الشخصية، إلّا أنه نادراً ما تضع البرامج الوطنية أو دراسات الحالة الخاضعة للمراجعة جودة الحياة الشخصية في مقدمة عمليات جمع البيانات وتحليل السياسات. وبناءً على ذلك، فلن يكون بمقدور الجهات الرائدة في اعتماد هذه السياسات حتى الآن تقديم البيانات والتحليلات اللازمة لدعم اختيار السياسات وفقاً لقدرتها المحتملة على تعزيز سعادة الرفاه (What Works) البشر، وبالرغم ذلك، يسعى مركز في المملكة المتحدة إلى تحقيق هذا الهدف. وفي بعض الحالات، مثل حالة ألمانيا،

⁵⁴¹- مرجع سبق ذكره ص 21

لا يتضمن إطار العمل بيانات شخصية في نطاق المتغيرات التي سيتم رصدها بشكل روتيني على الرغم من أن الدافع لتطوير إطار العمل في وبناءً على (gut leben) ، ألمانيا هو تحقيق حياة أفضل ذلك، وعلى الرغم من أن جودة الحياة تضطلع بدور فعال (Beyond) غالباً في حركة ما وراء الناتج المحلي الاجمالي فإن الوضع ليس كذلك على الدوام⁵⁴²، GDP

وتسلط دراسات الحالة أيضاً الضوء على قيمة قياسات جودة الحياة في جميع مراحل دورة حياة السياسة، بدءاً من المراحل الأولية المتعلقة بتحديد المشكلات ووضع الأولويات الاستراتيجية، ومروراً بتصميم السياسات وتنفيذها ورصدها، وانتهاءً بتقييم نتائج السياسات من منظور جودة الحياة والسعادة. ويساعد هذا التركيز على عملية وضع السياسات في رفد الفصول الأخرى، التي غالباً ما تركز على تدخّلات محددة في السياسات وبرامج لرفع مستويات السعادة⁵⁴³.

صياغة السياسات
العناصر المشتركة

سلطت معظم الفصول الضوء على أهمية قياس جودة الحياة الشخصية، والمتغيرات الداعمة الرئيسية، مع التركيز بقدرٍ كافٍ على التقسيمات الجغرافية لتوفير بيانات حول جودة الحياة الشخصية على مستوى المدن والأحياء. ومع ذلك، ليس هناك سوى عدد قليل من الوكالات الإحصائية الوطنية التي تمتلك مجموعة بيانات كافية لدعم إجراء تحليلات من هذه الدرجة. ولذلك، فمن الشائع أن نرى فجوة بين البيانات التي يتم جمعها وما هو مطلوب لتصميم واختيار السياسات اللازمة لتعزيز السعادة، وخاصةً على المستويات المحلية⁵⁴⁴.

⁵⁴²- مرجع سبق ذكره ص 20

⁵⁴³- مرجع سبق ذكره ص 20

⁵⁴⁴ مرجع سبق ذكره ص 21

وأكدت عدة فصول على أهمية اتباع نهجٍ تجريبي لتطوير جدول أعمال سياسات السعادة، ويُعدّ هذا الأمر نتيجةً لسببين مترابطين. فمن ناحية إن الدراسة المنتظمة لآثار جودة الحياة عند اتباع سبل بديلة للقيام بالأشياء (وفقاً لما تمّ التأكيد عليه في فصل العمل) يوسّع قاعدة المعارف التي تدعم علم جودة الحياة. ومن ناحية أخرى، دعت عدة فصول (التعليم، السعادة الشخصية، المدن) إلى إجراء التجارب كأحد أفضل الممارسات لتقييم وتصنيف تدخلاتٍ محددة في السياسات 545.

كما ذكرت عدة فصول أنه على الرغم من أنها تتجاوز أحياناً الرسالة الرئيسية، فمن المرجح أن تكون آثار السعادة وفعالية السياسات أكبر عندما تكون هناك مشاركة أكبر من قبل جميع الجهات الفاعلة، على النقيض من الحالات التي تم فيها تصميم التدخلات المتعلقة بالسياسات بمنظور خارجي وتطبيقها بحذافيرها.

وعلى غرار الاستبيان العالمي الأول حول تدخلات السياسة الرامية إلى تحقيق السعادة، تسعى جميع الفصول جاهدةً إلى رصد الظروف الوطنية والمحلية المختلفة التي تؤثر في جدوى تدخلات السياسة وآثارها. فما يمكن تطبيقه هنا بنجاح، قد ينجح أو يفشل في أماكن أخرى. ويترتب على حالة عدم اليقين، وجوب اختبار حتى أفضل أفكار السياسات بشكل محليّ للتحقق من إمكانية تطبيقها في إطار الظروف المحلية. ويُسهّل هذا الأمر كذلك بناء مجموعة من الجهات القائمة على التجارب محلياً، ما يسهم في زيادة آثار السعادة الناتجة عن خيارات السياسات 546.

545- مرجع سبق ذكره ص21

546- مرجع سبق ذكره ص21

وتتشدّد عدة فصول على قيمة البرامج والسياسات المتعلّقة بالأطفال التي تهدف إلى

زيادة فرصهم في

حياة أكثر سعادةً وأكثر مغزى، الآن وفي المستقبل. ويصف فصل الصحة النفسية

الخدمات الموجهة مباشرةً إلى الأطفال والوالدين. أما في فصل السعادة الشخصية، فكان التركيز الأساسي على الوالدين،

بينما في فصل التعليم ترتبط الأمثلة بشكلٍ رئيسي ببناء سلوكياتٍ إيجابية ومرنة بين

الطلاب ومعلميهم، بالإضافة إلى بعض التدخلات التي تشمل الوالدين أيضاً⁵⁴⁷.

العناصر المحتملة المفقودة

كما ورد أعلاه، لا يزال هناك عدد قليل نسبياً من الدول التي تجمع ما يكفي من بيانات

جودة الحياة الشخصية لدعم تطوير السياسات المصممة لتعزيز السعادة والتحقق منها. وربما

كان من الممكن الاعتماد على القبول العام للحاجة إلى تجاوز الناتج المحلي الإجمالي، والتحوّل

التدرجي لمؤشرات جودة الحياة الشخصية من أدوارها الثانوية إلى أدوار طبيعية أكثر

باعتبارها مؤشرات

موجزة وعامة لجودة الحياة. وستُهيئ تلك الأدوار وضعا أفضل للمساعدة في تحديد

الأهمية النسبية لمجموعة متنوعة من المؤشرات الاجتماعية الأخرى، التي تُمنح أدواراً

رئيسية في البرامج الوطنية الهادفة إلى تعزيز الرفاه وتحليلها. كما تعطي بعض دراسات الحالة

الوطنية الواردة في فصل المعايير الرئيسية أهمية كبرى لجودة الحياة الشخصية، وذلك لتوفير

نقطة انطلاق قوية للانتقال إلى مركز الصدارة في نهاية المطاف. وعلى سبيل المثال، ضمت

⁵⁴⁷- مرجع سبق ذكره ص22

مقاييس جودة الحياة الـ15 الجديدة المتبعة في السويد، والتي أدخلت كجزء من مشروع قانون الميزانية لعام 2017 وكانت الحكومة السويدية تقصد من ورائها توجيه رسالة قوية، ثلاثة مؤشرات شخصية رئيسية ضمن بنودها الرئيسية: الرضا عن الحياة، والحالة الصحية من منظور شخصي، والثقة الاجتماعية⁵⁴⁸.

إن هناك اهتمام ضئيل حتى الآن بالآثار الناتجة عن السعادة فيما يتعلّق بمختلف الطرق المتنوعة لوضع وتطبيق السياسات. ما الذي قد يعنيه إيلاء المزيد من الاهتمام لطريقة تنفيذ السياسات الحكومية؟ في عام 2004، طرحت حكومة سنغافورة سياسة No Wrong (Door) التي تهدف إلى ضمان أن كل اختصاراً (NWD) من يطلب الحصول على معلومات أو خدمات من موظف حكومي، لا بد أن يبذل الموظف كل ما في وسعه إما لتلبية حاجته مباشرة، أو العثور على شخص قد يساعده. وتهدف هذه السياسة المُطبَّقة في جميع قطاعات الحكومة إلى إعادة تصميم العلاقة الاجتماعية بين المواطنين وحكومتهم، وذلك بالاهتمام بـ “كيفية” تقديم الخدمات العامة بدلاً من “ماهية” الخدمات التي تُقدّم. ولا شك أن الغرض من هذه المبادرة هو رفع نوعية حياة المواطنين. وبالنظر إلى حجم التفاعل بين الأفراد وحكوماتهم، فإن إيلاء اهتمام أكبر لجانب “الكيفية” من جوانب الحوكمة يستحق مزيداً من الاهتمام، وتقييماً مناسباً لآثاره على سعادة المواطنين والموظفين الحكوميين على حدٍ سواء. وقت لاحق في العديد (NWD) وتم اعتماد سياسة من الأماكن، وتضمّن ذلك تقديم خدمات للأطفال والشباب في دورهم بمقاطعة أونتاريو، وخدمات الصحة النفسية في سيدني بأستراليا، وخدمات المسنين في الولايات المتحدة بولاية فيرجينيا الأمريكية، وعلى نطاق أوسع لتسهيل الوصول إلى خيارات الخدمة طويلة الأمد في الولايات المتحدة، وإلى الشباب

⁵⁴⁸- مرجع سبق ذكره ص22

الذين يخدمهم مجلس مقاطعة شمال يورك شاير. وفي أحد طلبات تقديم خدمات الأطفال والشباب في أونتاريو، (Warm مباشرة بالنهج الإيجابي NWD) اقترنت السياسة مع إشارة هذا الأخير إلى إمكانية بذل جهود إضافية، لضمان ربط المتعاملين بمزود الخدمة الذي يمكنه تقديم ما يريدونه وما يحتاجون إليه⁵⁴⁹.

إن هناك بعض المجالات الرئيسية للسياسة العامة، مثل النظام القضائي (بما في ذلك العمل الشرطي والمحاكم والسجون) وإدارة المؤسسات السياسية التي ليس لديها مجموعات مواضيع خاصة بها، ولكن لم تحصل حتى الآن على اهتمام كبير في الفصول المشتركة. وتناقش بعض القضايا ذات الصلة في قسم الثقة من فصل السعادة الشخصية، وهناك نموذج بديل للعمل الشرطي Prince Albert Hub ويُعتبر محط اهتمام مثال مركز في الفصل المعني بالمدن، ولكن لا يزال يتعين إجراء تحليل أشمل لأفضل ممارسات السياسة⁵⁵⁰.

التطلع إلى المستقبل

لعله من الإنصاف أن نستنتج بأنه لا يزال هناك الكثير مما ينبغي القيام به لوضع مجموعة راسخة من مقترحات السياسة الملائمة للتطبيق على نطاق واسع. وعلى الرغم من أن الأمثلة المقدمة في فصول هذا التقرير غالباً ما تكون ملهمة ومفيدة، إلا أنه نادراً ما يُقال إنها سياسات تمّ تصميمها واختبارها خصيصاً لإطار عمل سياسة السعادة الأوسع نطاقاً. وقد تمّ تصميم العديد من السياسات المقترحة وطرحها لتنفيذ أهداف مختلفة تماماً، وتم دمجها ضمن مراجعات سياسة السعادة؛ لأنها تعمل على تعزيز السعادة. ويعدّ هذه الأمر مفهوماً وواضحاً في هذه المرحلة المبكرة، إلّا أنه يخضع لأربعة

⁵⁴⁹- مرجع سبق ذكره ص22

⁵⁵⁰- مرجع سبق ذكره ص22

قيود رئيسية 551:

أولاً، إن العديد من التقييمات الحالية للاقتراحات التي ناقشها مبنيةً على نتائج تقليدية، دون قياس واضح لآثارها على السعادة. ونتيجة لذلك، من الصعب أن نقرر أيّ الأفكار ينطبق عليها وصف أفضل الممارسات. ويتطلب تغيير ذلك جمع بيانات أكثر انتظاماً وأوسع انتشاراً عن جودة الحياة الشخصية، ومن ثم تحسين الأسس العلمية المعتمدة لتقييم السياسات الرامية إلى تعزيز السعادة.

ثانياً، من المرجح أن تستبعد السياسات التي وُضعت قبل تطبيق إطار عمل سياسة السعادة، ودون الرجوع إلى الأبحاث المتاحة في علم جودة الحياة، السياسات التي قد يكون لها آثار أكبر من خلال إجراء تحسينات في جودة الحياة عوضاً عن إجراء تحسينات على المزيد من القنوات التقليدية.

ثالثاً، لم يُوجَّه الاهتمام إلا مؤخراً إلى آثار السعادة على كيفية تصميم السياسات وتنفيذها؛ أي تحليل جميع العلاقات الإنسانية الهامة بين من ينفذون السياسات وبين من تطبق هذه السياسات عليهم. وتقدم مبادرات أمثلة واضحة، يمكن تطبيقها في (No Wrong Door) مختلف الهيئات والوزارات، عن السياسات المصممة لتغيير كيفية تنفيذ السياسات. وهي تستحق المحاكاة والتقييم ضمن إطار عمل سياسة السعادة.

رابعاً، في غياب التركيز على السعادة عند اختيار السياسات وتقييمها، يُرَجَّح أن تقتصر السياسات المختارة للتجريب والتقييم على تلك المصممة مع مراعاة الأهداف التقليدية للوزارة

551- مرجع سبق ذكره ص 25

المعنية؛ سواء كانت تتعلق بالتنمية الاقتصادية، أو الصحة أو التعليم، أو إدارة القضاء أو العلاقات الخارجية.

وبالنظر إلى المستقبل، فإن هناك فرصة كبيرة لأن تصبح استراتيجيات السياسات التي تحركها السعادة مُنسّقة بصورة أفضل عبر جميع الأنشطة الحكومية، وأن يتم تعزيزها بشكل أفضل بالأدلة التجريبية، وبصورة أوسع وأكثر اتساقاً استناداً إلى علم السعادة الذي لا يزال علماً ناشئاً. ويُرجَّح أن يكون هناك تنسيق وتطبيق واسع النطاق في القطاعات التي تدعمها المبادئ التوجيهية الحكومية واسعة النطاق لتقييم السياسات القائمة على السعادة. وتقدم بوتان ودولة الإمارات العربية المتحدة أمثلة جيدة على هذه المبادئ التوجيهية الحكومية واسعة النطاق.

ما الذي سيتطلبه إجراء تحول نوعي نحو السياسات القائمة على السعادة عبر مجموعة كاملة من الأنشطة الحكومية؟ قد تتمثل إحدى الطرق في أن تقوم الدوائر والخدمات الحكومية بالتركيز أكثر على مدى رضا المتعاملين عن الخدمات الحكومية التي يتلقونها. فعلى سبيل المثال، بالاستناد إلى نتائج "مؤشر التوصية" في القطاع التجاري، يسئل (net recommender) المرضى وأقاربهم حالياً وبانتظام في مستشفيات المملكة المتحدة عما إذا كانوا سيُوصون بخدمة معينة لأصدقائهم أو أقاربهم. وكما أظهرت نتائج البرنامج الأول للمواطن الكندي قبل عقد من الزمن، فإن نتائج "مؤشر التوصية" يحركها إلى حد كبير عوامل "إنسانية" وعوامل متعلقة بجودة الحياة، مثل التعامل باحترام والكرامة) وليس فقط النتائج السريرية). ومن شأن تبني مثل هذه التدابير على نطاق أوسع في خدمات القطاعين العام

والخاص، وخاصةً عندما يقترن ذلك بالشفافية وبعض عوامل حرية الاختيار، أن يخلق في الواقع دافعاً جديداً لتوفير خدمات تركز على العوامل التي تؤثر في جودة الحياة الشخصية⁵⁵². وبصفة عامة، من الصعب للغاية أن يؤثر هذا النوع من التدخلات القائمة على الأدلة، والتي تم استعراضها في هذه الفصول، تأثيراً جوهرياً في وضع السياسات في مختلف القطاعات الحكومية على نطاق واسع. ويتطلب الحضور الفعال المشترك لمختلف القطاعات الحكومية مشاركةً في جميع مراحل دورة حياة السياسات، بدءاً من أعلى المستويات السياسية ومروراً بتنفيذ السياسات وصولاً إلى الهيئات الخاضعة للمساءلة. وقد يتطلب ذلك أيضاً فرصاً سياسية محددة وبرؤية بديلة مُقنعة.

وقد توفر السعادة فرصة محددة ورؤية مُقنعة، ولكن ما هو المطلوب لإحداث مثل هذا التحول؟ تعتبر مشاركة الهيئات المركزية الأكثر نفوذاً أمراً بالغ الأهمية، بما في ذلك أعلى مستويات المشاركة في المجالات السياسية والإدارية، وجمع البيانات وتطوير السياسات. ويُرجَّح أن تكون أهم الابتكارات مدعومةً ومُستوحاة من هذا الدعم رفيع المستوى، الذي يأتي مباشرة من الجهات التي تضطلع بشكل مباشر وفوري بتقديم الخدمات. وسيتطلب هذا الأمر تحولاً كبيراً في تفكير القطاع العام، مقترناً بإرادة سياسية رفيعة المستوى؛ لدعم الانتشار الواسع لثقافة الابتكار المحلي وتفعيلها من خلال تبادل

المعلومات والثقة والتعاون والرؤى المشتركة. ولا بد من الاعتزاز بالابتكارات المحلية؛ لأنها تتطلب تنسيقاً أقل مركزيةً، وتُطلق العنان للجهات التي تعتبر في طبيعة وضع السياسات وتنفيذها، وتقوم بإشراكهم، إضافةً إلى بذلها للكثير من الجهود لضمان أن تكون

⁵⁵²- مرجع سبق ذكره ص25

السياسات ملائمة للظروف المحلية. كما أنها توفر قاعدة أدلة أكبر وأقوى للإصلاحات
السياسات العميقة التي تُمهّد الطريق لحياة أفضل 553.

المرض النفسي يدمر السعادة وعلاجه غير مكلف

تعتبر الاضطرابات النفسية أحد أهم أسباب عدم السعادة حول العالم، كما أنّ الحد من
الاضطرابات النفسية هو أحد المفاتيح الرئيسية لزيادة نسبة السعادة في العالم. ويتطلب هذا
أولويتين جديدتين للحكومات، أولها هو التأكد من حصول جميع الذين يعانون من الاضطرابات
النفسية على العلاج (باستخدام عدة طرق متاحة للعلاج القائم على الأدلة). وثانيها، استخدام كل
السبل الممكنة

(وخاصةً المدارس) لمساعدة الأشخاص في تطوير مهارات تحول دون الإصابة
بالاضطرابات النفسية. وسنقوم في هذا البحث بمناقشة هذين التحديين، وسنبداً بتحديد معالم
المشكلة قبل أن نقدم مقترحات محددة حول كيفية التطرق إليها 554.

الاضطرابات النفسية أحد الأسباب الرئيسية للبؤس

إنّ أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً هي الاكتئاب والقلق، بحيث تؤثر على نحو 7 في
المائة و 4 في المائة من سكان العالم على الترتيب - 11 في المائة إجمالاً. سيعاني ربع سكان
العالم على الأقل في حياتهم من هذه الظروف. يُعرف عن القلق والاكتئاب بأنّها اضطرابات
نفسية شائعة وهما موضوع هذا الفصل. وعلاوةً على ذلك، يعاني 2 في المائة على الأقل من
أمراض نفسية شديدة (الفصام أو الاضطراب ثنائي القطب)، أو إدمان شديد على المخدرات أو

553- مرجع سبق ذكره ص 25

554- نفس المرجع سبق ذكره ص 32

الكحول. تتشابه معدلات الأمراض النفسية إلى حد كبير في الدول ذات المستويات المختلفة من متوسط الدخل 555.

إلى أي حد تتحمل الاضطرابات القابلة للتشخيص المسؤولية عن مستوى البؤس في العالم (إن عرفنا البؤس على أنه أقل مستويات الرضا عن الحياة)؟ تُعتبر الاضطرابات القابلة للتشخيص في الدول الغنية المساهم الرئيسي والأهم في البؤس (بينما بقية العوامل متساوية في أهميتها)، وتتحمل الاضطرابات النفسية في معظم الدول تقريباً نسبةً أكبر من عدم السعادة من تلك التي تسببها الأمراض الجسدية.

الجدول رقم 12: ما هو مدى البؤس الذي يوضحه كل عاملٍ على حدة في ثلاث دول

بريطانيا	استراليا	الولايات المتحدة	
-05	-09	12-	الدخل المنخفض
-03	-06	-06	البطالة
-05	-16	-05	المرض الجسدي
-09	-14	-19	الاضطرابات النفسية

المصدر: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018

يأتينا الدليل على هذا من خلال الدراسات الاستقصائية السكانية، حيث يُسأل الناس حول رضاهم عن حياتهم وجوانب صحتهم النفسية. إن مقياس الصحة النفسية، في الولايات المتحدة وأستراليا المذكور في الجدول 1 هو ما إذا كان الشخص قد شُخص خلال حياته بالاكتئاب أو باضطراب القلق، أما بالنسبة للبريطانيين، فكان المقياس رؤيتهم لطبيب خلال العام الماضي لأسباب عاطفية. وينظر الجدول بكيفية تفسير البؤس في كل بلد بناءً على عوامل

555- نفس المرجع سبق ذكره ص 32

مختلفة) .يبين كل رقم معاملات الارتباط الجزئية بين العامل المعني وما إذا كان الشخص يعاني من البؤس)

الجدول رقم 13: ما هو مدى البؤس الذي يوضحه كل عامل على حدة في العالم

الدخل المنخفض	دول ذات دخل مرتفع	فئة عليا من الدول ذات الدخل المتوسط	الفئة الدنيا من الدول ذات الدخل المتوسط	الدول ذات الدخل المنخفض
-09	-12	-12	-12	-09
-06	-04	-03	-03	-02
-10	-17	-06	-06	-06
-17	-12	-10	-10	-07

المصدر: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018

وتبرز الصحة النفسية باعتبارها عاملاً حاسماً، يطغى على العوامل الأخرى ، وينبغي علينا بالنسبة للعالم ككل أن نعتمد على استفتاء مؤسسة غالوب العالمي، حيث كان أقرب سؤال حول الصحة النفسية هو “ هل كنت مكتئباً البارحة؟ ” وفيما عدا الدول الأكثر فقراً، يبرز هذا الأمر مجدداً كعامل رئيسي وأكثر أهمية من المرض الجسدي.

الاضطرابات النفسية تخفض الإنتاج

تعتبر الاضطرابات النفسية سيئة على الاقتصاد، وإن معظم الأشخاص المصابين باضطرابات نفسية هم ممن في سن العمل، ولكن لا يستطيع العديد منهم العمل بسبب ظروفهم . تشكل الاضطرابات النفسية نحو 50 في المائة من الإعاقات المسجلة في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، كما تشكل ثلث نسبة الإعاقات حول العالم . وهذا كفيل لوحده بتخفيض الناتج المحلي الإجمالي بنحو 2 في المائة.

بالإضافة إلى ذلك، حتى لو امتلك الشخص وظيفةً، ستدفعه الاضطرابات النفسية على الأرجح لطلب الإجازات المرضية، حيث تتسبب الاضطرابات النفسية بنصف نسبة الغيابات الإجمالية، وبالتالي ينخفض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 1 في المائة. وحتى لو ذهب هؤلاء الأشخاص إلى العمل، فإن أذهانهم ستبقى أقل تركيزاً على العمل وستنخفض إنتاجيتهم. ويساهم هذا العامل في تخفيض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 1 في المائة إضافية، وهكذا يصبح معدل الانخفاض الكامل للناتج المحلي الإجمالي نحو 4 في المائة 556.

يتشابه هذا التأثير عبر الدول ذات مستويات الدخل المختلفة، لأن معدلات الاضطرابات النفسية متشابهة في كل مكان. لكن وبسبب تطور أنظمة الرعاية الاجتماعية، تتحمل حكومات الدول الغنية ما يقارب نصف التكلفة، بينما تتحمل حكومات الدول الأفقر أقل من ذلك.

الجدول رقم 14: التكلفة الاقتصادية للمرض النفسي (دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية)

الناتج المحلي الإجمالي %	
2	الإعاقة
1	التغيب عن العمل
1	التواجد في العمل رغم المرض
1	رعاية صحية جسدية رغم المرض
5	المجموع

المصدر: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018

كما تتسبب مشاكل الصحة النفسية بتدهور الصحة الجسدية وبالتالي تزيد من الإنفاق على الرعاية الصحية الجسدية. ففي البلدان الغنية، تضيف المشاكل النفسية نحو 50 في المائة

إلى موارد رعاية الصحة الجسدية التي يستهلكها الشخص-مواصلتاً بذلك تخفيض صافي الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 1 في المائة إضافية.

الاضطرابات النفسية قد تكون قاتلة

علاوةً على كل ذلك، بإمكان الاضطرابات النفسية أن تقصر الحياة، وتوجد 200 دراسة على الأقل منشورة حول العالم تقارن وفيات الناس مع وبدون الاضطرابات النفسية . وتظهر هذه الدراسات أنّ الأشخاص المصابين باضطرابات نفسية وفي أيّ عام معرضين للوفاة أكثر من الأشخاص الذين ليسوا كذلك (انظر الشكل 1 أدناه). وفي حال ترجمنا هذه الأرقام إلى أعوام الحياة التي تمت خسارتها بسبب الوفاة المبكرة، فتكون النتيجة التقريبية الوسطية كما يلي.

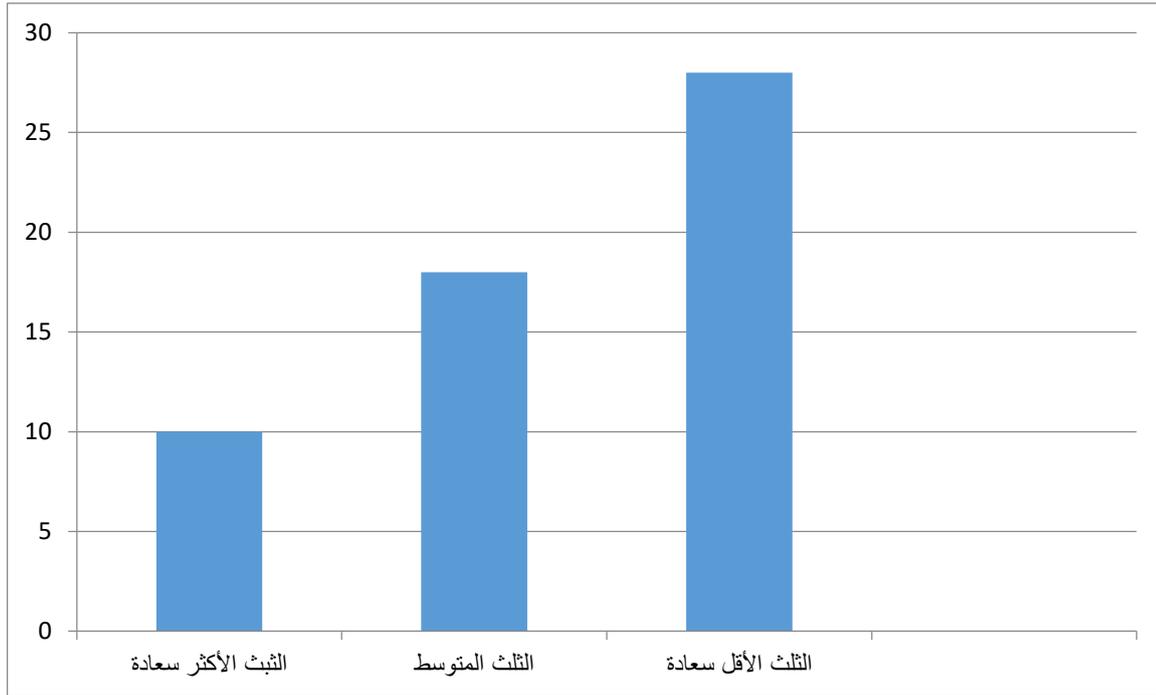
المزاج يؤثر على الصحة الجسدية

بالرغم من كون الانتحار أكثر الطرق المباشرة والواضحة والتي تتمكن الاضطرابات النفسية من خلالها من التسبب بالوفاة، إلّا أنّ ثلثي الوفيات المبكرة الناتجة عن الاضطرابات النفسية تعود إلى مسببات طبيعية.

إنّ الأشخاص المصابين بالاضطرابات النفسية أكثر عرضةً للإصابة باضطراباتٍ بدنية ، ومن المرجح أنّهم سيموتون عند إصابتهم بالاضطرابات البدنية .يعود هذا لعدة أسباب، من بينها الاختلافات في أنماط الحياة، وقلة العلاج .ولكن يعود السبب الرئيسي إلى الأثر المباشر للإجهاد النفسي على إنتاج الكورتيزول، وعلى تضيق الشرايين، والجهاز المناعي . وفي تجربةٍ مذهلة، تم من خلالها التسبب بجروحٍ بسيطة لبعض الأشخاص، كانت معدلات

شفاء جروح المصابين باضطرابات نفسية أبطأ من أقرانهم من غير المصابين باضطرابات نفسية 557.

الشكل 1: نسبة الأشخاص الذين ماتوا خلال تسعة أعوام (كان الأشخاص فوق سن ال 50 في البداية، بريطانيا)



المصدر: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018

مع أخذ هذا بالاعتبار، فليس من المستغرب أن تخفض نسب السعادة المرتفعة معدل الوفيات وتم توضيح هذا في الشكل 2. هذا وسئلت مجموعة تمثيلية بريطانية تتكون من أشخاص فوق سن ال 50 بعض الأسئلة المتنوعة، بما فيها عن مدى سعادتهم. ومن ثم بحثت الدراسة لمعرفة كم شخص منهم توفوا خلال الأعوام التسعة التالية، وكانت معدلات الوفيات في الثلث الأقل سعادةً أكثر بثلاث مراتٍ من الثلث الأكثر سعادة. وحتى عند أخذ معدلات الاعتلال

557- نفس المرجع سبق ذكره ص 33

الأولي، فقد توفي 50 في المائة إضافية منهم . توضح هذه النتائج الأثر الهائل للمزاج على الصحة الجسدية، وأهمية أخذ الصحة النفسية على محمل الجد.

الجدول 4: نسبة الأشخاص المصابين بالاكتئاب والقلق والذين يتلقون العلاج

الدول ذات الدخل المرتفع	24
الفئة العليا من الدول ذات الدخل المتوسط	18
الفئة الدنيا من الدول ذات الدخل المتوسط	12
الدول ذات الدخل المنخفض	6

المصدر: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018

تعتبر الاضطرابات النفسية مشكلةً كبيرةً حول العالم، وعلاوةً على ذلك وكما سنبين لاحقاً، تتوفر العلاجات الجيدة ولا تتطلب في غالبية الحالات تكلفةً صافية. وعلى الرغم من ذلك لا يتلقى معظم الأشخاص المصابين بالاضطرابات النفسية أي علاج لحالاتهم، ما يعتبر أمراً صادمًا. فحتى في البلدان الغنية، يتلقى ربع المصابين بالاضطرابات النفسية العلاج فقط، بينما تنخفض النسبة في البلدان الفقيرة لتصل إلى ستة في المائة (انظر الجدول 4) ويتلقى أقل من نصف من يخضعون للعلاج الحد الأدنى من العلاج المناسب⁵⁵⁸.

ولن يكون بالإمكان التغاضي عن مثل هذه النسب المنخفضة من تلقي العلاج لو كان الأمر يتعلق بالأمراض الجسدية. وتوجد في معظم البلدان، فتراتٍ انتظارٍ طويلةٍ لتلقي العلاج، ما يعكس الطلب الهائل الذي لا تتم تلبية، فهناك ببساطة:

• عددٌ قليلٌ جداً من العاملين في مجال الصحة النفسية.

• مستويات إنفاقٍ منخفضةٍ جداً.

⁵⁵⁸- نفس المرجع سبق ذكره ص 34

الجدول 5: نسبة القوى العاملة في مجال الصحة النفسية لكل 100,000 شخص من

السكان

52	الدول ذات الدخل المرتفع
16	الفئة العليا من الدول ذات الدخل المتوسط
3	الفئة الدنيا من الدول ذات الدخل المتوسط
1	الدول ذات الدخل المنخفض
9	عالمياً

المصدر: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018

يوضح الجدول 5 العدد المنخفض جداً من العاملين المهتمين بالأشخاص المضطربين نفسياً، وخاصة في الدول الفقيرة (التفاصيل حسب البلدان متوفرة في الملحق 3) ويظهر الجدول 6 المستويات المزرية للإنفاق على الصحة النفسية.

الأمر الأكثر غرابة ومدعاة للأسف هو نمط المعونة والعمل الخيري، فالاستجابة الدولية للاضطرابات

النفسية في الدول الأفقر مثيرة للشجب، وإن التباين مع الاستجابة لمرض الإيدز على سبيل المثال غير عادي، فعلى الرغم من أن مرض الإيدز يعدّ قاتلاً بالتأكيد، ولكن الاضطرابات النفسية قاتلة أيضاً. تملك منظمة الصحة العالمية منهجيةً تجمع بين آثار كلّ مرض على طول فترة الحياة ونوعيتها بهدف الوصول إلى رقمٍ تقريبي للأعوام المفقودة بسبب الإعاقة. وكما يبين الشكل 3، فإن الاضطرابات النفسية تسبب ضعف الضرر الذي يسببه مرض الإيدز، ومع ذلك فهي تتلقى معونةً أقل من 2

في المائة من نسبة المعونة المقدمة للإيدز-بالكاد أكثر من 0.1 مليار دولار في العام- مقارنةً ب 6.8 مليار دولار للإيدز. ويعكس هذا التفاوت تمييز الحكومات حول العالم (وشركات التأمين) ضد الاضطرابات النفسية⁵⁵⁹.

العلاجات الفعالة موجودة

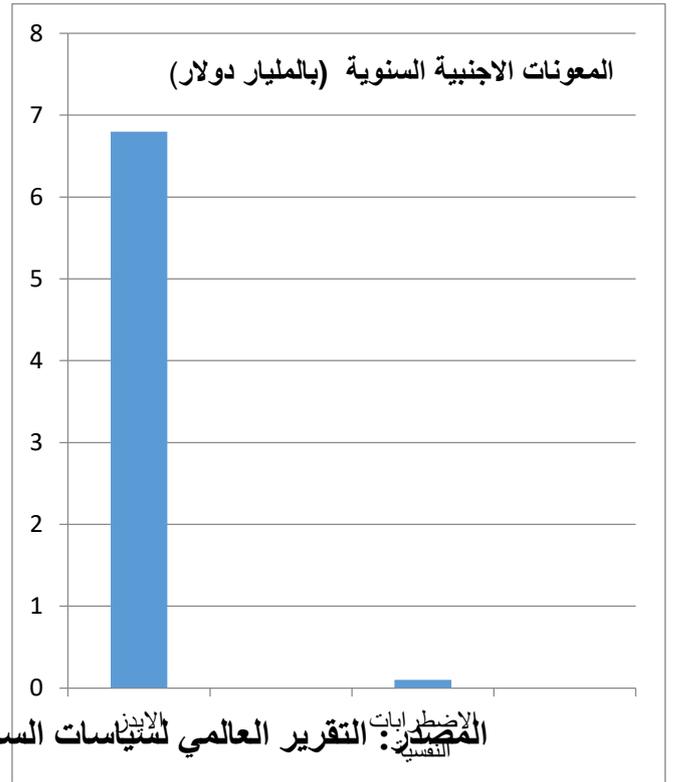
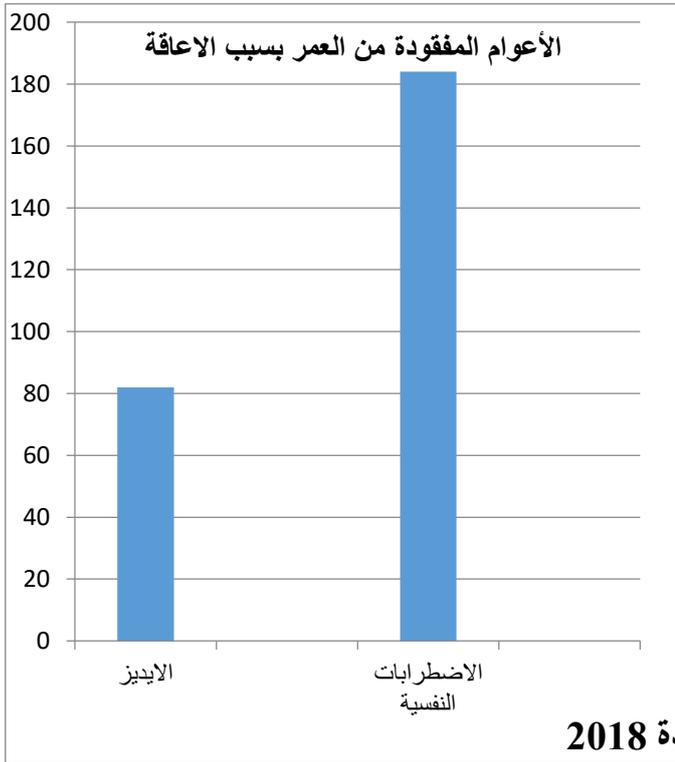
تبدو هذه الالتزامات منطقيةً لأننا نملك حالياً علاجاتٍ فعالةً للأمراض النفسية الشائعة . وتملك معظم العلاجات نسبة نجاحٍ تفوق ال 50 في المائة، والتي تعتبر مرتفعةً بالمقارنة مع علاجات الأمراض الجسدية وتؤمن توصيات المعهد الوطني للتميز في الصحة والرعاية في بريطانيا دليلاً جيداً بالنسبة للدول ذات الدخل المرتفع . ويوصى بمضادات الاكتئاب لمعالجة الاكتئاب المعتدل إلى الشديد، بالإضافة إلى العلاج السلوكي المعرفي أو العلاج القائم على التعامل مع الآخرين . ويوصى بالعلاجات النفسية الاجتماعية في حال الاكتئاب الطفيف إلى المعتدل (بما فيها العلاج السلوكي المعرفي، والعلاج القائم على التعامل مع الآخرين، والتنشيط السلوكي، والعلاج السلوكي للأزواج، والاستشارة، والعلاج النفسي الديناميكي قصير الأمد، والمساعدة الذاتية الموجهة بالنسبة للحالات الطفيفة).

أما بالنسبة لبعض حالات القلق، يوصى بمضادات الاكتئاب، ولكن العلاج السلوكي المعرفي يعتبر أساسياً. ومن المهم التأكيد على أنّ هدف معظم العلاجات النفسية لا يتمثل بالتخلص من الأفكار السلبية فحسب، بل بغرس مواقف وأنشطةٍ إيجابيةٍ أيضاً⁵⁶⁰.

الشكل التعامل المختلف مع الإيدز والاضطرابات النفسية 2010

⁵⁵⁹- نفس المرجع سبق ذكره ص 35

⁵⁶⁰- نفس المرجع سبق ذكره ص 35



المصدر: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018

بينما ينبغي أن تتكيف هذه العلاجات النفسية في الدول الفقيرة مع ظروفها المحلية (انظر أدناه). إن التكلفة الحقيقية للعمالة في الدول الفقيرة أقل منها في الدول الغنية، وبالتالي فإن ظهور التوجهات النفسية يكون أقوى بالتحديد في الدول الفقيرة (بالنسبة إلى حالة العلاج). أصدرت منظمة الصحة العالمية دليلاً ممتازاً حول ما الذي ينبغي توفره فيما يسمى بدليل التدخل المتعلق ببرنامج سد الفجوة القائمة في مجال الصحة كما أنها mhGAP. (Intervention Guide النفسية - 2013 أصدرت خطة عملٍ شاملة للصحة النفسية 2020 حيث تعهدت كل الدول الأعضاء بوضع خطة للصحة النفسية.

الأطفال

يشكل الأطفال والمراهقون نحو ثلث سكان العالم، ويعيش نحو 80 في المائة من هؤلاء الصغار في السن في دول ذات دخلٍ متوسطٍ أو منخفضٍ. وتعد حياتهم مهمةً جداً بحد ذاتها ومرحلة تحضير لسن الرشد. ويواجه غالبية الأشخاص الذين يعانون من المرض النفسي في سن الرشد مرضاً نفسياً بحلول الخامسة عشرة من عمرهم ، ومع ذلك لم يخضع معظم هؤلاء الأطفال المرضى إلى العلاج، ففي الدول الغنية يحصل ربعهم على العلاج بينما النسبة أقل في دولٍ أخرى ، وهذا الوضع غير منطقي.

لدى 10 في المائة من الصغار تحت سن ال 19 في بلد نموذجي مستوياتٍ قابلةٍ للتشخيص من الاضطرابات النفسية، مع وجود مستوياتٍ مشابهة في الدول الغنية والفقيرة . ولدى خمسة في المائة منهم مشاكل سلوكية مترافقةً أحياناً مع اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط، بينما يعاني الخمسة في المائة الآخرون من اضطراباتٍ في المزاج وبشكلٍ رئيسي أنواعٍ مختلفةٍ من حالات القلق الخطيرة مثل اضطراب القلق الاجتماعي، ونوبات الهلع، والاضطراب الوسواسي القهري وبالتأكيد اضطراب الكرب التالي للصدمة النفسية، والذي يعتبر شائعاً في مناطق النزاعات بالتحديد⁵⁶¹.

تعد تكلفة هذه المشاكل كبيرة . فعلى سبيل المثال، فإن عُشر الأطفال الأقل سعادةً في بريطانيا يكونون أفقر بنسبة سبعة في المائة كراشدين . ويعود هذا بشكلٍ جزئي إلى أنّ المشاكل العاطفية تتدخل بنسبةٍ كبيرةٍ في تعليمهم وصحتهم الجسدية.

وبذات القدر من الأهمية، فإنّ احتمالات قيام الأطفال الذين يعانون من اضطراباتٍ سلوكيةٍ بارتكاب الجرائم، وتعاطي المخدرات، وإنجاب الأطفال في سن المراهقة، والاعتماد

⁵⁶¹- نفس المرجع سبق ذكره ص 41

على إعانات الرعاية الاجتماعية، ومحاولة الانتحار، تزداد بنسبة أربعة أضعاف. ويقدر أنّ مثل هؤلاء الأطفال سيكلفون دافعي الضرائب في بريطانيا تكاليف عدالة جنائية تساوي متوسط رواتب ثلاث سنوات 562.

العلاج يحقق المدخرات

كما هو الحال عند الراشدين، يمكن تحقيق مدخرات هائلة في حال تلقى صغار السن المساعدة بشكلٍ مبكر فيما يخص مشاكلهم النفسية. يحقق برنامج "السنوات الرائعة" في الدول الغنية مدخراتٍ في مجال الرعاية الصحية لوحده تكفي لتحقيق تمويل ذاتي، وعلاوةً على ذلك، تعود المدخرات الكبيرة إلى نظام العدالة الجنائية.

يعد اكتئاب الأم خلال الولادة من المشاكل الرئيسية التي تواجه الأطفال، حيث تكلف حالة واحدة من الاكتئاب المصاحب للولادة المجتمع في بريطانيا بمعدل متوسط راتب سنوي، ومن جهةٍ أخرى تُعادل تكلفة علاجٍ نفسي ناجح (على افتراض معدل النجاح يساوي 50 في المائة عُشر هذا المبلغ، وعليه. وتُفوق المدخرات التكاليف بعامل عشرين إلى واحد.

تنظيم العلاج

بالكاد يوجد، في الكثير من الدول، أي نظامٍ للرعاية الصحية النفسية للأطفال يقوم على الأدلة. ويمكن من خلال الإصرار تطوير مثل هذه الأنظمة بسرعةٍ معقولة 563.

أما بالنسبة للراشدين، فهناك حاجةٌ ل:

• تحديد العلاجات الواجب تقديمها.

562- نفس المرجع سبق ذكره ص 41

563- نفس المرجع سبق ذكره ص 42

• تدريب الأشخاص المخولين بتقديمها.

• إيجاد الخدمات التي يمكن أن يعملوا من خلالها.

يأتي المثال حول ما يمكن القيام به من خلال تطوير برامج، السنوات الرائعة ”في العديد من الدول . وتعمل هذه البرامج من خلال مبدأ التعاقبية، إذ ينبغي أن يمتلك المعالجون (أي قادة المجموعات) معرفةً مسبقةً بثقافة نمو الأطفال وخبرة سريرية في العمل مع الوالدين أو المعلمين أو الأطفال فيما يتعلق بمشاكل الاضطرابات النفسية. ويتم تدريبهم مبدئياً من خلال ورشات عمل تمتد لثلاثة أيام من قبل مدرب أو موجه معتمد، ويتبعها استشارات ودعم مستمرين من قبل مدربين، أو مدربين مختصين معتمدين. ويوصى بحصول المعالجين على استشاراتٍ كل أسبوعين عند بدء عملهم مع المجموعات، ويمكن تقديم هذه الاستشارات من خلال تطبيق “سكايب” أو في ورشات عمل استشارية شخصية، اعتماداً على ما إذا كانت الوكالات تملك مدربين مختصين أو موجهين. ويتم تشجيع المعالجين على مراجعة أشرطة الفيديو الخاصة بجلساتهم الجماعية مع بعضهم البعض في سبيل تطوير نظام دعم للأقران وتحقيق اعتمادٍ ناجح للمعالج. وسيكون أكثر المعالجين موهبةً من الذين تم اعتمادهم، مؤهلين للحصول على المزيد من التدريب كمدربين مختصين، وقد يصبح أكثر هؤلاء موهبةً موجهين (للمدربين) لإدارة الورشات التدريبية. ودرّب البرنامج حول العالم حتى الآن 57,447 معالج / قائد مجموعة، و 104 مدربين مختصين، و 90 موجهاً 564.

تعد باكستان مثلاً آخر على علاج اكتئاب الأمومة، وتلقى العاملون في مجال الصحة المجتمعية التدريب على كيفية كشف وعلاج اكتئاب الأمومة باستخدام طرق تقوم على العلاج

564- نفس المرجع سبق ذكره ص 42

السلوكي المعرفي. ويدعى هذا النظام ببرنامج "التفكير الصحي" ويشمل 16 زيارةً للأم، بما فيها الإصغاء الفعال، والتعاون مع الأسرة، والاكتشاف الموجه، والوظائف المنزلية. وخفض البرنامج نسبة الأمهات اللاتي يعانين من الاكتئاب بنسبة 30 في المائة بعد ستة أشهر، وتم تطبيق البرنامج على نطاقٍ واسعٍ في باكستان 565.

المدارس

يقدم النظام المدرسي، خارج النظام الأسري، الفرصة الأقوى للتأثير على الصحة النفسية للسكان (بما أنّ كل الأطفال تقريباً يذهبون إلى المدارس الآن). وينبغي أن تكون جودة الحياة النفسية للتلاميذ هدفاً واضحاً لكل مدرسة، إذ يرتاد غالبية الأطفال في العالم المدارس، ويمكن الوصول إلى الأهل أيضاً إلى حدّ ما عن طريق المدارس. وبإمكان المدارس أن تحدث فرقاً حقيقياً إن قامت بنشر الرسائل الصحيحة حول الصحة النفسية وجودة الحياة. وعلاوةً على كلّ ذلك، فإن هذا يعني اكتساب الأطفال 566:

• قيم وسلوك رحيم وتعاوني.

• يفهمون مشاعرهم الخاصة ومشاعر الآخرين، ويطورون المهارات اللازمة للتعامل

مع هذه المشاعر.

565- نفس المرجع سبق ذكره ص 42

566- نفس المرجع سبق ذكره ص 43

يترتب على الرسالة أنّ تكون إيجابية (ما، ينبغي فعله” أكثر مما“ لا يجب فعله)“،
ومن المهم جداً أن يتقبل كل المعلمين في المدرسة، بالإضافة إلى التلاميذ هذه الرسائل وعلى
أمل أن يتقبلها الأهل أيضاً.

سيكون لكل مدرسة في كل بلد طريقته الخاصة في تعزيز هذه المواقف والمهارات
الصحية. ولكن تم تطوير العديد من البرامج التي أعطت آثاراً إيجابية ومعظم هذه البرامج
مستمرة منذ نحو عشرين عاماً

أو أكثر، وتم تطبيقها في الكثير من الدول على المستوى الوطني، ومستوى الولاية،
والمقاطعة) شملت في العديد من الحالات دولاً منخفضة ومتوسطة الدخل. وتوجد منهجية
مختلفة تقوم على استخدام وقتٍ أقصر والذي (Mindfulness) لتعليم ممارسة الوعي التام
بإمكانه أن يصبح لاحقاً ممارسةً منتظمةً خلال الحياة 567.

وتظهر غالبية هذه البرامج تأثيراتٍ مهمةً على الاكتئاب، والقلق، والسلوك، والتنمر،
والأداء الأكاديمي. ويكون معدل التأثيرات على كل تلميذ صغيراً في هذه الحالات بسبب القصر
النسبي لفترة البرامج. ولكن تستحق هذه التأثيرات الصغيرة نسبياً الحصول عليها عندما تكون
التكلفة للتلميذ الواحد صغيرةً أيضاً. من الممكن أن يشمل التأثير الصغير نسبياً تأثيراً مهماً
على عددٍ من الأطفال في كل مدرسة. ما يحدث تغييراً كبيراً في الصحة العامة للسكان. أما فيما
يخص فعالية التكلفة، فستتمكن هذه البرامج من تمويل نفسها من خلال تخفيض تكاليف
الرعاية الصحية، وتحسن السلوك في

المدرسة، وتخفيض نسبة الجريمة، وزيادة العائدات 568.

567- نفس المرجع سبق ذكره ص 43

568- نفس المرجع سبق ذكره ص 43

تشمل التكلفة الأساسية التدريب الإضافي للمعلمين. وفي الوقت ذاته، يتم تحويل جهد التلاميذ من دراسة مواد أخرى، ولكن تشير الأدلة إلى أنّ إجمالي أداءهم الأكاديمي استفاد من الوقت الإضافي المخصص لمهارات الحياة. ونظرًا لنجاح هذه البرامج القصيرة نسبيًا، تنصب الجهود حاليًا لتطوير تعليم قائم على الأدلة لمهارات الحياة لمدة ساعة على الأقل أسبوعيًا طوال الفترة الدراسية. وكمثال على هذا في المدارس الثانوية، لدينا برنامج "العقول الأصحاء" البريطاني. ويستفيد التلاميذ أيضًا في حال كان معلمهم مدربين على الحفاظ على هدوئهم في الصف من خلال، على سبيل المثال، نسخة من برنامج تدريب الأهل، السنوات الرائعة" المخصصة بوضوح للمعلمين 569.

وتبرز فائدة مهمة أخرى عندما يكون المعلمون على دراية أكبر بمسائل الصحة النفسية: فبإمكانهم رصد الأطفال الذين يعانون من الاضطرابات والذين يحتاجون لدعم علاجي بشكل أسهل. وكما ذكرنا سابقًا، تفشل الدول منخفضة ومتوسطة الدخل في تأمين الدعم العلاجي من خلال نظام الرعاية الصحية، وتعتبر المدرسة المكان الطبيعي الذي بإمكان المستشارين غير المختصين أن يؤديوا عملهم فيه. ويعتبر غالباً هؤلاء المستشارون سفراء ممتازين لتعزيز الصحة النفسية داخل المدرسة ككل.

وعلى الجانب الآخر، في البلدان الغنية يمكن للمعالجين الأخصائيين تقديم هذه المساعدات على نحو أيسر، وهناك العديد من الأسباب لضرورة ألا تقوم خدمات الصحة النفسية للأطفال بخدمة الأطفال الأكثر تضررًا فحسب (غالباً في العيادات)، بل الأطفال الذين

569- نفس المرجع سبق ذكره ص 44

يعانون من مشكلات صحية خفيفة أو متوسطة الشدة أيضاً، والذين يمكن فحصهم في المدارس على نحو أسهل، كما يمكن فحص آبائهم كذلك 570.

خاتمة

يمكن أن يبدأ التغيير عند أي مستوى، ولكن تقع على عاتق الحكومات مسؤوليات خاصة، فمن واجبها ضمان أن تكون الصحة النفسية من مجالات السياسة المركزية، سواءً للعلاج أو للوقاية. تسبب الاضطرابات النفسية نفس القدر من البؤس الذي تسببه الأمراض الجسدية، وهي قابلة للعلاج ومن الممكن منع وقوعها إلى حدٍ ما. وهي تظهر في كل الدول، وفي كل المستويات الاجتماعية. وتعتبر الصدمة التي تسببها النزاعات والعنف من أوسع أنواع الاضطرابات النفسية، ولكن الاضطرابات النفسية موجودة في كل مكان وتؤثر تقريباً على كل أسرة. وينبغي أن يكون توسيع العلاج القائم على الأدلة هدفاً رئيسياً لإيصاله إلى 25 في المائة من الأشخاص الذين يحتاجونه، ويجب القيام بهذا في أسرع وقتٍ ممكن، ولن يتطلب هذا أي تكلفة صافية. ويجب أن يكون العمل في مواجهة الاضطرابات النفسية أولوية قصوى إن كانت الحكومات مهتمةً بسعادة مواطنيها.

الفصل الخامس

الشق التطبيقي

البحث الميداني

يتناول هذا الفصل وصفا لكل من مجتمع البحث وعينته، إضافة إلى وصف أدوات البحث وكيفية التحقق من صدقها وثباتها، وكذلك الإجراءات التي اتبعت في تطبيق البحث والمعالجات الإحصائية المستخدمة.

مجتمع البحث وعينتها:

يتألف مجتمع البحث الحالي من مواطنين ومقيمين في المجتمع الإماراتي من 18 سنة فما فوق في اماره الشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة .

تمت الاستعانة ببعض البيانات حول التشغيل والمتوفرة لدى وزارة الشؤون الاجتماعية والمؤسسات الأخرى العاملة في مجال الرعاية الاجتماعية والسعادة والرفاه الاجتماعي.

لقد تم اختيار عينة عشوائية من مختلف القطاعات والتي بلغت 150 فرداً، بينما اختيرت عينة ضابطة بطريقة عشوائية مماثلة تتكون من 150 فرداً من الأشخاص المقيمين وذلك بهدف معرفة ما مدى استجابة السياسات الاجتماعية لاحتياجات كل الشرائح الاجتماعية.

جدول رقم (1) توزيع أفراد عينة البحث حسب الانتماء، والمستوى التعليمي، ومستوى الدخل، والحالة الاجتماعية وجهة العمل

المتغيرات		مقيم		مواطن
هل المسكن مريح	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية

نعم	66	%44	---	---
لا	60	%40	---	---
يرفض الإجابة	24	%16	---	---
المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
ثانوية فأقل	88	%58.7	34	%22.7
دبلوم متوسط	39	%26	45	%30
بكالوريوس	23	%15.3	60	%40
دراسات عليا	--	--	11	%7.3
مستوى الدخل	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
5 آلاف فأقل	99	%66	48	%32
6-12 ألف	31	%20.7	47	%31.3
13 ألف فما فوق	20	%13.3	55	%36.7
الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
أعزب	82	%54.7	69	%46
متزوج	68	%45.3	81	%54
جهة العمل	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
حكومي	92	%61.3	68	%45.3
خاص	58	%38.7	82	%54.7
المجموع العام	150	%100	150	%100

الاستبيان الأسئلة المغلقة

تم تطوير هذا الجزء لقياس جودة الحياة لدى المواطن والمقيم بالاستعانة بمقياس جودة الحياة وتشتمل الأسئلة على رسالة موجهة إلى أفراد عينة البحث لتوضيح أهدافه، والتأكيد على سرية البيانات، وكذلك على مجموعة من متغيرات البحث المستقلة المتمثلة في: نوع المسكن، المستوى التعليمي، مستوى الدخل، الحالة الاجتماعية وجهة العمل.

إجراءات البحث

بعد التأكد من صدق وثبات أداة البحث، قام الباحث بالإجراءات اللازمة من أجل تطبيقها على عينة الدراسة. كما تم تبويب البيانات وترميزها وإدخالها إلى الحاسوب.

منهجية البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي الميداني لمناسبته لأغراض البحث، والتحليل الكمي والنوعي للبيانات التي تم الحصول عليها من خلال أداة البحث.

ظروف العيش

مستوى الدلالة	درجات الحرية	قيمة (ت)	مواطن		مقيم		
			الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	
*0.000	298	33.213	0.45	4.36	0.73	2.03	جودة المسكن
*0.000	298	33.104	0.49	4.44	0.73	2.03	جودة الشعور بالسعادة
*0.000	298	41.115	0.21	3.61	0.28	2.41	جودة الحياة الاجتماعية
*0.000	298	39.774	0.15	3.47	0.22	2.57	جودة الصحة العامة
*0.000	298	33.097	0.02	3.20	0.11	2.81	جودة العواطف والانفعالات
*0.000	298	30.481	0.32	3.25	0.20	2.29	جودة قضاء الوقت
*0.000	298	38.945	0.26	3.69	0.32	2.37	الدرجة الكلية

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (ألفا = 0.05) في مستوى جودة الحياة

عند المواطن الإعاقة والمقيم. ومن أجل فحص هذه الفرضية الصفرية، تم استخدام اختبار (ت)

لعينتين مستقلتين كما يبين جدول (2).

جدول (2)

نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لدلالة الفروق بين متوسطات مستوى جودة الحياة لدى

المواطن والمقيم

* مستوى الدلالة (ألفا = 0.05)

يتضح من الجدول (2) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى جودة الحياة بين الأفراد المواطنين والمقيم وذلك في الدرجة الكلية على مقياس جودة الحياة وفي جميع أبعاد جودة الحياة، وذلك لصالح المواطن، حيث بلغ المتوسط الحسابي لجودة الحياة المقيمين (2.37) مما يشير إلى مستوى متوسط، فيما بلغ متوسط جودة الحياة عند المواطن (3.69) مما يشير إلى مستوى مرتفع من جودة الحياة. وقد يرجع السبب في ذلك إلى المشكلات الاجتماعية والصحية التي يعاني منها المقيمون، والتي تنعكس على أوضاعهم الانفعالية والعاطفية، وبالتالي انخفاض مستوى رضاهم عن الذات.

هل تعاني من أمراض معينة

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (ألفا = 0.05) في مستوى جودة الحياة عند الأشخاص الذين يعانون من ظروف صحية معينة. ومن أجل فحص هذه الفرضية الصفرية، تم استخراج المتوسطات الحسابية لإجابات عينة البحث، واستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لفحص دلالة الفروق بين هذه المتوسطات، وكانت النتائج كما هو موضح في جدول (3).

جدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى جودة الحياة عند الأشخاص الذين

يعانون من أمراض معينة

نوع الأمراض	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أمراض عضوية	2.47	0,33
أمراض نفسية	2.25	0,26
حالات أخرى	2.37	0,30

يتضح من الجدول (3) وجود اختلافات بين المتوسطات الحسابية لمستوى جودة الحياة عند الأشخاص الذين يعانون من أمراض معينة.

و للتأكد من أن هذه الفروق بين المتوسطات ذات دلالة إحصائية أم لا، فقد تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA، ونتائجه موضحة في جدول (4).

جدول (4)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق بين متوسطات مستوى جودة الحياة لدى الأفراد الذين يعانون من حالات مرضية حسب نوعية المرض

مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المقياس الكلي	1.508	2	0.754	7.945	*0,001
مقيم	13.951	147	0,029		
مواطن	15.459	149			
الكلي					

* مستوى الدلالة (ألفا = 0.05)

يتضح من الجدول (4) وجود فروق دالة إحصائية في مستوى جودة الحياة عند الأفراد الذين يعانون من أمراض معينة. ومن أجل معرفة لصالح من ترجع هذه الفروق، تم استخدام اختبار شيفيه Scheffe للمقارنات البعدية. وتبين من نتائجه وجود فروق في مستوى جودة الحياة بين الأشخاص الذين يعانون أمراض نفسية وذلك لصالح الأشخاص الذين يعانون أمراضا عضوية، وكذلك عدم وجود فروق في مستوى جودة الحياة بين الأشخاص الذين يعانون أمراضا نفسية والأشخاص الذين يعانون من أمراض أخرى.

فحص الفرضية الصفرية الثالثة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (ألفا = 0.05) في مستوى جودة الحياة عند الأشخاص الذين يعانون أمراضا تبعا للمستوى التعليمي. ومن أجل فحص هذه الفرضية الصفرية، تم استخراج المتوسطات الحسابية لإجابات عينة البحث، واستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لفحص دلالة الفروق بين هذه المتوسطات، وكانت النتائج كما هو موضح في جدول (5).

جدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى جودة الحياة عند أفراد العينة تبعا للمستوى التعليمي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المستوى التعليمي
0,30	2.25	ثانوية فأقل
0,28	2.47	دبلوم متوسط
0,22	2.63	بكالوريوس

يتضح من الجدول (5) وجود اختلافات بين المتوسطات الحسابية لمستوى جودة الحياة عند أفراد العينة تبعا لمستواهم التعليمي. ومن أجل التأكد من أن هذه الفروق بين المتوسطات ذات دلالة إحصائية أم لا، فقد تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA، ونتائجه موضحة في جدول (6).

جدول (6)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق بين متوسطات مستوى جودة الحياة عند الأشخاص المقيمين تبعا لمتغير المستوى التعليمي

مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المقياس المقيم الكلي	3.124	2	1,562	18,611	*0,000
مواطن الكلي	12.336	147	0,028		
الكلي	15.459	149			

* مستوى الدلالة (ألفا = 0.05)

يتضح من الجدول (6) وجود فروق دالة إحصائية في مستوى جودة الحياة لدى أفاد العينة تبعاً لمستواهم التعليمي. ومن أجل معرفة لصالح من ترجع هذه الفروق، تم استخدام اختبار شيفيه Scheffe للمقارنات البعدية، وبينت النتائج وجود فروق بين حملة الثانوية العامة فأقل وبين حملة الدبلوم المتوسط وذلك لصالح الحاصلين على الدبلوم المتوسط، وكذلك وجود فروق بين الحاصلين على الثانوية العامة فأقل والحاصلين على البكالوريوس وذلك لصالح الحاصلين على البكالوريوس. وقد يعود السبب في ذلك إلى أن الفرد المواطن أو المقيم الحاصل على شهادات علمية أعلى، يمكنه الحصول على وظائف أفضل من حيث المهام والدخل.

فحص الفرضية الصفرية الرابعة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (ألفا = 0.05) في مستوى جودة الحياة عند أفراد العينة تبعاً لمستوى الدخل. ومن أجل فحص هذه الفرضية الصفرية، تم استخراج المتوسطات الحسابية لإجابات عينة البحث، واستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لفحص دلالة الفروق بين هذه المتوسطات، وكانت النتائج كما هو موضح في جدول (7).

جدول (7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى جودة الحياة عند أفراد العينة تبعا

لمستوى الدخل

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الدخل	مستوى بالدهرم
0,29	2.26	5 آلاف فأقل	
0,28	2.49	12-6 ألف	
0,14	2.70	13 ألف فما فوق	

يتضح من الجدول (7) وجود اختلافات بين المتوسطات الحسابية لمستوى جودة الحياة عند أفراد العينة تبعا لمستوى الدخل. ومن أجل التأكد من أن هذه الفروق بين المتوسطات ذات دلالة إحصائية أم لا، فقد تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA، ونتائجه موضحة في جدول رقم (8).

جدول (8)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق بين متوسطات مستوى جودة الحياة عند

أفراد العينة تبعا لمتغيرة مستوى الدخل

مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المقياس الكلي	3.809	2	1.904	24.027	*0,000
مواطن الكلي	11.651	147	0.027		
الكلي	15.459	149			

يتضح من خلال الجدول (8) وجود فروق دالة إحصائية في مستوى جودة الحياة عند أفراد العينة وذلك تبعا لمستوى الدخل. ومن أجل معرفة لصالح من ترجع هذه الفروق، تم استخدام اختبار

شيفيه Scheffe للمقارنات البعدية، وبينت نتائجها أن جودة الحياة عند أفراد العينة ترتفع بارتفاع مستوى دخلهم.

قد يرجع السبب في ذلك إلى أن ارتفاع الدخل يساعد الفرد على تلبية الكثير من احتياجاته المادية والصحية والترفيهية مما يؤدي بالتالي إلى التحسن في مستوى جودة الحياة لديه، وذلك على عكس الفرد سواء المواطن أو المقيم الذي له دخل منخفض، مما يجعله محروماً من تلبية احتياجاته المعيشية الأساسية، وتوفير الأجهزة المساعدة والتقنيات الحديثة، التي يمكن من خلالها تحسين جودة حياته.

الحالة الاجتماعية

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (ألفا = 0.05) في متوسطات مستوى جودة الحياة عند أفراد العينة تبعاً للحالة الاجتماعية. ومن أجل فحص هذه الفرضية الصفرية، تم استخدام اختبار (ت) لعينتين مستقلتين كما يبين جدول (9) التالي:

جدول (9)

نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لدلالة الفروق بين متوسطات مستوى جودة الحياة لدى الأشخاص ذوي الإعاقة تبعاً للحالة الاجتماعية

المشكلات	أعزب (ن=82)	متزوج (ن=68)	قيمة (ت)	درجات الحرية	مستوى الدلالة
المتوسط	2.29	2.46	0.314	148	*0,001
الانحراف	0.309	0.314			
المتوسط					

* مستوى الدلالة (ألفا = 0.05)

يتضح من الجدول (9) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى جودة الحياة عند أفراد العينة تبعاً للحالة الاجتماعية، وذلك لصالح المتزوج بمتوسط حسابي (2.46) مقابل الفرد الأعزب بمتوسط حسابي (2.29).

جهة العمل وجودة الحياة

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (ألفا = 0.05) في مستوى جودة الحياة لدى الأفراد العينة تبعاً لجهة العمل. ومن أجل فحص الفرضية الصفرية، تم استخدام اختبار (ت) لعينتين مستقلتين كما يبين جدول (10) التالي:

جدول (10)

نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لدلالة الفروق بين متوسطات المشكلات في مستوى جودة الحياة لدى أفراد العينة في علاقتهم بجهة العمل

المشكلات	حكومي (ن=92)	خاص (ن=58)	قيمة (ت)	درجات الحرية		مستوى الدلالة
				المتوسط	الانحراف	
الدرجة الكلية	2.45	2.32	0.32	148	0.013*	

* مستوى الدلالة (ألفا = 0.05)

يتضح من الجدول (10) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى جودة الحياة أفراد العينة تبعاً لجهة العمل، وذلك لصالح الأفراد العاملين في القطاع الحكومي بمتوسط حسابي (2.45) مقابل الأفراد العاملين في القطاع الخاص بمتوسط حسابي (2.32). وقد يعود السبب في ذلك إلى أن عمل الأفراد في الجهات الحكومية يوفر لهم دخلاً مادياً أفضل، وتفهماً أكثر لحالتهم الصحية ولحقوقهم، التي نص عليها القانون الاتحادي، إلى جانب أن الدوام في القطاع الحكومي

يتميز عن القطاع الخاص بإجازات أكثر وعدد ساعات عمل يومي أقل، وأخيراً ما توفره الوظائف الحكومية من بيئة آمنة عمل تساهم في شعور الفرد بالأمان الوظيفي.

الأسئلة المفتوحة

بعد إجراء المقابلات الفردية مع أفراد عينة البحث المقيمين والمواطنين وفق نموذج المقابلة المعد سلفاً من قبل الباحث، حيث قام بتحليل استجاباتهم، وذلك تبعاً لمجموعة من الأسئلة المفتوحة. وقد تم حصر استجابات المفحوصين في كل سؤال وتصنيفها، وحساب النسبة المئوية للاستجابات، علماً بأن المستجيب قد يعطي أكثر من استجابة لنفس السؤال. وكانت نتائج تحليل المقابلات كما يظهر في الجداول ذات الأرقام (11، 12، 13، 14).

أولاً: وصف وضعية المشاركين في البحث الجدول (11)

وصف الحالة الصحية

المواطن		المقيمون		الوضعية
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
65.3%	98	41.3%	62	جيدة
16.6%	25	25.3%	38	متوسطة
0.06%	10	18.6%	28	متردية
11.3%	17	1.4%	22	مناعة ضعيفة

يتضح من الجدول (11) بأن نسبة أفراد العينة من المقيمين، الذين وصفوا حالتهم بالمتردية (18.6%) هم أكثر من المواطنين، الذين وصفوها كذلك (0.06%). وقد يعود السبب في ذلك إلى

الوضعية التي ترافق المقيم من بلاده الأصلية على وجه التحديد وما يتطلبه ذلك من مراجعات طبية وعلاجية.

ثانياً: وصف المستجيبين لحياتهم الأسرية

الجدول (12)

الحياة مع أفراد الأسرة

المواطن		المقيم		الحياة الأسرية
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
74.6%	112	54.7%	82	تفاعل إيجابي مع الأسرة
61.3%	92	68%	102	أسرة داعمة
41.3%	62	36.7%	55	ضعف في التواصل مع الأسرة
7%	11	15.3%	23	يعانون من إهمال من قبل أفراد الأسرة

ثالثاً: وصف المستجيبين لحياتهم الاجتماعية العامة

الجدول (13)

الحياة الاجتماعية العامة

المواطن		المقيم		الحياة الاجتماعية العامة
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
88.6%	133	56%	84	متفاعل اجتماعياً
83.3%	125	61.3%	92	مقبول اجتماعياً
82%	123	58.7%	88	سعيد بحياته الاجتماعية
94.7%	142	48%	72	لديه الكثير من العلاقات

مهمل اجتماعيا	55	%37	20	%13.3
غير راض عن حياته الاجتماعية	58	%38.7	26	%17.3

يتضح من الجدول (13) أن جودة الحياة الاجتماعية كما يصفها المقيم تعتبر أقل من مستوى الحياة الاجتماعية، التي يصفها المواطن. عدم رضا المقيمين عن حياتهم الاجتماعية بنسبة (38.7%) في مقابل (17.3%) فقط من المواطنين.

رابعاً: عدد المرات التي وجدتم فيها صعوبات في تأدية مهامكم
جدول (14)

عدد المرات واجه فيها المشاركون في البحث صعوبات

صعوبات في العمل	المقيمون		المواطنون	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
عدة مرات خلال الأسبوع	75	%50	86	%57.3
عدة مرات خلال الشهر	78	%52	84	%56
عدة مرات خلال السنة	77	%51.3	74	%49.3
قليلا ما تعترضني	62	%41.3	64	%42.6
لا أعرف	52	%34.6	44	%29.3
لا يجب	86	%57.3	65	%43.3

الحالة الصحية بشكل عام

جدول (15)

الحالة الصحية

مواطن		مقيم		الحالة الصحية
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
%70	105	%56.6	85	بصحة جيدة
%54	81	%51.3	77	جيد
%36	54	%45.3	68	سيئة
%4	6	%9.3	14	سيئة جدا

هل تقارن مستوى عيش أسرتك بمستوى آخرين

جدول (16)

مواطن		مقيم		بمن تقارن مستوى أسرتك
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
%58	87	%45.3	68	بأسر أخرى
%56	84	%42.6	64	أفراد آخرين
%28.6	43	%36.6	55	زملاء الدراسة
%43.3	65	%67.3	101	الجيران
%29.3	44	%57.3	86	زملاء العمل
%38	57	%52	78	مع الآباء حينما كانوا في سنك

خاتمة البحث

بعد أن أنجز الباحث هذه الدراسة، والتي تتألف من مدخل عام وخمسة فصول، خصص أربعة فصول لمناقشة قضايا الرفاه نظريا وميدانيا من خلال العديد من التقارير، التي انصبت على التنمية البشرية، سواء على المستوى العربي أو العالمي، في ما خصص الباحث الفصل الخامس للتطبيقات الميدانية.

وقد أحاط الباحث رسالته بالظروف الاقتصادية، سواء منها العالمية وخاصة تلکم، التي تلت الأزمة الاقتصادية لعام 1929 أو تلك التي ترتبت عن الحربين العالميتين الأولى والثانية، بحيث إرتأى الباحث إيلاء أهمية كبرى لتطور الاقتصاد العالمي والأزمات الاقتصادية التي عرفتھا منطقة الخليج العربي، مشددا على أن التطورات الاقتصادية عبر مراحل التطور التاريخي للمجتمعات تعد أساسية وضرورية لمعرفة مدى علاقة التطور الاقتصادي بالرفاهية.

ولهذا الغرض فقد حاول الباحث أن يحيط باقتصاد الإمارات العربية المتحدة، مع التركيز على العلاقة بين تحقيق الرفاهية ومدى تمسك الفرد بدولة الإمارات بتاريخه واقتصاده وسياسة بلده. إن اخفاقات بعض الدول النامية ومنها الدول العربية في تطوير النشاط الاقتصادي والاجتماعي جعل المقارنة مستحيلة في هذه الرسالة بين الإمارات العربية وبعض الأقطار العربية الأخرى، لهذا عقد الباحث مقارنة مع الدول الاسكندنافية.

لم يهمل الباحث في رسالته هذه الحديث عن مستقبل الرأسمالية والذي صار يتطلب تدخلا واسعا وعميقا ومتنوعا من الدولة في الحياة الاقتصادية ويتطلب أن يكون هذا التدخل فعالا في نفس الوقت.

يرى الباحث على أن الدول النامية عليها الاستفادة من تجربة الدول الآسوية وخاصة كوريا الجنوبية والتي حققت الرفاه لشعوبها في تطوير كافة مرافقها الاجتماعية بما في ذلك التربية والتعليمية خدمة لأقتصادها النامي الذي شمل الرفاهية بكل جوانبها.

غير أنه ما فتئ يعود إلى إبراز تميز دولة الامارات العربية المتحدة في سياستها الخاصة بتحقيق الرفاه الاجتماعي، مبرزاً ذلك من خلال العديد من التشريعات الاجتماعية والبرامج بل وحتى المفاهيم التي ابدعت فيها الدولة، من قبيل أصحاب الهمم وغيرها من المفاهيم.

والرغم من ذلك فإن الباحث عرض العديد من الافكار والمفاهيم، التي تناولت موضوع الرفاهية كمبتغى إنساني منذ القدم وتناولت مفهوماً كيفية تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع، وقد عاد للعديد من الدراسات بهدف الوقوف على افكار الكثير من المنظرين من الاقتصاديين أو الاجتماعيين أرجال السياسة.

لقد أحاط الباحث بكل الأفكار، التي ساهمت في انبثاق سياسة الرفاه الاجتماعي، من قبيل الحرية الاقتصادية وإعادة النظر في الافراط في الانتاج وإعطاء دور للدولة في النشاط الاقتصادي، أصبحت علامة إستفهام منذ ذلك الوقت وحتى إنبثاق الكلاسيكية الجديدة والتي أفضت الى مفهوم الرفاهية ودولة الرفاهية وقد تجسدت هذه المفاهيم بعد الكساد الاقتصادي الكبير عام 1929 حيث أصبحت القناعة تميل الى الاعتقاد بأن رفاهية الفرد أهم من أن تترك لمجرد عمليات قوى السوق.

وعليه، فإن الاهتمام بجمع البيانات الاحصائية من خلال العديد من التقارير الخاصة بالتنمية الانسانية والمتخصصة في تقييم مستوى الرفاه في مجموعة من دول المنطقة العربية وبعض دول العالم

ساعد الباحث في ربط العدالة الاجتماعية بمفهوم تلبية الحاجيات، هذان المفهومان يعتبران من أهم سمات الرفاه الاجتماعي بدول الامارات العربية المتحدة ، والتي سعت لتحقيق الرفاه لمواطنيها من خلال الاعتماد على تحقيق المساواة والعدالة لمواطنيها في كل الاجراءات الاقتصادية التي من شأنها أن تلغي الفوارق الطبقيّة بين أبناء المجتمع.

البيبلوغرافيا

باللغة العربية العربية

1. الأشول، عادل (2005). نوعية الحياة من المنظور الاجتماعي والنفسي والطبي، المؤتمر العلمي الثالث، الإنماء النفسي والتربوي للإنسان العربي في ضوء جودة الحياة، كلية التربية بجامعة الزقازيق، 15-16 مارس.
2. الأمم المتحدة (2006). اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، نيويورك.
3. الجوهري، هناء (1994). المتغيرات الاجتماعية الثقافية المؤثرة على نوعية الحياة في المجتمع المصري في السبعينات -دراسة ميدانية على عينة من الأسر بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
4. الخطيب، جمال (2004). تعليم الطلبة ذوي الحاجات الخاصة في المدرسة العادية، ط1، عمان، الأردن: دار وائل.

5. القريوتي، يوسف؛ السرطاوي، عبد العزيز؛ الصمادي، جميل (2001). *المدخل إلى التربية الخاصة*. الطبعة الأولى. الإمارات العربية المتحدة، دبي: دار القلم للنشر والتوزيع
6. عبد القادر، أشرف (2005). تحسين جودة الحياة كمنبئ للحد من الإعاقة، ندوة تطوير الأداء في مجال: *الوقاية من الإعاقة*، جامعة الزقازيق، 14-16 فبراير.
7. عبد الفتاح، فويدة؛ حسين، محمد (2006) العوامل الأسرية والمدرسية المنبئة بجودة الحياة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم بمحافظة بني سويف، *المؤتمر العلمي الرابع لكلية التربية ببني سويف " دور الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني في اكتشاف ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة*، 3-4 مايو.
8. مركز زايد للتنسيق والمتابعة (2003). *الإعاقة وواقع المعاقين في دولة الإمارات العربية المتحدة*، أبو ظبي.
9. المكتب التنفيذي؛ مجلس وزراء الشؤون الاجتماعية العرب (2001). *الدليل الموحد لمصطلحات الإعاقة والتربية الخاصة والتأهيل*، الدوحة: قطر.
10. المنظمة العربية للتنمية الزراعية قطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسلمكية في الوطن العربي عام 2000 .
11. الامم المتحدة , مسح للتطورات الاقتصادية في منطقة الاسكوا: 2002-2003 (نيويورك: الامم المتحدة, 2004
12. التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2001.
13. التقرير التمهيدي لإصلاح ميزانية الضمان الاجتماعي الذي أعده مجلس الشيوخ الفرنسي في تشرين الثاني/ 2004
14. التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2002.
15. جناحي, العقلية الريعية وتعارضها مع مقومات الدولة الديمقراطية-بدون ذكر التاريخ - -2005.
16. زياد حافظ – دولة الرفاهية الاجتماعية – اوضاع الاقطار النفطية وغير النفطية- مركز دراسات الوحدة العربية - فؤاد نهرا, النموذج الدولوي الفرنسي والنموذج التعاوني الالمانى, دولة الرفاهية الاجتماعية, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, 2006
17. صندوق النقد العربي, التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2002, ابو ظبي 2002.
18. عبد الرزاق محمود صلاح: الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية: الواقع والافاق الدانيمارك نموذجا الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك كلية الإدارة والاقتصاد قسم الاقتصاد 2012.
19. فليح حسن خلف – أقتصاديات الوطن العربي – مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع – 2004.
20. فؤاد نهرا النموذج التعاوني لدولة الرفاه, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 2006.
21. لبنى وجدي الطحلاوي – مقالات – مجلة عالم الاقتصاد - 1 - 8 - 2002
22. مصطفى، حسن (2005). الإرشاد النفسي وجودة الحياة في المجتمع المعاصر، *المؤتمر العلمي الثالث، الإنماء النفسي والتربوي للإنسان العربي في ضوء جودة الحياة*، كلية التربية بجامعة الزقازيق، 15-16 مارس.

23. منسي، محمود؛ كاظم، علي (2006). مقياس جودة الحياة لطلبة الجامعة، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة، جامعة السلطان قابوس - مسقط 17-19 ديسمبر.
24. منظمة الزراعة والاعذية للامم المتحدة, بيانات الحاسب الالي 2001.
25. نوزاد الهيئي فعالية نقل التكنولوجيا في التنمية العربية, مجلة التنمية الصناعية العربية المنظمة العربية للصناعة والتعدين المغرب العدد38, 2000
26. هادي حسن, النموذج الاجتماعي الديمقراطي- دراسة مقارنة بين السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا, مركز الدراسات العربية, بيروت, 2006.
27. عبد الرزاق محمد صالح الساعدي , الرفاهية الاقتصادية و الاجتماعية الواقع الافاق الدانمارك نموذجا 2012
28. بحث مقدم للحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية 2012
29. الياس مرقص - الماركسية والشرق - بيروت - 1969.
30. أريك رول - تاريخ الفكر الاقتصادي - ترجمة راشد البراوي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - 1986.
31. انور محمود اكتشافات واستكشافات - تاليف أرفنج رويين - دار الشرق - 1986.
32. أريك رول - تاريخ الفكر الاقتصادي - ترجمة راشد البراوي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - 1989م.
33. احمد. د- مستقبل نظرية اقتصاد السوق الراسمالي - مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن - 2010
34. اولريش شيفر - انهيار الراسمالية اسباب اخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود - ترجمة عدنان عباس - الكويت - 2010
35. أنتوني - مستقبل الاشتراكية - مطبعة جامعة كورنيل - نيويورك - 1947 - ص 52
36. الامام, محمد محمود, - التخطيط من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية - دار الجبل للطباعة - القاهرة - 1963 ص 6
37. أمين سميرد - في مواجهة أزمة عصرنا- القاهرة- سينا للنشر- بيروت - الانتشار العربي- 1997 ص 140
38. الحمش منير مسيرة الاقتصاد العالمي في القرن العشرين في الفكر والنمو والازمات والفوضى, دمشق, الاهالي للطباعة, 2001, ص124
39. القرآن الكريم. سورة الذاريات, الاية 22
40. الكفري, مصطفى العبد الله - الاشتراكية كنظام اقتصادي اجتماعي - الحوار المتمدن - العدد - 652 - 2003
41. المصطفى قصابوي - كوريا الجنوبية - نموذج لبلد حديث النمو الاقتصادي

42. أندرو سكوتر علم اقتصاد السوق الحرة, ترجمة نادر إدريس التل (عمان: دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع, 1990) ص101
43. المرجع: لسان العرب 3/1698, المصباح 2/609 فقه الاقتصاد العام
44. أمين سمير في مواجهة أزمة عصرنا. مؤسسة النشر العربي. بيروت 1997, ص53
45. الشرقاوي عبد الحكيم مصطفى, العولمة المالية وامكانات التحكم, دار الفكر الجامعي, الاسكندرية, 2005, ص17
46. الشمالي نصر, فساد النظام العالمي. دار المستقبل, دمشق 1995, ص40
47. الرداوي تيسير, تاريخ الافكار والوقائع الاقتصادية. مصدر سابق, ص560
48. ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القرآن, تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني (بيروت, دار المعرفة ص51)
49. الببلاوي. حازم كوبنهاكن وعودة مالتس – جريدة الاهرام المصرية – 7 /مارس / 2010
50. بول جريجوري وروبرت ستيورت – النظم الاقتصادية المقارنة – ترجمة د. طه عبد الله – دار المريخ للنشر – 1994 –
51. باين روبرت – حياة وموت لينين – جرافتون ص 425-440
52. بدوي عبد الرحمن- خريف الفكر اليوناني- مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, الطبعة الثالثة, 1959- ص121
53. بوكسبرغر جيرالد وكليمنتا هارلد, الكذبات العشر للعولمة, سلسلة الرضا للمعلومات, دمشق 1999, ص74
54. تشير كاسوف كاشين – سلسلة مبادئ – ماهي الفترة الانتقالية – دار التقدم – موسكو - 1988
55. جعفر حسن – مقالة بعنوان – تاريخ ما قبل النار – مجلة الوطن المصرية - 2007
56. جون آيتن – الاقتصاد السياسي – الفصل الاول – ص6-15
57. جامعة فرحات عباس – كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير – ملخص تاريخ الوقائع الاقتصادية – 2007
58. جوزيف ستيغلitz – الاشتراكية الى اين – كامبرج, ماساتشوستس – معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا, 1995
59. جاي انكرل الاحتكارات الراسمالية والاشتراكية رسالة ماجستير – كامبردج - 1978
60. جان توشار تاريخ الافكار السياسية, ترجمة د. ناجي الدرواشة وزارة الثقافة, دمشق 1984, ج1, ص19
61. جميل صليبا-تاريخ الفلسفة العربية- الشركة العالمية للكتاب- بيروت 1989, ص140-142
62. نجاح عبد العليم ابو الفتوح – اثر استبعاد الفائدة على كفاءة تخصيص الموارد في التحول الى اقتصاد اسلامي, اطروحة دكتوراه, جامعة الزقازيق-كلية التجارة – قسم الاقتصاد – القاهرة 1994, ص234

63. جورج ه. ساباين, تطور الفكر السياسي, ترجمة راشد البراوي, ج3 – القاهرة, دار المعارف, 1971, ص 479
64. جون ستيوارت مل, عن الحرية, (القاهرة, مطابع شركة الاعلانات الشرقية, 2000, ص16
65. جون كينث جالبريت, تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر, الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب, 2000, ص112
66. جون كينيث جالبريت- تاريخ الفكر الاقتصادي- الماضي صورة الحاضر- عالم المعرفة- الكويت- 1978 ص 227- 237
67. جورج نايمهانز, تاريخ النظرية الاقتصادية, الاسهامات الكلاسيكية, ترجمة أ.د, صقر احمد صقر, المكتبة الاكاديمية, 1997
68. جناحي, العقلية الريعية وتعارضها مع مقومات الدولة الديمقراطية- ص57
69. حشيش, عادل احمد – تاريخ الفكر الاقتصادي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر - 1974
70. حمد, موفق خزعل-د- أزمة النظام الراسمالي- الابعاد الفكرية والتداعيات الاقتصادية بعد الكينزية- العوران.
71. حافظ عليوي, التنقل الحر للرسميل واسواق المال... دولة الرفاه, الحوار المتمدن العدد 1502
72. حسن الظاهر, دراسات في تطور الفكر السياسي, مطبعة أنجلو المصرية, 1992, ص205
73. حسن الظاهر – دراسات في تطور الفكر السياسي- ص472
74. حسين عمر,د, الرفاهية الاقتصادية, بحث في الاسس العلمية والتطبيقات العملية لرفاهية الفرد والمجتمع, القاهرة, دار الفكر العربي, 1999 .
75. حبيب مطانيوس, قراءة في القطاع الخاص, بحث مقدم لندوة الثلاثاء الاقتصادي, جمعية العلوم الاقتصادية. دمشق, 2005\3\29
76. حسن نافعة, دولة الرفاهية الاجتماعية, الندوة الفكرية, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, 2006, ص139
77. حسين حرب,د – الفكر اليوناني – افلاطون, دار الفارابي, بيروت- 1985. ص15
78. خليل حسن خليل,د – الاقتصاديات الاشتراكية – الجزء الرابع – معهد التخطيط القومي – القاهرة – مذكرة رقم 580 – 1965 ص 5
79. درواسي, مسعود. د – دور الدولة في النشاط الاقتصادي والسياسة الاقتصادية – كلية الاقتصاد والتسيير – الجزائر.
80. راشد البرواي, النظام الاشتراكي, الطبعة الاولى, دار النهضة – بيروت – 1985 – ص 12
81. رحاب احمد صالح, د. المملكة الدنماركية, سوريا- وزارة الاعلام, دمشق, 2007, ص 37
82. رحاب أحمد صالح, د. المملكة الدنماركية- وزارة الاعلام- مديرية الرقابة- دمشق. 2007. ص 84- 85
83. زكريا فؤاد,د – الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية – دار مصر للطباعة - 2005
84. زكريا احمد نصر – تطور النظام الاقتصادي – الطبعة الاولى – مطبعة نهضة مصر - 1964

85. زكريا, فؤاد.د - الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية - دار مصر للطباعة - 2005
86. زياد حافظ - دولة الرفاهية الاجتماعية - اوضاع الاقطار النفطية وغير النفطية- مركز دراسات الوحدة العربية. 2005 - ص433
87. سعيد, جمال الدين.د - التطور الاقتصادي في العالم - 1960 - ص 199
88. شلبي, أحمد. د - الانظمة الاقتصادية في العالم - دار النهضة المصرية - 1976 .
89. شافعي, محمد زكي.د - التنمية الاقتصادية, الكتاب الثاني - دار النهضة العربية - القاهرة - 1970 ص 8
90. شافعي, محمد زكي, د. التنمية الاقتصادية, الجزء الاول, دار النهضة العربية, القاهرة, 1997
91. شيحة, مصطفى رشدي, د - الاقتصاد العام للرفاهية - الدار الجامعية للطباعة والنشر - بيروت 1993
92. صبحي الصالح, النظم الاسلامية نشأتها وتطورها (بيروت, دار العلم للملايين, 1965), ص438
93. طاهر كنعان - ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت 2006
94. عبد الفتاح. معتر بالله, أ.د, الاسس الفلسفية والسياسية للوظيفة التوزيعية للدولة, بيروت 2006, ص169
95. عاطف قبرصي. دولة الرفاهية الاجتماعية, مركز دراسات الوحدة العربية, الطبعة الاولى , بيروت, 2006, ص 176
96. عبد الهادي, دلال. أم- ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت- الطبعة الاولى , 2006 . ص115
97. علي القادري, ندوة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت . 2006
98. عبد الوهاب الكيلاني, د. كتاب موسوعة السياسة- الجزء الثاني, ص 713
99. علي بن محمد الجرجاني, التعريفات, بغداد, وزارة الثقافة, دار الشؤون الثقافية العامة, 1986, ص85
100. عجمية. عبد العزيز,د - التطور الاقتصادي في الاتحاد السوفيتي - بيروت - 1991
101. عامر حسن فياض, علي عباس مراد- مدخل الى الفكر السياسي القديم والوسيط, منشورات جامعة دار يونس بنغازي ص26
102. عجمية, عبد العزيز, د - التطور الاقتصادي في اوربا والعالم العربي- الدار الجامعية -بيروت - 1988 ص 49
103. عمر,حسين - تطور الفكر الاقتصادي - الكتاب الاول - دار الفكر العربي - 1994
104. عصام شعبان حسن - مدخل لعلم الاقتصاد السياسي - مركز دراسات وابحاث الماركسية واليسار - 2008
105. عفيفي فتحي. د - التاريخ القديم - جامعة الازهر - موسوعة حضارة العالم 1979 -12- غنيم, أحمد محمد -تطور الملكية الفردية - ص46
106. فريدريك أنجلس - دور العمل في تكوين الانسان
107. فريدريك أنجلس - أصل العائلة
108. فلاديمير ايلتس لينين - رأسمالية الدولة في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية - دار التقدم - موسكو - 1983

109. فريدريك انجلس – تطور الاشتراكية من طوباوية الى علم – دار الفارابي – بيروت - 1978
110. فليح حسن خلف – أقتصاديات الوطن العربي – مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - 2004
111. فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي (بيروت: دار الحداثة، 1981) ص 173¹
112. فؤاد عباس، الاسلام مع الدولة الحارسة أم مع دولة الرفاهية؟
113. فان كيسبيركن، الرأسمالية الاجتماعية، لندن، روتليدج، 1995
114. فؤاد نهرا، استاذ جامعي في الفلسفة والعلوم السياسية- فرنسا
115. فؤاد نهرا، النموذج الدولي الفرنسي والنموذج التعاوني الالمانى، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006
116. فريدريك أنجلس – دور العمل في تكوين الانسان
117. فريدريك أنجلس – أصل العائلة
118. فلاديمير ايلتش لينين – رأسمالية الدولة في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية – دار التقدم – موسكو - 1983
119. فريدريك انجلس – تطور الاشتراكية من طوباوية الى علم – دار الفارابي – بيروت - 1978
120. فليح حسن خلف – أقتصاديات الوطن العربي – مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - 2004
121. فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي (بيروت: دار الحداثة 1981) ص 173
122. فؤاد عباس، الاسلام مع الدولة الحارسة أم مع دولة الرفاهية؟
123. فان كيسبيركن الرأسمالية الاجتماعية، لندن، روتليدج، 1995
124. فؤاد نهرا، استاذ جامعي في الفلسفة والعلوم السياسية- فرنسا
125. لوتشيانوا فلوريدي، الثورة الرابعة، ترجمة لؤي عبد المجيد، منشورات عالم المعرفة العدد 452، الكويت 2017.
126. مجلة الغري، للعلوم الاقتصادية والادارية، السنة 10 العدد 31 . 2014
127. مظهر محمد صالح قاسم، مدخل في الاقتصاد السياسي للعارق - الدولة الريعية من المركزية الاقتصادية الى ديموقراطية السوق، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، بغداد، 2010
128. وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، تقرير مؤشرات رصد الأهداف الانمائية للألفية على مستوى المحافظات، 2012
129. احمد زبير جعاطه، تحليل اقتصادي لتفاوت مستوى الرفاهية الاقتصادية بين كل من الريف (1985)، مجلة الإدارة الاقتصادية، جامعة المستنصرية، العدد - والحضر العارقي خلال الفترة 1971 العاشر، 1989
130. رؤية الإمارات العربية المتحدة 2021
131. عبد الهادي ، نبيل، السلوك الاجتماعي ، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان،
132. الشنفييري ، امل، دورة وزارة التنمية الاجتماعية في تحسين جودة حياة الاسرة العمانية ، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة ، جامعة السلطان قابوس . مسقط 2010

133. كاظم، علي مهدي والبهادلي، عبد الخالق نجم: جودة الحياة لدى طلبة الجامعة العمانيين والليبيين، المجلة العلمية للاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك 2007
134. عبد الرحمن، سعيد عبد الرحمن محمد، استخدام بعض استراتيجيات التعايش في تحسين جودة الحياة لدى المعوقين سمعياً، الندوة العلمية الثامنة للاتحاد العربي للهيئات العاملة في رعاية الصم، تطوير التعليم والتأهيل للأشخاص الصم وضعاف السمع 2007
135. بشرى عناد مبارك، مجلة كلية الاداب، جامعة ديالى، بغداد، العدد 99
136. مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والاجتماعية والادارية، السنة العاشرة، المجلد الحادي عشرة والثلاثون 2014
137. -منصف المرزوقي، الشعوب العربية على سلم الشقاء لسنة 2005
138. قراءة في تقرير "جودة الحياة" لعام 2010 مجلة أخبار الخليج، العدد 11694 -، 2010
139. نيكولاس وايت، السعادة موجز تاريخي، ترجمة سعيد توفيق، عالم المعرفة، العدد 405، 2013.
140. منسي، محمد عبد الحليم وكاظم علة مهدي، تطوير وتقنين مقياس جودة الحياة لدى طلبة جامعة سلطنة عمان، مجلة أمارابك العلمية، المجلد الأول، العدد الأول 2010
141. بدر محمد الانصاري، استراتيجيات تحسين جودة الحياة من اجل الوقاية من الاضطرابات النفسية، جامعة قابوس، عمان 2006
142. مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول، 2012
143. حرطاني أمينة، جودة الحياة لدى الأمهات وعلاقتها بالمشكلات السلوكية عند الابناء، مذكرة ماجستير في علم النفس الاسري، وهران الجزائر 2014
144. بوعشبة أمال، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الارهاب بالجزائر، مذكرة دكتوراه في علم النفس، الجزائر، 2014.
145. مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والاجتماعية والادارية، السنة العاشرة، المجلد الحادي عشرة والثلاثون 2014
146. ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب _ محمد الصادق العبيدي _ دار إحياء التراث العربي، بيروت _ لبنان، ط/ 3، 1419/ 1999م.
147. أبراش إبراهيم، المنهج العلمي و تطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر و التوزيع 1992
148. باسكون بول، إرشادات علمية لإعداد الرسائل والأطروحات الجامعية - مخصص للطلبة - بحث في العلوم الإنسانية، ترجمة أحمد عريف، وراجعة أحمد الرضواني الرباط 1989
149. خالد محمد بن حمدان ووائل محمد إدريس، الإستراتيجية والتخطيط الإستراتيجي: منهج معاصر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان 2009
150. موسى يوسف خميس، مدخل إلى التخطيط الإستراتيجي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 3666

151. فعالية التخطيط الاستراتيجي في المؤسسة الاقتصادية العمومية الجزائرية، مكتبة الجامعة، تحت رقم 2002/242
152. احمد حلمي علمي، المحددات الرئيسية لتصورات المواطنين بخصوص جودة الحياة في الواقع المعيش المغربي، المندوبية السامية للتخطيط، الرباط، أبريل 2015.
- حافظ، زياد، دولة الرفاهية الاجتماعية: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها المركز بالتعاون مع المعهد السويدي بالإسكندرية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 2005.
153. سلام عبد علي العبادي، السياسات الاجتماعية في العراق، جدل الدولة الرفاه واقتصاد السوق، العراق، مجلة كلية الآداب 2011
154. رشيد بن بيه، تصنيف نمط الرفاه الاجتماعي المغربي باعتماد منظور النوع الاجتماعي، إضافات ال عدد 40 2018
155. أحمد عز الدين محمد دولة الرفاه في مصر 1990 2005 الدولة الرفاه في مصر
156. حافظ، زياد، أوضاع الأقطار النفطية وغير النفطية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية دولة الرفاهية الاجتماعية مركز دراسات الوحدة العربية مص الإسكندرية نوفمبر 2005 عبد السلام بني حماد السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الامارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الامارات 2017
157. عثمان سراج، الدين فتح الرحمن، الرعاية الاجتماعية بين الاتفاقيات والمواثيق الدولية والقوانين المحلية دولة الامارات العربية المتحدة نموذج، الامارات جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا الامارات العربية المتحدة 2015
158. عبد السلام بني حماد السياسات الاجتماعية وفق قيم المواطنة في دولة الامارات العربية المتحدة شؤون الاجتماعية الامارات 2017
159. الفارس عبد الرزاق فارس، العولمة ودور الرعاية في اقطار مجلس التعاون لبنان المستقبل العربي 2004 رؤية الاستراتيجية لدولة الامارات 2030
160. يونس الفاروق زكي، الرفاهية وبناء الانسان حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي، الامارات شؤون اجتماعي 1990
161. محمد سعد عميرة، اقتصاد دولة الامارات العربية المتحدة الإنجازات المحققة والتطلعات المستقبلية، مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية 2002
162. تقرير عن الندوة دولة الرفاهية الاجتماعية الإسكندرية 28 30 تشرين الثاني نوفمبر 2005 المستقبل العربي لبنان ياسين صباح 200
163. وزارة الشؤون الاجتماعية (2010). إحصائيات إدارة رعاية وتأهيل المعاقين والخدمات المقدمة للمعاقين في دولة الإمارات، دبي.
164. وزارة الشؤون الاجتماعية (2006). قانون اتحادي رقم 29 لسنة 2006م في شأن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، دبي.

1. Smelser, N.J. The theory of collective behavior , Routledge & Kagan Paul, Third impression , London1970.
2. Programme on Mental Health. World Health Organization 1997
3. Freud sigmund . Civilisation and its discontents (U K 1930) edbJames Strachey New York Norton.
4. Anderson, S.: Quality of life Theory . The IQol Theory, the Quality of life Research center, Copenhagenk, Denmark , ventegodt Livsk valitet 2003
5. Ryff, C.D. : Happiness in everything or is it exploration on the meaning of psychological well being, Journal of personality and social psychology 1981
6. Argyl, M: Causes and correl ates of happiness nD. Kahneman , E. Diener & N. Schwarz (Eds) , well – being : The foundations of hedonic psychology 1999
7. Schatz, w.c: on group composition, Journal of abnormal and social psychology. 1961
8. Pierson, C., The New politics of the welfare State. Oxford: Oxford University Press, 2001
9. Felce D & Perry J. Quality of life: its definition and measurement. Research in Developmental Disabilities1995
10. Felce, D. & Perry, J. () Defining and applying the concept of quality of life1997
11. Felce, D. & Perry, JQuality of life: the scope of the term and its breadth of measurement. In Quality of life for people with disabilities. Models, research and practice. Ed. Roy I Brown. StanleyThornes. . 1997
12. Jonker,C. , Gerritsen.D.L, Bosboom P.R.&, J.T. Van der Steen J.T. A Model for Quality of Life Measures in Patients with Dementia: Lawton's Next Step. Dementia and Geriatric Cognitive Disorders(2004).
13. Diener, E., Suh, E.M., Lucas, R.E., & Smith, H.L. Subjective well-being: Three decades of progress. Psychological Bulletin, (1999).

14. WHOQOL Group The World Health Organisation Quality of Life Assessment. 1995
 15. Vreeke, G.J., Janssen, S., Resnick, S., & Stolk J. The quality of life of people with mental retardation: in search of an adequate approach. International Journal of rehabilitation Research. 1997
 16. Taylor, S.J. & Bogdan R.. Quality of life and the individual's perspective. In Quality of Life: Conceptualisation and measurement. Ed. R. Schalock. American Association on Mental 1996
 17. Michalos, A.C.. Global report on student well-being: Volume L Life satisfaction and happiness(1991).
 18. New York: Springer-Verlag. Myers, D.G., & Diener, E. Who is happy? Psychological Science1995
 19. Bishop, M., & Feist-Price, S. Quality of life in rehabilitation counseling: Making the philosophical practical. Rehabilitation Education, 2001
 20. Gilman, R., Easterbrooks, S., & Frey, M. A preliminary study of multidimensional life satisfaction among deaf/hard of hearing youth across environmental settings. Social Indicators' Research2004,
 21. the oxford Companion to philosophy , ed Ted Honderech.
 22. Concepts of Happiness, Richard Krut , Philosophical Review, 87.No.2(April 1979).
 23. Katschnig H. How Useful is the Concept of Quality of Life in Psychiatry? In Quality of Life in Mental Disorders (Eds H. Katschnig, H. Freeman, N. Sartorius 1997
- مصادر الكترونية
24. <https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports/2017-03-21-1.2893150>
 25. <https://citizenship.cet.ac.il/ShowItem.aspx?ItemID=1d55359d-ee88-47ed-b0c6-dc3b14a5a66d&lang=ARB>
 26. <http://worldhappiness.report/ed/2018/>
 27. Beblawi.- The Rentier State in the Arab World – p. 89.

28. John Kenneth Galbraith, *The Affluent Society* (London, Hamish Hamilton, 1965, p. 50
29. Clasen, J, *Comparative Social Policy*, Oxford: Blackwell, 1999.
30. Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *The Philosophy of Right*, Oxford University Press, 1952.
31. Henry E. Allison, *Kants Theory of Freedom* (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1990).
32. Gosta Esping – Andersen, *The Three Worlds of Welfare capitalism* Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990).
33. Janet C. Gornick and Jerry A. Jacobs, “ Gender, the Welfare State, and Public Employment: A Comparative Study of Seven Industrialized Countries” *American Sociological Review*, vol. 63, no.5. 1998, p. 692.
34. Fine, (*Whither the Welfare State: Public Versus Private Consumption?*).
35. D. Snower, ” What is the Domain of the welfare State” London: Macmillan. 1996.
36. E. Phelps. “ on the Damaging Side Effects of the Welfare System: How, Why and What to Do “ in: Baldassarri, Baganello and Phelps, eds. *Ibid.*
37. A. Lindbeck, ” Welfare State Dynamics ”in: European Commission, *The welfare State in Europe*, Luxembourg, 1997.
38. A. Lindbeck. (Hazardous Welfare-State Dynamics) *American Economic Review*, vol. 85. No 2: 1995. P 9
39. Claude Meillassoux, *Maidens, Meal, and Money: Capitalism and the Domestic Community*, Cambridge University 1981.
40. Clasen, J., *Comparative Social Policy*, Oxford: Blackwell, 1999.
41. Pierson, C., *Beyond the Welfare State*. Cambridge: Polity, 1998.
42. Pierson, C., *The New politics of the Welfare State*. Oxford: Oxford University Press, 2001.
43. Esping-Andersen, G, *Welfare States in Transition*, London: Sage, 1996.
44. Clasen, J. *Comparative Social Policy*, Blackwell, 1999

45. Pierson, C., *The New Politics of the Welfare State*. Oxford: Oxford University Press, 2001.
46. Espin – Andersen, G., *The Three Worlds of Welfare Capitalism*, Cambridge: Polity Press, 1999.
47. Gosta Espihg Andersen, *Social class, Social Democracy, and state policy, party policy and party Decomposition in Denmark and Sweden*, New Social Science Monograph, E8(Copenhagen, New Social Science Monographs. 1980.
48. J.M.Keynes,(*The end of laissez faire*) collected writings (London: Macmillan, 1982).
49. Paul Mattick, *marks and keynes: The limits of the mixed economies* (London: Marlin Press, 1974), p. 89.
50. P.A. Samuelson, *Economists and the History of Ideas* (Cambridge, MA: Harvard University Press; 1962) pp. 190-195.
51. Keynes (*The End of Laissez Faire*) p. 190.
52. T.W.Hutchison, *The politics and philosophy Economics: Marxians,keynesians,and Austrians*(oxford:Blakwell, 1981,p89-96
53. Howard Davis and Richard Scase,(*western capitalism and state socialism*) sociological inquiry, 1990 p.208
54. Robert Nozick, *Anarchy, state and Utopia* (London: oxford press; New York: Basic Books; 1974, pp. 74-80, and Robert Heibroner,(*Reflections on the Triumph of Capitalism*), New York, 1989
55. Homa Katouzian, *Ideology and Method in Economics*, Macmillan New 31-Studies in Economics, London, Macmillan,1980
56. Mickey Kaus, *the end of equality* (New York: Yale University press; Basic Books, 1992
57. Olli Kangas and Joakim Palme, *Statism Eroded* ([n. p.: n. pb.], 1993
58. Joakim Palme, *The Nordic Model and Modernization of Social Protection in Europe* ([n. p.: n. pb., 1999).
59. Olli Kangas and Joakim Palme , “The Development of Occupation Pensions in Finland and

60. Sweden: Class Politics and Institutional Feedbacks ,” in: Michael Shalev, ed., *Privatization of Social Policy* 1996
61. Stefan Olafsson , *The Icelandic Model of Welfare* ([n. p.: n. pb.], 1998
62. Zetterberg, *Before and Beyond the Welfare State*, pp. 51 -59 .
63. Esping – Andersen , *The Three Worlds of Welfare Capitalism*, pp. 155-157 .
64. Irene Wennemo , *Sharing the Costs of Children* ([n. p.: n. pb.], 1994
-Elisabeth Steckmest , *Noncash benefits and income distribution*. 1996
65. Beblawi.- *The Rentier State in the Arab World*
66. Bruno Palier, *Gouverner la securite sociale: Les Reformes du systeme francais de protection sociale depuis 1945*.
67. Jean Claude Hardouin et Geoges Septours (Les Couts du systeme educatif), *Problemes economiques*. 2004
68. Raymond Boudon, L, *enegalite chances;la mobilite sociale dans les societiees industrielles*, Paris:1984
69. Vincent Vandenberghe, (L, *Universite and doit-elle etre gratuite*) *Problemes economiques*, 2004
70. Jerome Gautie, (*Protection de l emploi:De la deregulation a la flexicurite*), *Problemes economiques*, 2005
71. Richard M. Titmuss, *Social Policy: An Interoduction* (London; Allen and Unwin, 1974) and *Developing social policy in conditions change; the role of social welfare*.
72. Hans L. Zetterberg, *Befor and beyond the Welfare State: Three Lectures* Stockholm: City University 1995.
73. Olli Kangas and Joakim Palme,(*statism eroded? Labour-market Benefits and challenges to the Scandinaian Welfare State*) in: Erik Jörgeen Hansen; *Welfare Trends in the Scandinavian countries* (Armonk, NY: M. E.sharpe,1993, pp. 3-24
74. -Joakim Palme, *The Nordic Model and Modernization of social protection in Europe*(Copenhagen: Nordic Council of Ministers, 1999-2000).
75. - olli Kangas and Joakim Palme(*The development of Occupation Pensions in Finland and Sweden*. 1996.
76. -Stefan Olafsson, *The Icelandic Model of Welfare*, 1998.
77. - Zetterberg *Befor and Beyond the Welfare State: Three Lectures*, pp. 51-59
78. - Esping- Andersen, *The Three Worlds of Welfare Capitalism*, pp. 155-157

79. - Irene Wennemo, sharing the costs of children: Studies on the Development of Family Support in the OECD Countries, SwedishInstitute for Social Research; 25(Stockholm: Swedish Institute for Social Research, 1994.

80. - Olli Kangas and Joakim Palme: (Statism Eroded? Labour-market Benefits and Challenges to the Scandinavian Welfare States). 1993

الروابط الألكترونية

-www. Madariss.fr

-www.wikipedia.org

-www.advokatsamfundet.dk

-www.rigsadvokaten.dk